دعائم الغزو الفكري

# الاستشراق والتنصير

طبعة مزيدة ومنقحة

الشيخ الدكتور

مجيد الخليفة



للنشر والتوزيع

# دعائم الغزو الفكري

## الاستشراق والتنصير

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢٢ م





حولي - شارع المثنى - مجمع البدري (مجمع المكتبات الإسلامية)

E-mail : darandalusia@hotmail.com

( +965 ) 94747176

## الموزعون المعتمدون

الكويت: دار الظاهرية للنشر والتوزيع - (+965) 51155398 - daradahriah@hotmail.com

الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - (+965) 90090146 - torousq8@gmail.com

الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - (+966) 114925192 - tadmoria@hotmail.com

المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - (+966) 558343947 - daralmimna@gmail.com

جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - (+966) 504395716 - hassan_hyge@hotmail.com

مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - (+966) 125273037 - alasadi2000@hotmail.com

مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - (+2) 01110117447 - mofakroun@gmail.com

اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - (+90) 2125118547 - asalet@asaletyayinlari.com.tr

# دعائم الغزو الفكري
# الاستشراق والتنصير

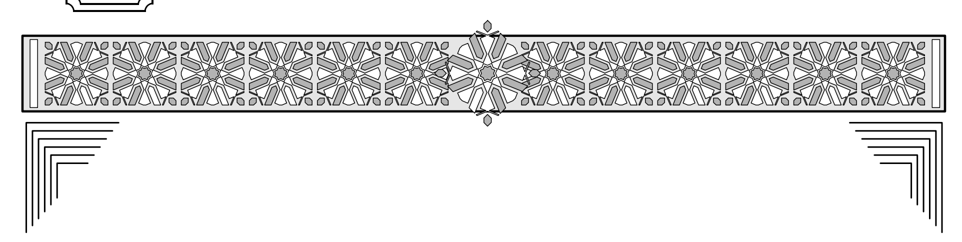
طبعة مزيدة ومنقحة

الشيخ الدكتور

**مجيد الخليفة**

دار أندلسية للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحیم



# المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفيه الرسول الأمين، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته الغر الميامين.

أما بعد:

فلقد أدرك أعداء الإسلام بأن قوة المسلمين تكمن في هذا الدين وفي اجتماعهم حول مبادئه وتمسكهم وترابطهم فيما بينهم، فالمسلمون عبر تأريخهم لم ينتصروا بقوة مادية من كثرة أو عدد، وإنما انتصروا على أعدائهم بقوتهم الإيمانية وتوكلهم على الله تعالى فهو ناصرهم على أعدائهم، وشهد لهم ربهم بخيرتهم على باقي الأمم فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠] [آل عمران: ١١٠]، والآن وفي ظل غمرة اشتداد الهجمات الضارية الموجهة ضد ثقافة العالم الإسلامي، والرامية بشتى السبل إلى طمس الهوية الإسلامية ومحو المعالم الحضارية الّتي تميّزت بها الحضارة الإسلامية عبر تاريخها المجيد؛ لابدّ للعالم الإسلامي بشكل عام وللمفكرين والمهتمين بشؤونه من استشعار خطورة هذه الهجمات العنيفة المركزة المدروسة، والتفكير الجاد الواعي في التصدي لها باستخدام كافة الإمكانات المتاحة الّتي لا نعتقد أنها قليلة أبداً.

فالغزو الثقافي غزو شرس، والحرب الفكرية حرب لا هوادة فيها، وهما أشد خطراً من عمليات الغزو المسلّح والحروب العسكرية؛ لأنهما

موجهان لتحطيم الهيكلية الثقافية الفكرية الإسلامية، وتقويض صرح الحضارة الإسلامية السامق، فالأمن الثقافي الفكري الإسلامي مهدد تهديداً حقيقياً، وها هي معاول الثقافة الهدامة تعمل فيه ليلاً ونهاراً دون أن يثير ذلك فزع الكثيرين، أو يحرك فيهم ردة فعل ما؛ بل هناك من انحاز إلى الجانب المعادي ورفع عقيرته منادياً بضرورة الأخذ بالثقافة الغربية والانسجام معها، ناسياً أنّ ذلك يعني الانسحاق الثقافي والانتحار الحضاري، والنهاية الحقيقية لهذه الأمة الّتي علا نجمها بتوحيد الله وعدم الإشراك به سبحانه، وإقامة نظامه الرباني.

ونحن نحاول في كتابنا هذا «دعائم الغزو الفكري: الاستشراق والتنصير» بيان أهم أدوات الغزو الفكري الذي تتعرض له الأمة الإسلامية عبر وسائل مغرضة تبنتها الدول الاستعمارية وبتعاون وثيق مع المؤسسات العلمية التي ولدت من رحم السيطرة والنفوذ للدول الأوربية، وغالباً ما كانت الكنسية هي المحرك الأساس لهذا الغزو، إذ تعتمد اعتماداً كبيراً في نشر عقائدها على انحسار الإسلام، لأنها تعرف قبل غيرها القوة التي يتمتع بها هذا الدين دون غيره من سائر الأديان والمعتقدات التي تواجهها في أرجاء مختلفة من العالم.

ولم يكن تخلص الدول الإسلامية من الاحتلال العسكري المباشر في منتصف القرن الماضي إلا بداية لنوع آخر من الاحتلال الفكري الذي لا يحاول السيطرة هذه المرة على الأرض، وإنما يحاول السيطرة على العقول والقلوب، ومسخ الشخصية الثقافية للمجتمع المسلم، واستبدالها بشخصية هجينة تكون تابعة له في توجهاتها وأفعالها، وقد استند الغرب النصراني على أدوات أخرى للغزو، خاصة بعد فشله الذريع في الحروب الصليبية قبل ما يقرب من ألف عام، وطرده بالمقاومة الشعبية من أرض المسلمين في حقبة الاحتلال والاستعمار.

ومع هذا فقد حرص الأوربيون على إبقاء موطن قدم لهم في العالم الإسلامي، وهو عبارة عن مؤسسات علمية أو إغاثية أو تعليمية تحاول وظيفتها الأساس هي الاستحواذ العقلي على الفرد المسلم، واستبدال القيم التي يشكل الإسلام الركن الأساس لها بقيم تعتمد الديانة النصرانية العنصر الأساس لها من خلال أقوى وسيلتين تمتلكها تلك القوى، ألا وهي الاستشراق والتنصير.

وأول دعائم هذا الغزو هو الاستشراق الذي أخذ حيزاً كبيراً في الفكر الأوروبي الحديث، خاصة خلال القرنين الماضيين، وشكلت الدراسات الاستشراقية المرجعية المفضلة للدول الغربية إلى يوم الناس هذا، فكان لا بد لطالب العلم الشرعي من أن يحيط ـ ولو بشيء مختصر ـ بملخص لهذه الدراسات لأنها شكلت الطليعة المتقدمة لغزو العالم الإسلامي، كما مهد الاستشراق لظهور المطامع الأوروبية من أجل السيطرة على مقدرات العالم الإسلامي، وهناك دراسات كثيرة حول هذا الموضوع، ولكنا نحاول في هذا الكتاب تناول موضوع الاستشراق برؤية عصرية شرعية، قائمة على تأصيل المفاهيم للدارسين، عسى الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعنا بما علمنا.

وقد قسمنا مادة الاستشراق إلى أربعة مباحث: يتناول المبحث الأول منه، التعريف بالاستشراق كمصطلح متداول بين الباحثين، كما استعرضنا التاريخ الطويل لهذه الدراسات، وأهم المدارس الاستشراقية في العالم الغربي، وفي ختام هذا المبحث عرضنا لعدد من علماء الاستشراق من الغربيين وأبرز مؤلفاتهم وإنجازاتهم.

وفي المبحث الثاني من هذا الكتاب بحثنا الدوافع التي ساهمت بشكل كبير في الدراسات الاستشراقية، وكانت محركاً أساسياً لها، خاصة الدافع الديني والاستعماري والتجاري، وعلى نحو أقل الدافع

العلمي.

وفي المبحث الثالث استعرضنا أهم الوسائل التي يستخدمها المستشرقون للوصول إلى العالم الإسلامي، مع دراسة أهم المجلات والجمعيات التنصيرية في هذا الباب، باعتبارها من أهم الوسائل التي تبين نشاطات المستشرقين.

وفي المبحث الرابع والأخير وضحنا بعض الشبهات التي يرددها المستشرقون في مؤلفاتهم وبحوثهم، خاصة فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وشخصية الرسول ﷺ، وعن الإسلام ومكانة المرأة فيه.

أما في الفصل الثاني فقد تناولنا فيه التنصير، وهو على أربعة مباحث أيضاً:

المبحث الأول: مفهوم التنصير وتاريخه، وفيه عرضنا لمصطلح التنصير وما يعنيه لنا ومصطلح التبشير المتداول عند النصارى، ثم استعرضنا تاريخ التنصير وأهدافه وإعداد المنصرين، واستهدافهم للمرأة المسلمة.

أما المبحث الثاني: فهو عن وسائل التنصير التي تتركز في المدارس والجامعات، والخدمات الطبية ووسائل الإعلام، والاحتلال والتبعية السياسة، وأخيراً تشويه صورة الإسلام بالغرب.

المبحث الثالث: إستراتيجية التنصير، وفيه عرضنا لأهم المؤتمرات التي عقدتها المؤسسات التنصيرية، مع دراسة مختصرة لمؤتمر كلوروادو المنعقد عام ١٩٧٨م في الولايات المتحدة.

المبحث الرابع: مواجهة التنصير، واستعرضنا فيه سبل مواجهة التنصير في العالم الإسلامي، ويتضمن: تحصين المسلم عقدياً، وبيان انحراف دين النصارى ونسخه، وأخيراً الحوار مع النصارى.

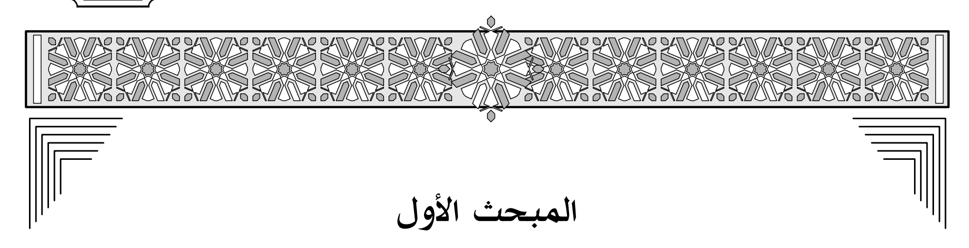
ومع ذلك فإنني لا أدعي الإحاطة بوسائل الغزو الفكري، ولكني حاولت أن اعرض لطلابي في المعهد العالي للتوجيه والإرشاد بصنعاء دعائم هذا الغزو وهما الاستشراق والتنصير؛ خاصة مع عدم توفر هذه المصادر في المكتبات اليمنية وعزة وجودها، فرأيت أن أجمع هذه الورقات بالاعتماد على الله تعالى أولاً ثم بما كتبه العلماء قبلنا، سائلين الله تعالى التوفيق والسداد.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلِّ الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

**كتب بصنعاء ٦ شوال ١٤٣١هـ**

# الفصل الأول

# الاستشراق



المبحث الأول

# تاريخ الاستشراق

**تعريف الاستشراق:**

ليس هناك تحديد دقيق للاستشراق بمفهومه الدقيق، ولكن يرجع من حيث اللغة عند الإطلاق إلى الشرق بصورة مجملة، والشرق في اللغة هو ضوء الشمس، والشرق والشرْقَة: الضوء وهو الشمس، والشَّرق هو موضع الشمس في الشتاء، كذا قال ابن منظور(١)، وقيل إن الكلمة أصلها إشراق، ولا يستقيم المعنى، إذ هي إلى الشرق أقرب، وربما تعني الجهة، فالشرق شرقٌ بالنسبة للغرب، وزيدت الكلمة ثلاثة حروف هي: (الألف والسين والتاء)، للدلالة على من يدرس علم الشرق، كقولنا استشهد وشهيد.

أما من حيث الاصطلاح: فقد اختلف الباحثون في تعريفه، يقول أحمد حسن الزيات: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره، ولكنه في العصور الوسيطة (الأوربية) كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين النصراني، ودراسة العربية لصلتها بالعلم، إذ بينما كان الشرق من أدناه إلى أقصاه مغموراً بما تشعه منائر بغداد والقاهرة من أضواء المدنية والعلم، كان الغرب من بحره إلى محيطه يعمه في غياهب من الجهل

---

(١) لسان العرب: ١٠/ ١٧٥.

الكثيف والبربرية الجموح»[١].

أما تعريف الغربيين للاستشراق فقد تراوح ما بين الدين واللغة، فهذا المستشرق الألماني بارت يذهب إلى القول بأن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة، وبما أن الكلمة مشتقة من كلمة شرق التي تعني مشرق الشمس، فإنه يرى أن الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي، ثم يحاول تحديد مفهوم الشرق وما تعنيه هذه الكلمة التي يعتقد هو شخصياً أنها تعرضت للتغيير والتبديل على مر العصور[٢].

في حين يقول مستشرق آخر هو آبري: «والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة ١٦٣٨م عندما أطلق على أحد رجال الكنيسة الشرقية، وهو صمويل كلاك، بأنه استشراقي نابه، وكان يعني في ذلك الوقت أنه عارف باللغات الشرقية»[٣].

إلا أن رأي آبري هذا لا يمكن التعويل عليه كثيراً، إذ من المعتقد أن الدراسات الاستشراقية بمفهومها العام كانت قد بدأت قبل هذا التاريخ بزمن طويل، والفترة التي شهدت ظهوراً واضحاً لمثل هذه الدراسات هي فترة الحروب الصليبية، فقد ظهرت حاجة الأوربيين الملحة إلى معرفة واسعة باللغة العربية من أجل التعرف على الدين الإسلامي، الأمر الذي تجاهلوه طوال القرون الماضية، وقد تكون هناك محاولات فردية من بعض نصارى الأندلس للتعرف على الدين الإسلامي سبقت الحروب الصليبية بحقبة من الزمن، وكانت هذه الفئة من النصارى الأوربيين معجبة جداً بالحضارة الإسلامية، لدرجة أنهم قلدوا المسلمين بلباسهم وعاداتهم وتقاليدهم، فأطلق عليهم أهل الأندلس لقب (المستعربون)، والأيام دول، كما أن بعض لشباب المسلمين يقلدون الغرب هذه الأيام بلباسهم

---

(١) الاستشراق بين التزوير والتضليل، ص ٢٣.

(٢) فلسفة الاستشراق: ص ٢٣.

(٣) المستشرقون البريطانيون: ص ٨.

وتقاليدهم، والناس بصورة عامة تجذب إلى التفوق والتحضر.

الأمر الآخر أدت حاجة الأوربيين في عصورهم الوسطى إلى المعارف الإسلامية، خاصة في العلوم التطبيقية: كالطب والرياضيات والكيمياء وغيرها، قد دفعتهم إلى تعلم اللغة العربية (لغة العلم في ذلك الزمان، كما أن اللغة الانكليزية هي لغة علم هذا الزمان)، وكانت الأندلس بمدارسها وجامعاتها، تمثل قمة ما يحلم به طالب العلم الأوروبي لنيل العلم والمعرفة، بعيداً عن الخرافات والشعوذة التي كانت سائدة في أوروبا في تلك العصور[١].

وخلاصة القول: أن لفظ مستشرق تطلق على كل من يهتم بالدراسات الخاصة بالعالم الإسلامي، سواء كانت هذه الدراسات دينية أو تاريخية أو اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية.

ولابد من التنبيه في هذا المقام إلى مسألة مهمة، حاول الغربيون بشكل خاصة تداركها في سبعينيات القرن الماضي، ذلك أنهم شعروا أن مصطلح (الاستشراق) لا يفي بمتطلبات التدليس على المسلمين، بل هو يأجج النفور بوجههم، فقدموا اقتراحاً إلى المؤتمر العالمي للدراسات الآسيوية والشمال الأفريقي سنة ١٩٧٣م بأن يتم الاستغناء عن هذا المصطلح، وأن يطلق على هذه المنظمة (المؤتمرات العالمية للدراسات الإنسانية وشمال أفريقيا)، ويبدو جلياً أن المعترضين على هذا المصطلح هم الغربيون بالدرجة الأساس، ذلك أنهم شعروا أن دراساتهم مرتبطة بالاستعمار القديم بالدرجة الأساس فكانت محاولتهم إلغاء مصطلح الاستشراق لما له من مدلول سلبي في أذهان الشعوب الإسلامية التي رزخت تحت الاحتلال الغربي[٢].

---

(١) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: ص ١١.

(٢) المصدر السابق.

**نشوء الاستشراق:**

في واقع الأمر لا يعرف بالضبط التاريخ الذي نشأه فيه الاستشراق كحركة فكرية ـ كما أشرنا إلى ذلك قبل قليل ـ يقول الدكتور مصطفى السباعي: ولا يعرف من هو أول غربي عُني بالدراسات الشرقية، ولكن من المؤكد أن بعض الرهبان النصارى قصدوا الأندلس في أبان عظمتها ومجدها، وتثقفوا بمدارسها، وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم، وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات.

ومن أوائل هؤلاء الرهبان الراهب الفرنسي (جربرت) الذي انتخب باباً لكنيسة روما سنة ٩٩٩م بعد تعلمه في معاهد الأندلس وعودته إلى بلاده، وبطرس المحترم (١٠٩٢ ـ ١١٦٥) و جيرار دي كريمون (١١١٤ ـ ١١٨٧)[١].

وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا الثقافة الإسلامية ومؤلفات أشهر علمائهم، ثم أسست المعاهد العربية في أوروبا أمثال مدرسة: (بادوي) العربية، وأخذت الأديرة والمدارس العربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية ـ وهي لغة العلم في جميع بلاد أوروبا يومئذ ـ واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب، وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة قرابة ستة قرون[٢].

على أن الاستشراق في بداية نشوئه وظهور أمره، قد قام على أكتاف رجال الدين النصارى، كما يتبين هذا من استقراء تاريخ الاستشراق، حيث كان الرهبان في طليعة المستشرقين، وقد ذكر نجيب العقيقي عدداً

(١) الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم: ص١٧.

(٢) الدكتور مازن مطبقاني، مركز المدينة للدراسات الاستشراقية، موقع على الشبكة العنكبوتية.

غير قليل من هؤلاء، منهم[١]:

* جربر أورغليك (٩٣٨ ـ ١٠٠٣م) الذي أنتخب (بابا) باسم سلفستر الثاني.

* بطرس المحترم (١٠٩٤ ـ ١١٥٦)، وكانت له رحلة إلى الأندلس عاد بعدها إلى ديره في فرنسا، وطفق يؤلف الكتب في الرد على المسلمين.

* الأسقف أوف تشستر: وأشتهر مع هرمان الدنماطي (مات سنة ١١٧٢م) في ترجمة القرآن الكريم باللاتينية عام ١١٤٣م بإيعاز من بطرس المحترم.

* توما الأكويني (١٢٢٥ ـ ١٢٧٤م) الذي ألف كتابه خنجر الإيمان وجعله في الرد على المسلمين واليهود، وكان قد اعتمد في كتابه هذا على حجج الغزالي وغيره ممن تصدوا لمجادلة الملاحدة.

ومن الآراء في نشأة الاستشراق أنه بدأ بقرار من مجمع فيينا الكنسي الذي دعا إلى إنشاء كراسي لدراسة اللغات العربية والعبرية والسريانية في عدد من المدن الأوروبية مثل باريس وأكسفورد وغيرهما، ولكن الباحث الإنجليزي ب.إم هولت يرى أن القرارات الرسمية لا يتم تنفيذها بالطريقة التي أرادها صاحب القرار لذلك فإن القرار البابوي هنا لا يعد البداية الحقيقية للاستشراق.

إن هذا التباين بين العلماء والباحثين حول تحديد بداية الاستشراق جاء في واقع الحال من كثرة اهتمام رجالات الغرب بعلوم الشرق خاصة في القرن العاشر الميلادي وما تلاه، ويتجه أكثر هؤلاء المؤرخين إلى تحديد حقبة زمنية لبدايته، وليس إلى تحديد سنة بعينها، وهناك من يقول

---

(١) المصدر السابق: ١/ ١١٠.

بأن بداية الاستشراق الأوربي كانت في القرن الثالث عشر الميلادي حيث صدر قرار مجمع فينا الكنسي عام ١٣١٢م بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوربية، وهناك من يقول بأنه بدأ في القرن العاشر الميلادي، بينا يذهب البعض إلى أنه بدأ في القرن الثاني عشر، حيث تمت فيه ترجمة القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة عام ١١٤٣م بتوجيه الأب فيزابل، وفي هذا القرن أيضاً ألف أول قاموس لاتيني ـ عربي، ويرى بعض الباحثين أنه بدأ في مطلع القرن الحادي عشر الميلادي(١).

ولاشك أن هذه البدايات لا تعد البداية الحقيقية للاستشراق الذي أصبح ينتج ألوف الكتب سنوياً ومئات الدوريات ويعقد عشرات المؤتمرات، وإنما تعد هذه جميعا كما يقول الدكتور النملة من قبيل الإرهاصات: وما أتى بعدها يعد من قبيل تعميق الفكرة، والتوسع فيها وشد الانتباه إليها، فالبداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم ـ ولا سيما بعد أن بنت أوروبا نهضتها الصناعية والعلمية ـ وأصبح فيها العديد من الجامعات ومراكز البحوث وأنفقت ولا تزال تنفق بسخاء على هذه البحوث قد انطلقت منذ القرن السادس عشر حيث بدأت الطباعة العربية فيه بنشاط فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر(٢).

ثم ازداد النشاط الاستشراقي بعد تأسيس كراس للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية مثل كرسي أكسفورد عام ١٦٣٨ وكامبريدج عام ١٦٣٢، يضاف إلى ذلك تأسيس الجمعيات العلمية مثل: الجمعية

---

(١) ينظر فلسفة الاستشراق، ص ٥٤؛ الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، ص ٤٢٩.

(٢) د. علي النملة، الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ٢٣.

الآسيوية البنغالية، والجمعية الاستشراقية الأمريكية، والجمعية الملكية الآسيوية البريطانية وغيرها، كان بمثابة الانطلاقة الكبرى للاستشراق؛ حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية فأسهمت جميعها إسهاماً فعّالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته فضلاً عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية، وكان من المشروعات الاستشراقية المهمة إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية في فرنسا برئاسة المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي التي كانت تعد قبلة المستشرقين الأوروبيين وساهمت في صبغ الاستشراق بالصبغة الفرنسية مدة من الزمن، وأيضاً بداية منظمة المؤتمرات العالمية للمستشرقين عام ١٨٧٣ في عقد مؤتمراته السنوية[١].

والرأي الراجح بتقديرنا حول نشأة الاستشراق أنه كان قد ظهر مبكراً في القرن العاشر الميلادي/الرابع الهجري عندما حصل أول احتكاك علمي بين المسلمين والنصارى وكان ميدانه في الأندلس، ثم تطور هذا الاتصال العلمي بصورة مستمرة خلال القرون التالية بحيث استمرت منافع الأوربيين العلمية من التراث الفكري والعلمي الإسلامي، وكان ذلك من أهم الأسس التي استندت عليها النهضة الأوربية الحديثة خلال القرون التي تلت أفول نجم الخلافة العباسية في بغداد، وسقوط الأندلس بيد نصارى أسبانيا.

ومع بداية القرن السادس عشر الميلادي، وظهور المطامع الغربية مترافقة مع حركة الاستكشافات الواسعة التي قام بها الأوربيون خارج قارتهم، ظهرت الحاجة ملحة للدراسات الاستشراقية بشكلها الحديث، والتي تعتمد على دراسة نقاط الضعف والخلل في العالم الإسلامي، وأطلق على من يعمل بهذا المجال لفظ (مستشرق).

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون: ١/ ١٤٠.

ثم أخذت مسيرة الاستشراق تتواصل عبر القرون والأجيال، تهيمن عليه تلك الروح العدائية للإسلام وأهله، غير أنها كانت تخفت حدتها لدى بعض المستشرقين المنصفين، لكنها ما تلبث أن تطل برأسها معلنة وجودها، ولم يسلم منها إلا طائفة قليلة، ولم يفت لعلماء اليهود أن يلحقوا بقطار الاستشراق، فيتعمق بهم ويتأصل تيار العداء للإسلام، ذلك التيار الفاحش الذي لا يزال فاعلاً وممتداً أفقياً ورأسياً.

وأخذ اهتمام الغربيين بالاستشراق يتزايد عاماً بعد عام، فينشئون الكراسي الخاصة به، وتعتني المعاهد التعليمية به في مختلف أرجاء أوروبا، كما أخذت الهيئات ـ الرسمية والخاصة ـ على حد سواء على عاتقها دعم الدراسات الاستشراقية، وأخذوا يغدقون عليها المنح والأموال، حتى إذا جاء القرن الثامن عشر الميلادي ـ وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكات الخلافة العثمانية ـ فإذا بعدد من علماء الغرب ينبغون في الاستشراق، ويصدرون لذلك المجلات في جميع الممالك الغربية.

وقد رافقت الحملات الاستعمارية للدول الغربية على العالم الإسلامي حملة شعواء لجمع المخطوطات العربية الإسلامية، والاستحواذ على الألف المجلدات من الكتب والوثائق المخطوطة، فكانوا يشترونها من أصحابها بثمن بخس، أو يسرقونها من المكتبات العامة التي كانت تعيش في فوضى عارمة وإهمال غير مسبوق، ثم قام المستشرقون بنقل هذه المخطوطات إلى بلادهم ومكتباتهم، وقد بلغت في أوائل القرن التاسع عشر مائتين وخمسين ألف مجلد، ومازال هذا العدد يتزايد حتى اليوم[١].

---

(١) د. إسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: ص ٢٥.

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عقد أول مؤتمر للمستشرقين في باريس سنة ١٨٧٣م، ثم تتالت المؤتمرات التي تلقى فيها الدراسات عن الشرق وأديانه وحضارته، ولا تزال تعقد حتى هذه الأيام.

ولا بد من الإشارة إلى أن الدعم المادي الكبير الذي تلقاه المستشرقون خاصة في بريطانيا وفرنسا وهولندا وألمانيا، قد كان له الأثر العظيم في تطور الاستشراق بصورة مطردة، إذ أسست مراكز الأبحاث في مختلف العواصم الأوربية، وأخذت مساحة بارزة في إطار المؤسسة الاستعمارية وأصبح الاستشراق والمستشرقون مرجعية مهمة لهذه الدول، حتى إذا ما وصلنا إلى القرن التاسع عشر أصبحت الدراسات الإسلامية تخصصاً قائماً بذاته داخل الحركة الاستشراقية العامة، وكان كثير من علماء الإسلاميات والعربية في ذلك الوقت ـ من أمثال: نولدكة وجولدتسهير وفلهاوزن ـ مشهورين في الوقت نفسه بوصفهم علماء في الساميات على وجه العموم، أو متخصصين في الدراسات العربية والإسلامية.

ويمكن القول أن تطور الاستشراق هذا التطور الكبير، وأخذه لهذه المساحة الواسعة ما كان ليصل إلى ما وصل إليه لولا الدعم الكبير الذي تلقاه على كافة الصعد من الدول الأوربية خاصة الاستعمارية منها، وقد دفع هذا الأمر خلقاً كثيراً من ركوب هذه الموجة، لمنافع خاصة وأغراض مختلفة، جديرة أن نوضحها ونجلي حقيقتها في الأوراق القادمة.

**الجمعيات الاستشراقية:**

تكونت الجمعيات الاستشراقية بعد أن سبقتها الكثير من الخطوات التي مهدت لها الظهور وسهَّلت لها خطة العمل، وقد سبقت الجمعيات غيرها من التجمعات الاستشراقية، وعملت على انعقاد المؤتمرات

العالمية للتعارف ولتبادل الأفكار والمقترحات، ومما ساعد على ذلك تحول هذا الحقل المعرفي إلى نوع من أنواع العلوم لها من يساندها، مثل الفروع الأخرى من طب وفلك وفيزياء وغيرها من العلوم المعرفية، واكتشافات الغرب لجغرافية الشرق وذخائره التراثية والفكرية والمادية، كما يطلقون عليها.

وتطلع الغرب لبسط نفوذه وساعده على ذلك ما يملكه من قوة عسكرية وصناعية واقتصادية، ساندهم في ذلك المنصرون ورجال الأعمال وذوي النفوذ من أجل بسط نفوذهم في الشرق.

وكان لتلك الجمعيات دور هام وبارز في تحقيق أهداف المستشرقين، وتتمثل فيما أعلنوه وما أخفوه، ومن الأمور المعلنة ما ذكرته (جمعية الاثيني الشرقية): من أنها تسعى لتحسين العلاقة بين الشرقيين والغربيين، وتحبيب النفس الغربية في الدراسات الاستشراقية، واكتشاف الشرق يعد الهدف الأول في رأيي؛ لأنه يمثل المعرفة المباشرة التي أسست الجمعيات من أجلها(١).

فدراسة الآثار والتاريخ والفنون والتراث، بمثابة الغطاء الذي تختفي تحته تلك الشعوب، فإذا ما عرف جدياً، أمكن للمستشرقين تقييمه وإظهار عيوبه، فإذا ما أرادوا إقناع تلك الشعوب بأن لباسهم لا يصلح استطاعوا ذلك، ويمكن لهم تحليل خصائصه والاعتماد عليه في صناعة لباس جديد لهم.

لذلك شرع علماء الغرب في تأسيس الجمعيات العلمية التي كانت بمنزلة نقطة الانطلاق الكبرى للاستشراق، حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت جميعها إسهاماً فعالاً في البحث

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلاً عما كان من أهداف استعمارية واستغلالية، غير أنها كانت من أقوى البواعث التي ساعدت علماء أوروبا على بلوغ هذه الغاية بتشكيل جمعيات آسيوية يعقد أصحابها جلسات قانونية، وينشرون البحوث المختلفة في كل فروع العلوم الشرقية، وقد أدى تأسيس الجمعيات التي تجمع القوى المتفرقة للدراسات الشرقية إلى ازدياد نشاطها واشتداد التنافس بينها؛ لأن الأعمال الكبرى لا تظهر فائدتها إلا باجتماع القوى المتفرقة[١].

**الجمعية الآسيوية:**

تأسست هذه الجمعية في باريس سنة ١٨٢٢م على يد المستشرق الفرنسي سلفستر دو سارس، الذي ترأس الجمعية حتى سنة ١٨٢٩م؛ وحاول سارس ضم أكبر عدد ممكن من المتخصصين في الدراسات الاستشراقية، وفي نيسان/إبريل سنة ١٨٢٢م تم الاجتماع الأول للجمعية، واختير فيه رئيس وأعضاء المجلس العلمي، وتم إقرار أهم المبادئ التي أنشأت من أجلها الجمعية، وتتمثل بالآتي[٢]:

١. إعداد أو نشر قواعد لغوية وقواميس للغات الشرقية خاصة اللغة العربية والفارسية وكذلك إعداد كتب أخرى أصلية معروفة بفوائدها وأهميتها من أجل التعرف على الثقافة الإسلامية.

٢. المساهمة في عقد اتفاقيات أو أية طريقة أخرى لطباعة المؤلفات العربية سواء في فرنسا أو في الخارج، ويفضل أن تترجم للفرنسية.

٣. اقتناء المخطوطات الإسلامية أو نسخها كلها أو أجزاء منها، ولا سيما الموجودة في أوروبا أو في الدول الواقعة تحت الاحتلال الفرنسي.

---

(١) محسن السويسي، مؤتمرات المستشرقين العالمية، ص ٢٨.

(٢) يوهان فوك، تاريخ حركة الاستشراق: ص ٢٠٥

٤. المساهمة في التأليف والتصنيف في مجال الجغرافية والتاريخ والعلوم الأخرى للبلدان الشرقية، وهي إمكانيات تتيح التعرف على أهم عوامل القوة والضعف في هذه البلدان.

٥. عمل دورية علمية تعتني بالبحوث الاستشراقية، وتصدر بشكل منتظم عن الجمعية.

وللمؤسسة هيكل إداري يتكون من: رئيس فخري ورئيس وسكرتير ونائبي رئيس، وثلاثة أعضاء متخصصون بالاعتمادات المالية، وأربعة عشرون عضواً وسكرتير ومحاسب، وبعد سبع سنوات دعمتها الحكومة الفرنسية من خلال قبولها في ١٥ نيسان/أبريل ١٨٢٩ كجمعية حكومية تحصل على معونات.

أما أهم مستشرقون فرنسا فهم:

١. **سيلفستر دي ساسي (١٧٥٨م ـ ١٨٣٨م)**[(١)]: كبير المستشرقين الفرنسيين، ولد في باريس عام ١٧٥٨م، وتعلم اللاتينية واليونانية، ثم درس على بعض القساوسة، وقد اعتنى باللغة العربية والفارسية والتركية، عمل في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وكتب العديد من البحوث حول العرب وآدابهم وحقق عدداً من المخطوطات، عين أستاذا للغة العربية في مدرسة اللغات الشرقية الحية عام ١٧٩٥م، وأعد كتاباً في النحو ترجم إلى الإنجليزية والألمانية والدنماركية، وأصبح مديراً لهذه المدرسة عام ١٨٣٣م، وعندما تأسست الجمعية الآسيوية انتخب رئيساً لها عام ١٨٢٢م، ومن أبرز اهتماماته: (الدروز)[(٢)] حيث ألف كتاباً حولهم في جزئين، وأصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين

(١) د. عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين: ص ٣٣٤.

(٢) فرقة باطنية إسماعيلية تؤلهّ الخليفة العبيدي الحاكم بأمر الله، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية، وهي تنسب إلى نشتكين الدرزي، نشأت بمصر، لكنها سرعان ما انتقلت إلى الشام، عقائدها خليط من عدة أفكار وأديان، كما أنها تؤمن بسرية أفكارها، فلا =

من جميع أنحاء القارة الأوروبية، كما عمل دي ساسي مع الحكومة الفرنسية وهو الذي ترجم البيانات التي نشرت عند احتلال الجزائر وكذلك عند احتلال مصر من قبل حملة نابليون عام ١٧٩٧م، وكان مقرباً جداً من الأخير، واشتهر في أوروبا كلها بكتاباته الاستشراقية.

**٢. لوي ماسنيون (١٨٨٣م ـ ١٩٦٢م)**[١]: من أشهر مستشرقي فرنسا، ولد في باريس وحصل على دبلوم الدراسات العليا في بحث عن المغرب، كما حصل على دبلوم اللغة العربية من مدرسة اللغات الشرقية الحية (فصحى وعامية)، زار كلاً من الجزائر والمغرب، وفي الجزائر انعقدت الصلة بينه وبين بعض كبار المستشرقين مثل: جولدزيهر وآسين بلاثيوس وسنوك هورخرونيه ولي شاتيليه، التحق بالمعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة عدة أعوام (١٩٠٧م ـ ١٩٠٨م) وفي عام ١٩٠٩م عاد إلى مصر وهناك حضر بعض دروس الأزهر، وكان مرتدياً الزي الأزهري، زار العديد من البلاد الإسلامية منها الحجاز والقاهرة والقدس ولبنان وتركيا، وكان قد عمل معيداً في كرسي الاجتماع الإسلامي في معهد فرنسا (١٩١٩م ـ ١٩٢٤م)، ثم أستاذ كرسي (١٩٢٦م ـ ١٩٥٤م) ومديراً للدراسات في المدرسة العلمية العليا حتى تقاعده عام ١٩٥٤م، لقد اشتهر ماسنيون باهتمامه بالتصوف الإسلامي وبخاصة بالحلاج حيث حقّق ديوان الحلاج[٢] (الطواسين)، وكانت رسالته للدكتوراه بعنوان (آلام الحلاج شهيد التصوف) في جزئين وقد نشرت في كتاب تزيد صفحاته

---

= تنشرها على الناس ولا تعلمها حتى لأبنائها إلا إذا بلغوا سن الأربعين، ينتشر الدروز اليوم في لبنان وسوريا وفلسطين المحتلة. ينظر للتفاصيل: الموسوعة الميسرة: ١/٤٠٠.

(١) موسوعة المستشرقين: ٥٢٩.

(٢) هو الحسين بن منصور بن محمد، المشهور بالحلاج، قال عنه الذهبي: تبرأ منه سائر الصوفية والمشايخ والعلماء لسوء سيرته ومروقه، ومنهم من نسبه إلى الحلول، ومنهم من نسبه إلى الزندقة وإلى الشعبذة، قتل بعد أن حكم عليه قضاة بغداد بالزندقة سنة ٣٠٩هـ. سير أعلام النبلاء: ١٤/٣١٣.

على ألف صفحة (ترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية)، وكان شديد التأثر به، حتى أنه كان يردد ـ على ما قيل ـ كثيراً قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الجنّ: ٢٢] وهي الآية التي رددها الحلاج عند تنفيذ الحكم بقتله ببغداد، وله اهتمام بالشيعة والتشيع خاصة فرق الباطنية منهم من أمثال: القرامطة والإسماعيلية والنصيرية، كما كانت تستهويه المذاهب الغالية في الإسلام، وعرف عن لويس صلته بالحكومة الفرنسية فقد عمل مستشاراً لها.

٣. **ريجي بلاشير (١٩٠٠م ـ ١٩٧٣م)**[١]: ولد في باريس وتلقى التعليم الثانوي في الدار البيضاء، وتخرج باللغة العربية من كلية الآداب بالجزائر، تولى العديد من المناصب العلمية منها أستاذ اللغة العربية في معهد مولاي يوسف بالرباط، ومدير معهد الدراسات المغربية العليا (١٩٢٤م ـ ١٩٣٥م)، وأستاذ كرسي الأدب العربي في مدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس وأستاذاً محاضراً في السوربون ثم مدير مدرسة الدراسات العليا والعلمية، ثم أستاذ اللغة العربية وحضارتها في باريس، من أبرز نتاجه ترجمته لمعاني القرآن الكريم وكذلك كتابه (تاريخ الأدب العربي) في جزئين وترجمه إلى العربية إبراهيم الكيلاني، وله أيضاً كتاب (أبو الطيب المتنبي: دراسة في التاريخ الأدبي)، أما عمله الأهم فهو ترجمته للقرآن الكريم إلى الفرنسية مع مقدمة طويلة وتفسير قصير، وقد رتب القرآن في هذه الترجمة وفقاً لما ظنه أنه ترتيب نزول السور والآيات؛ ألا أنه عاد ترتيب القرآن الكريم حسب ترتيبه الأصلي في الطبعة الثانية لترجمته سنة ١٩٥٧.

٤. **مكسيم رودنسون**[٢]: ولد في باريس في ٢٦ يناير ١٩١٥م، وحصل على الدكتوراه في الآداب ثم على شهادة من المدرسة الوطنية

(١) موسوعة المستشرقين: ص ١٢٧.
(٢) المصدر السابق: ص ٢٨٢.

للغات الشرقية الحية والمدرسة العلمية العليا، تولى العديد من المناصب العلمية في كل من سوريا ولبنان في المعاهد التابعة للحكومة الفرنسية هناك، تولى منصب مدير الدراسات في المدرسة العلمية للدراسات العليا/قسم العلوم التاريخية واللغوية، ثم محاضراً فيها قسم العلوم الاقتصادية والاجتماعية، نال العديد من الأوسمة والجوائز من الجهات العلمية الفرنسة والأوروبية، له العديد من المؤلفات منها (الإسلام والرأسمالية) و(جاذبية الإسلام) و(محمد) ﷺ، و(إسرائيل والرفض العربي)، وله العديد من الدراسات التاريخية، والتاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي.

**الجمعية الملكية الآسيوية لبريطانيا وأيرلندا:**

تأسست في ١٥ آذار/مارس من سنة ١٨٢٣، وكانت لها أهداف شبيه بالجمعية الفرنسية، كما وضعت لنفسها منهجاً علمياً، وهو دراسة تراث الشعوب الآسيوية، وبلغ عدد أعضائها ثلاثمائة وأربعة وعشرين عضواً، وقد ساهمت الجمعية في نشر البحوث الشرقية عن طريق مساعدة المستشرقين ونشر الكتب المهمة، وجعل اللغات الشرقية إحدى اللغات التي يدرس بها في جامعات بريطانيا، وكانت من ثمرة هذه الجمعية تأسيس كلية الدراسات الشرقية في لندن التي نادت بتأسيسها منذ وقت مبكر. وتأسست مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية عام ١٩١٦م، وانتقل إليه بعض المستشرقين الكبار من أمثال توماس آرنولد والفرد جيوم وغيرهما، واستمرت المدرسة في النمو والازدهار حتى أصبحت المركز الاستشراقي الأول في بريطانيا، بل تنافس أكبر المراكز الاستشراقية في العالم(١).

(١) موسوعة المستشرقين: ص ٥٢٩.

واحتاجت الحكومة البريطانية إلى إعادة النظر في أوضاع الدراسات العربية والإسلامية بعد الحرب العالمية الثانية، فكلفت لجنة برئاسة سير وليام هايتر عام ١٩٦١م للقيام بهذا العمل، وقدمت مؤسسة روكفللر دعماً مالياً لهذه اللجنة لزيارة عشر جامعات أمريكية وجامعتين كنديتين، للإفادة من التجربة الأمريكية في مجال الدراسات العربية الإسلامية، وقدمت اللجنة تقريرها الذي تضمن خلاصة الرحلة الأمريكية ومقابلات مع المسؤولين عن الدراسات العربية الإسلامية في الجامعات البريطانية، وجاءت التوصيات من جديد لدعم هذه الدراسات والإفادة من الخبرة الأمريكية[(١)].

**ومن أعلام المستشرقين الإنكليز:**

١. **ديفيد صموئيل مرجليوث (١٨٥٨م ـ ١٩٤٠م)**[(٢)]: بدأ حياته العلمية بدراسة اليونانية واللاتينية ثم اهتم بدراسة اللغات السامية فتعلم العربية، وترجم قسماً من تفسير البيضاوي، وفي سنة ١٩٠٥م بدأ نشر دراساته عن الإسلام، منها كتابه (محمد [ﷺ] ونشأة الإسلام)، ثم ألقى محاضرات عن تطور الإسلام في بدايته نشرت بعدها سنة ١٩١٤؛ والمعروف عن الدراسات والكتب التي نشرها مرجليوث أنها كانت غير علمية وفيها تحامل شديد ضد الإسلام، مما جعلها تثير السخط عليه ليس عند المسلمين فقط بل وعند كثير من المستشرقين، ومع ذلك اختاره المجمع العربي في دمشق عضواً مراسلاً له في سنة ١٩٢٤م، ولهذا فإن فضل مرجليوث ينبغي إن لا يلتمس لا في هذه الأبحاث المغرضة بل في نشراته الكثيرة، وعلى رأسها نشره لكتاب معجم الأدباء لياقوت الحموي، ونشوار المحاضرة للتنوخي وتجارب الأمم ابن مسكويه وغيرها.

---

(١) الاستشراق بين التزوير والتضليل، ص ٥٦.

(٢) سعدون الساموك، مناهج المستشرقين: ص ١٩.

**٢. توماس وولكر آرنولد (١٨٦٤م ـ ١٩٣٠م)**[١]: بدأ حياته العلمية في جامعة كامبردج حيث أظهر حبه للغات فتعلم العربية، ثم انتقل للعمل باحثاً في جامعة على كرا في الهند حيث أمضى هناك عشر سنوات، ألف خلالها كتابه المشهور (الدعوة إلى الإسلام)، ثم عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة لاهور، وفي عام ١٩٠٤م عاد إلى لندن ليصبح أميناً مساعداً لمكتبة إدارة الحكومة الهندية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية، وعمل في الوقت نفسه أستاذاً غير متفرغ في جامعة لندن، واختير عام ١٩٠٩م ليكون مشرفاً عاماً على الطلاب الهنود في بريطانيا، ومن المهام العلمية التي شارك فيها عضوية هيئة تحرير الموسوعة الإسلامية التي صدرت في ليدن بهولندا في طبعتها الأولى والتحق بمدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن بعد تأسيسها عام ١٩١٦م، عمل أستاذاً زائراً في الجامعة المصرية عام ١٩٣٠م، وله عدة مؤلفات سوى كتابه الدعوة إلى الإسلام ومنها (الخلافة) وكتاب حول العقيدة الإسلامية وشارك في تحرير كتاب تراث الإسلام في طبعته الأولى، بالإضافة إلى العديد من البحوث في الفنون الإسلامية. بالرغم من شهرة آرنولد بأنه من المستشرقين المعتدلين فإن البحث الدقيق في كتاباته تدل على أنه يشارك غيره من المستشرقين في الطعن في الإسلام بأسلوب هادئ وبخاصة في كتابه الخلافة وفي كتابه الدعوة إلى الإسلام.

**٣. هاملتون جب (١٨٩٥ ـ ١٩٧١م)**[٢]: ولد هاملتون جب في الإسكندرية في ٢يناير ١٨٩٥م، انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك، ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية، ثم التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية، عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام

(١) موسوعة المستشرقين: ص ٩.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٧٤.

١٩٢١م، وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذاً للغة العربية عام ١٩٣٧م، وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد، انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة، بالإضافة إلى اهتمامه اللغوي فقد أضاف إلى ذلك الاهتمام بتاريخ الإسلام وانتشاره، وقد تأثر بمستشرقين كبار من أمثال تومارس آرنولد وغيره، من أبرز إنتاج جب (الفتوحات الإسلامية في آسيا الوسطى) سنة ١٩٣٣م و(دراسات في الأدب العربي المعاصر) وكتاب (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) وشارك في تأليف (إلى أين يتجه الإسلام)، وقد انتقل جب من دراسة اللغة والآداب والتاريخ إلى دراسة العالم الإسلامي المعاصر، وهو ما التفت إليه الاستشراق الأمريكي حينما أنشأ الدراسات الإقليمية أو دراسات المناطق، وله كتاب بعنوان (المحمدية) ثم أعاد نشره بعنوان (الإسلام)، وله كتاب عن الرسول ﷺ، يقول عبد الرحمن بدوي في حق جب: وقد نال في حياته كثيراً من ألقاب التشريف التي لا يستحقها علمياً، والواقع أن هاملتون جب كانت شهرته فوق قيمته العملية، وإنتاجه أدنى كثيراً من الشهرة التي حظي بها.

٤. **مونتجمري وات**[(١)]: ولد في كريس فايف في ١٤مارس ١٩٠٩م، والده القسيس أندرو وات درس في كل من أكاديمية لارخ ١٩١٤ ـ ١٩١٩ وفي كلية جورج واتسون بإدنبرة وجامعة أدنبره ١٩٢٧م ـ ١٩٣٠م وكلية باليول بأكسفورد ١٩٣٠م ـ ١٩٣٣م وجامعة جينا بألمانيا ١٩٣٣م، وبجامعة أكسفورد وجامعة أدنبرة في الفترة من ١٩٣٨م إلى١٩٣٩م، ومن ١٩٤٠م إلى ١٩٤٣م على التوالي، عمل راعياً لعدة كنائس في لندن وفي أدنبرة، ومتخصص في الإسلام لدى القس الأنجليكاني في القدس، وبعد

(١) موسوعة المستشرقين: ص ٦٢٣.

تقاعده عاد إلى العمل في المناصب الدينية، عمل رئيساً لقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة أدنبره في الفترة من ١٩٤٧ ـ ١٩٧٩م، وقد نال درجة الأستاذية عام ١٩٦٤، دعي للعمل أستاذاً زائراً في كل من الجامعات الآتية: جامعة تورنتو ١٩٦٣و١٩٧٨م وكلية فرنسا في باريس عام ١٩٧٠م، وجامعة جورج تاون بواشنطن عام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م، أصدر العديد من المؤلفات من أشهرها (محمد ـ ﷺ ـ في مكة) و(محمد [ﷺ] في المدينة) و (محمد [ﷺ] نبي ورجل دولة) و(الفلسفة الإسلامية والعقيدة) و(الفكر السياسي الإسلامي) و(تأثير الإسلام في أوروبا القرون الوسطى) و(الأصولية الإسلامية والتحديث) و(العلاقات الإسلامية النصرانية)، ومن آخر كتبه (حقيقة الدين في عصرنا) سنة ١٩٩٦م، وكتاب (الفترة التكوينية للفكر الإسلامي) سنة ١٩٩٨م، و(موجز تاريخ الإسلام) سنة ١٩٩٥م وغيرها كثير، وقد تقاعد قريباً ويعمل حالياً راعياً لإحدى الكنائس في منطقة إدنبرة.

٥. **آرثر جون آربري (١٩٠٥م ـ ١٩٦٩م)**(١): ولد في ١٢مايو ١٩٠٥م في مدينة بورتسموث بجنوب بريطانيا، التحق بجامعة كامبريدج لدراسة اللغات الكلاسيكية اللاتينية واليونانية، وشجعه أحد أساتذته (منس) على دراسة العربية والفارسية، فارتحل إلى مصر لمواصلة دراسته للغة العربية، عاد بعدها إلى مصر ليعمل في كلية الآداب رئيساً لقسم الدراسات القديمة (اليونانية واللاتينية)، وكان قد زار فلسطين وسوريا ولبنان خلال مدة أقامته بمصر، وقد اهتم بالأدب العربي فترجم مسرحية مجنون ليلي لأحمد شوقي، كما حقق كتاب (التعرف إلى أهل التصوف)، كما واصل اهتمامه بالتصوف وذلك بنشره كتاب (المواقف والمخاطبات) للنفري وترجمه إلى الإنجليزية، عمل آربري مع وزارة الحرب البريطانية في أثناء

(١) موسوعة المستشرقين: ص ٥.

الحرب العالمية الثانية مهتماً بشؤون الإعلام والرقابة البريدية، وأصدر كتابه (المستشرقون البريطانيون) سنة ١٩٤٣م، ثم تولى منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية، انتقل بعدها لجامعة كمبردج ليحتل منصب أستاذ كرسي اللغة العربية في هذه الجامعة، ولعل من أبرز جهود آربري ترجمته لمعاني القرآن الكريم للغة الانكليزية، حيث أصدر أولاً مختارات من بعض آيات القرآن الكريم مع مقدمة طويلة ثم أكمل الترجمة وأصدرها عام ١٩٥٥م.

٦. **برنارد لويس**(١): ولد لويس في ٣١مايو ١٩١٦م وهو يهودي، وتلقى تعليمه الأول في كلية ولسون والمدرسة المهنية حيث أكمل دراسته الثانوية ولا تذكر المراجع أية معلومات عن تلقيه تعليماً دينياً يهودياً خاصاً، التحق بجامعة لندن لدراسة التاريخ ثم انتقل إلى فرنسا للحصول على دبلوم الدراسات السامية سنة١٩٣٧م متتلمذاً على يد المستشرق الفرنسي ماسنيون وغيره، ثم عاد إلى جامعة لندن، مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية وحصل على الدكتوراه عام ١٩٣٩م عن رسالته القصيرة حول (أصول الإسماعيلية)(٢)، استدعي في أثناء الحرب العالمية الثانية لأداء الخدمة العسكرية، وأعيرت خدماته لوزارة الخارجية من سنة ١٩٤١م حتى ١٩٤٥م، عاد بعد الحرب إلى مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية لتدريس التاريخ الإسلامي، وأصبح أستاذ كرسي التاريخ

---

(١) وللدكتور مازن صلاح مطبقاني، دراسة موسعة عن هذا المستشرق بعنوان: (منهج المستشرق برنارد لويس في دراسة الاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي) وهي أطروحته للدكتوراه، نشرتها مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض بعنوان (الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي). ص ٦٩ وما بعدها.

(٢) **الإسماعيلية**: فرقة باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق، ظاهرها التشيع لآل البيت، وحقيقتها هدم عقائد الإسلام، تشعبت فرقها وامتدت عبر الزمان حتى وقتنا الحاضر، وحقيقتها تخالف العقائد الإسلامية الصحيحة، ومعروف عنها غلوها الشديد. الموسوعة الميسرة في المذاهب المعاصرة: ١/ ٣٨٦.

الإسلامي عام ١٩٤٩م، ثم أصبح رئيساً لقسم التاريخ عام ١٩٥٧م وظل رئيساً لهذا القسم حتى انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٧٤م، حيث دُعِي للعمل أستاذاً زائراً في العديد من الجامعات الأمريكية والأوربية، منها جامعة كولمبيا وجامعة انديانا وجامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس، وجامعة أكلاهوما وجامعة برنستون التي انتقل إليها وعمل فيها من ١٩٧٤م حتى تقاعده عام ١٩٨٦م، وهنا عيّن مديراً مشاركاً لمعهد أنانبرج اليهودي للدراسات اليهودية والشرق أوسطية في مدينة فيلاديلفيا بولاية بنسلفانيا، يعد لويس من أغزر المستشرقين إنتاجاً (وإن كان له قدرة على إعادة نشر بعض ما سبق نشره بصور أخرى) وقد تنوعت اهتماماته من التاريخ الإسلامي حيث كتب عن الإسماعيلية وعن الحشاشين وعن الطوائف المختلفة في المجتمع الإسلامي، إلى الحديث عن المجتمع الإسلامي، ولكنه في السنوات الأخيرة قبل تقاعده بقليل بدأ الاهتمام بقضايا العالم العربي والإسلامي المعاصرة، فكتب عن الحركات الإسلامية (الأصولية) وعن الإسلام والديمقراطية، كما قدم خدماته واستشاراته لكل من الحكومة البريطانية التي كلفته القيام برحلة إلى العديد من الجامعات الأمريكية وإلقاء الأحاديث الإذاعية والتلفازية عام ١٩٥٦م كما قدم استشارته للكونجرس الأمريكي أكثر من مرة، وفي إحدى المرات (٨مارس ١٩٧٤م) ألقى محاضرة في أعضاء لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس الأمريكي حول قضية الشرق الأوسط؛ ولأهمية هذه المحاضرة نشرتها وزارة الخارجية الصهيونية بعد أسبوعين من إلقائها.

**الجمعية الشرقية الأمريكية:**

أعلن عن قيام هذه الجمعية في شهر آب/أغسطس من سنة ١٨٤٢ (رجب ١٢٥٨هـ) بمدينة بوسطن، وانتخب جون بكيرينج أول رئيس لها،

ولم يكن كل الأعضاء المؤسسين من الشخصيات العلمية المرتبطة بمجال الدراسات الشرقية التي تعني بها الجمعية، كما أن الجمعية كانت ذات ارتباط وثيق منذ تأسيسها بالجمعيات التنصيرية الخارجية[١].

وكانت الخطة العلمية للجمعية تدور حول اللغات الآسيوية والعبرية والأفريقية، والبحث في الدراسات المصرية والفينيقية والقرطاجية والدراسات الفارسية والمسمارية[٢]، والهدف الأساسي لها التنصير، ولم تقتصر على ذلك بل اهتمت بكل ما هو استشراقي، كما اهتمت بالجمعيات الاستشراقية الأخرى في العالم خاصة في أوروبا وأقامت معها صلات علمية وثيقة.

ومن أهم أعمالها مساهمتها في إنشاء مدرسة في بيروت للدراسات الأثرية والإنجيلية كما أصدرت مجلة (الشرق الأوسط) التي تعنى بنشر أفكار الجمعية الاستشراقية، وتملك الجمعية مكتبة ضخمة فيها الكثير من الوثائق والمخطوطات، ولها مراسلون في الدول الشرقية يمدونهم بكل ما يلزمهم، وبالتقارير التي تفيدهم في كيفية العمل وتناقش في اجتماعاتهم.

**أما أهم المستشرقين الأمريكان فهو:**

١. **ماكدونلد (١٨٦٣ ـ ١٩٤٣م)**[٣]: ولد في بريطانيا، وإقامته في أمريكا، كان شديد التعصب للنصرانية، وصرف مجالاً كبيراً من حياته في النشاط التنصيري، أما نشاطه الاستشراقي فقد انصب على دراسة علم الكلام عند المسلمين، وله في هذا الباب: كتاب (تطور علم الكلام

---

(١) تاريخ حركة الاستشراق: ص ٢٩٠.

(٢) المسمارية: لغة بلاد الرافدين القديمة، وقيل أنها أول كتابة ظهرت في تاريخ البشرية، وسميت مسمارية لأن حروفها تشبه المسمار، وكانت تكتب على الألواح الطينية ثم تجفف.

(٣) موسوعة المستشرقين: ص ٥٣٨.

والفقه والنظرية الدستورية في الإسلام) و (حياة الغزالي).

**٢. جوستاف فون جرونباوم (١٩٠٩م ـ ١٩٧٢م)**[(١)]: ولد في فينا في ١/٩/١٩٠٩م، درس في جامعة فينا وفي جامعة برلين، هاجر إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة نيويورك عام ١٩٣٨م، ثم جامعة شيكاغو ثم استقر به المقام في جامعة كاليفورنيا حيث أسهم في تأسيس مركز دراسات الشرق الأوسط الذي أطلق عليه اسمه فيما بعد، من أهم كتبه الإسلام في العصر الوسيط، كما اهتم بدراسة الأدب العربي وله إنتاج غزير في هذا المجال.

**جمعية المستشرقين الألمان:**

تم تأسيس الجمعية بعد اختلاف واحتدام نقاش، فقد كانوا يريدون إنشاء جمعية آسيوية مثل باقي الجمعيات الأوربية، ولكنهم أسموها الجمعية الشرقية، ثم تم تغييرها إلى جمعية المستشرقين الألمان، وقد كان مكتبهم المؤقت تحت رئاسة المستشرق فلايشر ونائبه روديجر، ووضعت الجمعية خطة علمية، وهي لا تختلف عن الجمعيات السابقات لها، فهي معنية بدراسة الشرق بمختلف جوانبه من تاريخ وفنون وآثار وخلافة[(٢)].

وقد تميزت تلك الجمعية بالإمكانيات الضخمة التي جعلتها تخطط للعمل بحرية دون التقييد بالميزانية، فقد كانت الحكومة البروسية (التسمية القديمة لألمانيا) تقدم المعونة لها سنوياً، وكذلك ولي كان عهد السويد والنرويج والنمسا يمدونها بالمال إضافة إلى باقي الموارد التي تدر عائداً مادياً كبيراً.

---

(١) موسوعة المستشرقين: ١٧٤.

(٢) تاريخ حركة الاستشراق: ص ٢٥١.

**١. يوليوس فيلهاوزن (١٨٤٤ ـ ١٩١٨م)**[١]: تخصص في دراسة التاريخ الإسلامي والفرق الإسلامية، من أبرز إنتاجه تحقيق تاريخ الطبري، وألف كتاباً بعنوان (الإمبراطورية العربية وسقوطها)، ومن اهتماماته بالفرق الإسلامية تأليف كتابيه (الأحزاب المعارضة في الإسلام)، وكتابه (الخوارج والشيعة)، وكتب عن الرسول ﷺ في كتابه (تنظيم محمد [ﷺ] للجماعة في المدينة) وكتابه (محمد [ﷺ] والسفارات التي وجهت إليه).

**٢. ثيودور نولدكه (١٨٣٦ ـ ١٩٣٠م)**[٢]: ولد في هامبرج في ٢مارس ١٨٣٦، ودرس فيها اللغة العربية، ودرس في جامعة ليبزيج وفينا وليدن وبرلين، ثم عيّن أستاذاً للغات الإسلامية والتاريخ الإسلامي في جامعة توبنجن، وعمل أيضاً في جامعة ستراستبرج، اهتم بالشعر والجاهلي وبقواعد اللغة العربية، وأصدر كتاباً بعنوان (مختارات من الشعر العربي) من أهم مؤلفاته كتابه (تاريخ القرآن) نشره عام ١٨٦٠م، وهو رسالته للدكتوراه، وفيه تناول ترتيب سور القرآن الكريم، وحاول أن يجعل لها ترتيباً ابتدعه، ذكر عبد الرحمن بدوي أن نولدكه يعد شيخ المستشرقين الألمان.

**٣. كارل بروكلمان (١٨٦٨ ـ ١٩٥٦)**[٣]: ولد في ١٧ سبتمبر ١٨٦٨م في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة بالإضافة إلى اللغات الشرقية اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية) ودرس على يدي المستشرق نولدكه اهتم بدراسة التاريخ الإسلامي وله في هذا المجال كتاب مشهور (تاريخ الشعوب الإسلامية)، ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام، ومن

(١) موسوعة المستشرقين: ص ٤٠٨.
(٢) المصدر السابق: ص ٥٩٥.
(٣) المصدر السابق: ص ٩٥.

أشهر مؤلفاته كتاب (تاريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات ووصفها ومكان وجودها.

وهناك عدد من آخر من المستشرقين في الدول الأوربية الأخرى، مثل هولندا التي لم يكن الاستشراق فيها يختلف عن باقي البلدان الأوربية، إن لم يكن أكثر تعصباً، بسبب قربها من البابوية الكاثوليكية مدفوعة بروح التنصير الغالية، وأهم ما يميز الاستشراق الهولندي وجود مؤسسة برل التي تولت طباعة دائرة المعارف الإسلامية في طبعتيها الأولى والثانية، كما تقوم هذه المؤسسة بطباعة الكثير من الكتب حول الإسلام والمسلمين.

ومن أبرز المستشرقين الهولنديين سنوك هورخرونيه الذي ادعى الإسلام وتسمى باسم الحاج عبد الغفار، وذهب إلى مكة المكرمة ومكث ستة أشهر حتى طردته السلطات من هناك، فرحل إلى إندونيسيا ليعمل مع السلطات الهولندية المحتلة لتدعيم الاحتلال في ذلك البلد الإسلامي، ومن أعلام الاستشراق الهولندي أيضاً دي خويه (ت١٩٠٩م) وفنسنك صاحب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، وله كتاب في العقيدة الإسلامية، وكذلك المستشرق منسنك والمستشرق دوزي[١].

أما الاستشراق في إيطاليا فقد سبق الدول الأوربية الأخرى، بسبب وجود الفاتيكان في روما وتشجيعها الدءوب لهذه الدراسات، من هنا صدر القرار البابوي بإنشاء ستة كراسٍ لتعليم اللغة العربية في باريس ونابولي وسالونيكا وغيرها، وقد تعاون مجموعة من نصارى الشام مع الكنيسة الكاثوليكية لنشر الديانة الكاثوليكية في المشرق، وقد بدأ هذا

(١) د. قاسم السامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، ص ١٠٢.

التعاون باتحاد الكنيستين المارونية والكاثوليكية عام ١٥٧٥م، وقام المارونيون بترجمة العديد من كتب اللاهوت إلى اللغة العربية.

واستمر اهتمام إيطاليا بالعالم الإسلامي، وظهر مستشرقون في المجالات المختلفة ومن هؤلاء على سبيل المثال المستشرق الأمير كايتياني الذي أصدر مؤلفه الكبير(حوليات الإسلامي)، ومنهم أيضاً المستشرق كارلو نيللو الذي درّس الفلك والأدب في جامعة القاهرة[١].

**الاستشراق المعاصر:**

إن تطور نمط الحياة ووسائل العلم والمعرفة، خاصة على صعيد الاتصالات والمعلوماتية وبقية جوانب العصر، وما شهدته الحقبة الأخيرة من القرن الماضي من قفزات كبيرة في مجال العلم والتكنولوجيا، لم يعد هناك عالم واحد أو علم واحد اسمه الاستشراق، بل هناك عوالم متباينة يحمل كل منها عنوان المجال الذي يهتم فيه، بل وجدنا من المستشرقين في الوقت الحاضر من يذهبون إلى إصدار الكتب والمقالات التي تعني بقضايا الساعة.

ويرى بعض الباحثين من المسلمين: إن سبب زيغ الاستشراق عن مجاله وموضوعاته التقليدية قد بدأ مع استقلال الدول العربية سياسياً، كما بدأ تحررها الفكري والحضاري أيضاً، ولم يعد المستشرقون يجدون تلك الحرية القديمة التي مارسوها طويلاً، كما أصبح المسلمون على وعي شرعي وفكري، فباتوا ينظرون نظرة شك أو حذر إلى كتابات وأبحاث المستشرقين، ولذا بدأ انكماش الاستشراق، ورأى المستشرقون أن يبحثوا لهم عن مجال نشاط وميدان غير الميدان العربي[٢].

(١) نجيب العقيقي، المستشرقون: ١/ ٢١٠.

(٢) محمود حمد زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٥.

وقد بدأوا بالفعل في السنوات القلية الماضية بتغيير وجهتهم في البحث وساروا نحو ميادين المعرفة الجديدة؛ لتزويق دراساتهم عن الشرق والإسلام بدم جديد ونفس آخر، فاتجهوا صوب العلوم الإنسانية والدراسات الاجتماعية وأحيانا السياسية، وخلقوا أشكالاً جديدة تتمحور حول دراسة المناطق والحضارات والثقافات، فتغير بذلك مسار الاستشراق رغم انه احتفظ بكل مقوماته وأغلب سماته، إلا أنه أصبح يتبنى العلمية للوصول إلى أهدافه (شأنهم بذلك شأن كل مرافق الحياة عندهم) انطلاقاً من مقولة الفيلسوف الأنجليزي (برتراند راسل): «كان العلم وسيلة لمعرفة العالم، أما اليوم فقد أصبح وسيلة لتغيير العالم»، وما نشاهده اليوم من تأثير واضح جدا للعلم والمعرفة والاكتشافات والتقنيات الغربية على نمط حياتنا وأسلوب عيشنا وسلوكياتنا خير دليل على ذلك[١].

ونتيجة لهذا ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية دراسات عديدة، وجرت جهود كثيرة كان هدفها هو إعادة هيكلية البحوث الاستشراقية والتخصصات، وذلك على نطاق نظم التعليم في الجامعات والمعاهد العليا ذات العلاقة، فبدأ تغيير منهاج التعليم لدراسة المناطق ومن ضمنها دراسات الشرق الأوسط ولكن بأساليب وعناوين جديدة مثل: (السوسيولوجيا وعلم الإحصاء، و الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس والإدارة والسياسة والاقتصاد) وما إلى نلك.

إن هذه السلوكية الجديدة للاستشراق تتفق تماماً والمصالح الغربية وأطماعها من جهة، كما تتفق مع الثقافة والرؤى الفكرية والعلمانية التي تسيطر على توجهات الكثير من المفكرين الغربيين من جهة أخرى، فقد

---

(١) المصدر السابق.

كانوا في القرن الثامن عشر الماضي يهتمون بالتبشير متسترين بلباس بناء المدارس والقنصليات والمستشفيات، وكان الإنجليز هم رواد تلك الحقبة، وذلك الواقع الأكثر ظهورا على الساحة، ولكن بعد ولوج الأمريكيين ميدان الدراسات الاستشراقية، أصبحوا يرفعون شعارات (الرسالة الإنسانية تارة والديمقراطية تارة أخرى)، والتي تنادي بحقوق القوميات في منطقة الشرق الأوسط، وحق تقرير المصير وحق التطور ومواكبة العصر وما شابه ذلك، عن طريق استغلال كافة الموارد المادية والثروات الطبيعة (وما أشبه اليوم بالأمس) ومن أجل ذلك أسسوا المنظمات والمعاهد، وأقيمت المؤتمرات وتعددت الأبحاث عن الشرق الأوسط، حتى بلغت اليوم ما يريدون تسميته بالشرق الأوسط الجديد أو الشرق الأوسط الكبير(١).

والميزة التي ميزت الاستشراق في العصر الحالي: هو تركيزه على الدراسات الاجتماعية والسياسية التي شهدت اهتماماً واسعاً من قبل الدول الغربية، خاصة مراكز الأبحاث في الولايات المتحدة الأمريكية التي قطعت شوطاً كبيراً في هذا الاتجاه، ولذلك يحث أحد الساسة الألمان مستشرقيه على إتباع أساليب جديدة قائلاً: «لقد آن الأوان كي يبتعد المستشرقون باهتماماتهم عن اللهجات العربية، ويعدوا أنفسهم لتقبل الدور الجديد كطاقة فاعلة في خدمة العلوم الاجتماعية، وكاحتياطيين للقيام بمهمة الترجمة والشرح في ميادين العمل المختلفة»(٢).

وكنا أشرنا في موضوع سابق إلى أن الدعم المالي للاستشراق يشكل العنصر الأهم في ديمومة الدراسات الاستشراقية، ويؤكد البعض أن هذا

(١) أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ١١٠.
(٢) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ٥٤.

الدعم كان قد بدأ يقل بصورة مقلقة لهذه الأوساط، وإن تحول الدعم إلى دعم موجه وفقاً لشروط الممولين، يقول (أوليريش هارمان): «وطبعاً هناك أيضاً الضغط الملح من قبل أولئك الذين يقدمون الأموال لدعم النتائج التي تؤدي إلى احتواء العالم العربي الإسلامي والتشبث به، باعتباره منطقة اضطراب، حيث تكمن اهتمامات الرب ومصالحه»[١].

وقد أصبح لفظ مستشرق يثير كثيراً من التساؤلات في العالم الإسلامي، فضلاً عن العالم الغربي، فوجدنا المستشرقين أنفسهم يتخلون عن هذا المصطلح إلى مصطلحات جديدة أملتها التغييرات السياسية الكبيرة التي حدثت في العالم الإسلامي، مثل لقب (باحث في شؤون الشرق الأوسط) التي أصبحت من أكثر العبارات رواجاً بين الدارسين للدول الإسلامية في العالم الغربي، خاصة في الولايات المتحدة.

وقد قام الباحث المعروف في شؤون الاستشراق د. مازن مطبقاني بإحصاء مراكز الأبحاث التي تعتبر امتداداً للمدارس الاستشراقية، وقدم هذه الإحصائية في المؤتمر الخامس في جامعة اليرموك، وأهم هذه المراكز[٢]:

**أولاً: قسم دراسات الشرق الأدنى بجامعة نيويورك:**

يعمل هذا القسم تحت اسم مركز كيفوركيان لدراسات الشرق الأدنى، ومن أبرز نشاطاته عقد ندوات حول المسلمين في أوروبا، ومن الخدمات التي يقدمها، الدراسات الاجتماعية والسياسية والفكرية والمتعلقة بالدول العربية، ففي تقرير نشر على موقع المركز في فبراير عام

(١) المصدر السابق، ص ٥٨.

(٢) مؤتمر الرابطة العربية الأمريكية لأساتذة الاتصال: الاتصال وثقافة الديمقراطية (١٢-١٥ تشرين الثاني ٢٠٠٠م).

٢٠٠٠م بيان بالنشاطات التي ستعقد في المركز خلال الفترة من يناير إلى يوليه ٢٠٠٠م وتقدم النشرة معلومات دقيقة عن هذه النشاطات وكيفية الاشتراك فيها وحضورها، ومن هذه النشاطات (الأندلس: إسبانيا الإسلامية) و (توضيح الاستشراق) وغيرها.

**ثانياً: جامعة جورجيا:**

يقدم هذا الموقع صفحة البروفسور ألن جودلاس تحت عنوان (الإسلام والعالم الحديث والغرب) ومن فقرات الموقع ما يأتي:

* الإسلام في الولايات المتحدة، وفيه اهتمامات بالمجلس الإسلامي الأمريكي.

* تأثير الإسلام في الولايات المتحدة في الوقت الحاضر.

* الأقلية الإسلامية في أمريكا وبريطانيا.

* النساء الأمريكيات المسلمات.

* الإسلام والعالم الإسلامي والقضايا المعاصرة.

* الإسلام والسلام والعنف والإرهاب.

وتتوالى الموضوعات وأبواب الموقع وأقسامه لتشمل الإسلام من جميع جوانبه وكذلك قضاياه المعاصرة ودراسات للإسلام والمسلمين في شتى أنحاء العالم، كما ينتقد في الموقع الإشارة إلى دراسات بعض الباحثين من العرب والمسلمين الذين لهم مواقف عدائية من الحركات الإسلامية أو من المتغربين، وبخاصة الذين تستضيفهم الجامعات الأمريكية والأوروبية، والذي لا يجدون قبولاً في العالم الإسلامي ـ والأمثلة على ذلك كثيرة جداً ـ وعدم الإشارة إلى مواقع إسلامية متميزة في هذا الجانب، مع أنه ليس من الصعب على من أعدوا الموقع أن يتعرفوا إلى هذه المواقع.

ويؤخذ على الموقع عدم الإشارة إلى المواقع العربية والإسلامية التي تقدم معلومات متميزة عن الإسلام والمسلمين بعدة لغات، مع أنه من المفترض أن الدارس في أقسام العلوم العربية والإسلامية أن يتقن اللغة العربية.

**ثالثاً: مركز التفاهم الإسلامي ــ المسيحي/جامعة جورج تاون.**

تأسس المركز عام ١٩٩٣م (١٤١٣هـ) من قبل كل من جامعة جورج تاون ومؤسسة الحوار بين النصارى والمسلمين التي تتخذ من جيف مقراً لها، بهدف التركيز على دراسة العلاقات الإسلامية المسيحية، ولتشجيع الحوار بين الدينين الكبيرين، ويركز المركز على العلاقات التاريخية والعقدية والسياسية والثقافية بين الإسلام والنصرانية، أو بين العالم الإسلامي والغرب، ويتبع المركز كلية إدموند إى والش للخدمة الخارجية في جامعة جورجتاون، مما يجعله يجمع بين نشاطات التدريس في المرحلة الجامعية وفي الدراسات العليا والبحث والعلاقات العامة.

ويستند تأسيس المركز على أهمية دور الدين في النظام الدولي المعاصر كما يؤيد ذلك تراث جامعة جورج تاون الكاثوليكي اليسوعي وموقعها في واشنطن العاصمة قد شكلا اهتمامهاً في دراسة الدين والعلاقات الدولية، كما أن حضور الإسلام وأثره عالمياً حقيقة في الحياة الدولية؛ ولذلك فإن فهم هذه الحقيقة وارتباطاتها بالجوانب الأخرى للشؤون العالمية ودور النصرانية في العالم هما الاهتمام الأساسي لبرامج المركز.

وقد اهتم المركز منذ السنة الأولى لتأسيسه بزيادة أفق المواد الدراسية المقدمة في المستوى الجامعي وكذلك المواد المقدمة لطلاب الدراسات العليا.

يسعى المركز لتحقيق أهدافه من خلال عدد من النشاطات منها عقد المؤتمرات والندوات وحلقات البحث والمحاضرات العامة ونشر الكتب،

فقد عقد المؤتمر الأول بعنوان (العلاقات الإسلامية النصرانية: تطلعات للقرن الواحد والعشرين) يومي ٤و٥أبريل ١٩٩٥ حضره حوالي مائتين وخمسين إلى ثلاثمائة باحث وعالم دين ورؤساء مراكز ومسؤولين حكوميين من أوروبا والشرق الأوسط، ومن موضوعات حلقات البحث والمحاضرات التي عقدت في المركز ما يأتي:

* الندوة السنوية لمجلس الدراسات الاجتماعية: بالتعاون مع مصادر العالم العربي والخدمات الاجتماعية في واشنطن العاصمة عقدت في الفترة بين ٢٢ ـ ٢٥نوفمبر ١٩٩٦.

* ندوة مستقبل النصارى العرب والنصارى في القدس والأرض المقدسة: عقدت الندوة في ٥يونيه ١٩٩٧م، وتحدث فيها كارين أرمسترونج من لندن، والقس ديفيد جاجر من تكساس، والقس نعيم عاتق مدير مركز سبيل للحرية العقدية بالقدس، وممتاز أحمد من جامعة هامبتون بولاية فيرجينيا وجوناثان كتّاب من القدس.

* القدس: الأشياء التي تصنع السلام: ندوة عقدت في ٦يونيه ١٩٩٧م بمشاركة من أصدقاء سبيل في أمريكا الشمالية، والكنيسة البريسبيترية القومية.

* ندوة نظرة الغربيين للمسلمين ونظرة المسلمين للغربيين: عقدت الندوة ٤ ـ ٦أكتوبر ١٩٩٧م بالاشتراك مع معهد البحوث الإسلامي بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد ـ باكستان، وحصلت الندوة على تمويل من وكالة إعلام الولايات المتحدة.

لقد تعاون المركز مع عدد من المؤسسات الأمريكية الدينية والسياسية فإحدى الندوات عقدت بالتعاون مع تجمع القساوسة الكاثوليك، بينما تعاون المركز في أكثر من ندوة ومحاضرة مع وكالة إعلام الولايات المتحدة الأمريكية، وهي هيئة حكومية تتبع وزارة الخارجية الأمريكية،

فإن قيل إن الدراسات العربية الإسلامية ليست مرتبطة بالحكومات أو إن المستشرقين لا يعملون لصالح الحكومات فكيف تقوم جهة حكومية بتنظيم ندوة حول (الإسلام السياسي) أو حول موقف الغربيين من الإسلام وموقف المسلمين من الغرب التي عقدت بالاشتراك مع الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام أباد بباكستان، فكيف تتعاون هذه المؤسسة الحكومية مع مركز مستقل يعمل لدعم التفاهم الإسلامي النصراني؟.

ولنا أن نتساءل لماذا لم يتعاون المركز مع إحدى الجمعيات أو المؤسسات الإسلامية في واشنطن؟ وهي كثيرة من أبرزها (معهد العلوم الإسلامية والعربية) التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد وقع مدير جامعة الإمام قبل أكثر من سنتين اتفاقاً للتعاون بين جامعة جورج تاون وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كما أن واشنطن تستضيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية والجمعية العربية للدراسات الدولية وغيرها؟.

**رابعاً: معهد الدراسات الشرقية (جامعة مارتن لوثر) بألمانيا:**

يقدم موقع المعهد تعريفاً بالمعهد والعاملين فيه وبرامج المحاضرات والمناهج والمقررات الدراسية ومعلومات عن النشر في المعهد والرسائل العلمية المسجلة لدرجتي الماجستير والدكتوراه.

**خامساً: معهد نوردك للدراسات الأسيوية**

وهذا موقع متميز لدراسات العالم الإسلامي ومن الموضوعات التي توجد في هذا الموقع ما يأتي:

* الاستشراق والاستغراب والمعرفة بالآخر بقلم البروفيسور ستاين توونسون ويتكون البث من ثمانية صفحات.

* مقالة للدكتور حسن حنفي من جامعة القاهرة حول العولمة

والاستشراق بعنوان: (الشرق الأوسط في عالم من؟) ويقول حنفي في هذا المقال: «والعولمة هي أيضاً طابع آخر من النوع نفسه تعبر عن علاقات القوة بين الشرق والغرب بعدسقوط الأنظمة لاشتراكية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق... ويشير إلى أن العولمة مصطلح تم صكه أيضاً في مراكز بحوث الاستخبارات الأمريكية».

**سادساً: مركز دراسات الشرق الأوسط، بجامعة تكساس بمدينة أوستن.**

ويحتوي هذا الموقع على معلومات غزيرة عن البرامج العلمية التي تقدمها الجامعة ولعل مركز هذه الجامعة من المراكز الكبرى في دراسة العالم الإسلامي كما يوضح موقعه في شبكة الإنترنت ومن أقسام هذا الموقع:

* الإمبريالية الأوروبية والشرق الأوسط وأفريقيا(قسم التاريخ).

* الجنسية والملابس والهوية في المجتمعات الإسلامية.

* الأسس الأيديولوجية للحركات الثورية الإسلامية في العالم الإسلامي (قسم التاريخ).

* الآيات الشيطانية وعلم اجتماع العالم الإسلامي (ألغي هذا القسم).

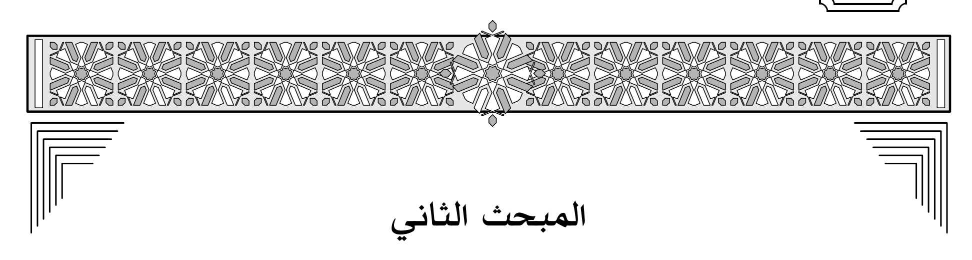
* الثقافة التركية واللغة في أواسط آسيا (الدراسات الأسيوية).

* ويضم الموقع برامج تعليم اللغات العربية والعبرية والتركية والفارسية كما يضم تفصيلات عن المواد الدراسية.

وأخيرا نود أن نقول: إن التمويل المستمر لحركة الاستشراق، و إن قل عدد المشتغلين في هذا الحقل، هو الباعث على استمرار هذه الحركة منذ ماضيها وحتى حاضرها، وعلى أي حال فلن يكون ممكناً دحر الفكر الاستشراقي عن الأمة الإسلامية، مادامت أسسه ليست في الكتب

أساساً، بل هي في ثنايا الثقافة، وهي مؤسسات الاستشراق، وإذا كان هناك من يتوخى إنهاء الفكر الاستشراقي، فهو ولو لم يكن قادرا على إسكات نبضات ثقافية برمتها، إنما قد يكون قادرا على التأثير في المؤسسة الاستشراقية.





المبحث الثاني

# دوافع الاستشراق

لقد تعددت الأهداف التي تسعى لها المؤسسة الاستشراقية على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم، ولكن هناك في واقع الحال قواسم مشتركة لهذه الدوافع، ظهرت جلية من خلال النتاج الفكري الضخم للمستشرقين، وإن أردنا أن نستعرض هذه الدوافع فلا بد من أن نستعرضها وفقاً للآتي:

**أولاً: الدافع الديني:**

لقد جاء الإسلام وأسس دولة قائمة على العدل والمساواة بين الناس جميعاً، وتوسعت هذه الدولة لتشمل أكثر من نصف العالم المعروف في ذلك الوقت، من الصين شرقاً وحتى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً، وبنى حضارة عظيمة في ظرف قرن من الزمان، لم تستطع الدول الأخرى بناءه في ظرف قرون، مما جعل الإسلام يحتل المرتبة الأولى كدين، والدولة الإسلامية تحتل المرتبة الأولى كدولة.

وبالمقابل كانت اللغة العربية هي لغة العلوم والمعارف والسائدة طوال خمسة قرون من سيطرة المسلمين على مقدرات العالم، وغدت هذه اللغة أقوم طريقة لفهم الطب والكيمياء والفيزياء، وكذلك فهم المعارف النظرية والفلسفات الأغريقية التي كانت قد اختفت في أوروبا بسبب الجهل السائد هناك، وتسارع أصحاب الديانات الأخرى إلى تعلم

اللغة العربية باعتبارها تمثل رقياً حضارياً لصحابها، وتمكنه من فهم المعارف والعلوم المتقدمة التي لم تكن تكتب إلا باللغة العربية.

من أجل هذا الهدف فقد بدأت أوروبا بإنشاء المدارس والمعاهد لتعليم هذه اللغة، خاصة في الدول القريبة من العالم الإسلامي في ذلك الوقت، مثل أسبانيا وإيطاليا، وكان الغرض من أنشاء مثل هذه المؤسسات التعليمية فهم الإسلام كدين وحضارة، وبالتالي محاولة التصدي لانتشاره الواسع بين الشعوب، بسبب سماحته وصحة عقائده وموافقته للفطرة البشرية على اختلاف أعراقها.

وفي حرب فكرية استباقية ضد الإسلام، قام الأوربيون من خلال الاستشراق بأمور عديدة من أهمها[1]:

١. تشويه صورة الإسلام عند بني جلتهم: حتى لا يعتنقه أحد منهم، وتشكيك عوام المسلمين وأنصاف المثقفين بدينهم، ووضع علماء الإسلام في موقف الدفاع دائماً حتى لا ينشغلوا بنقد كتبهم وعقائدهم الباطلة.

٢. دراسة الشعوب الإسلامية اجتماعياً وتاريخياً واقتصادياً، حتى يستطيع المحتلون لأرضه فهم طبيعة تلك الشعوب جغرافياً وتاريخياً واجتماعياً من أجل السيطرة على مقدراتهم الاقتصادية، وجعل هذه البلدان سوقاً للمنتجات الأوربية.

٣. تذليل الطريق أمام حملات التنصير التي واكبت حملات الاحتلال ضد بلدان العالم الإسلامي، ويكون ذلك من خلال توفير المعلومات عن هذه الدول من مختلف الجوانب، خاصة الدينية منها، واتخاذ التعليم والطب كوسيلة للوصول إلى مأربهم، مع انتشار الجهل والفقر والخرافات

(١) العلاقة بين التنصير والاستشراق: ص ٦٦.

في الكثير من بلدان العالم الإسلامي.

يقول هوفان إستنجل: «إننا يجب أن نكسب وجهات النظر جديدة لعقائدنا المسيحية، بناء على فهمنا العميق للتعاليم الإسلامية، وفهمنا لنفسية المسلم المتدين، وذلك حتى نتجنب نقاط الضعف فيما يستخدمه من أدلة حتى اليوم، وحتى نبني من جديد دفاعاً جديداً عن العقيدة المسيحية، دفاعاً يضع في حسابه روح الإسلام والتطور الفكري للمسلمين، فيما يتعلق بعقائدهم خلال ما يزيد على ألف عام، وقد جرى هذا الاتجاه في ظل الخطة التي عمل الاستشراق لها منذ وقت بعيد، وهي أن يضع لكل مسألة أو قضية أو معضلة إجابة مستمدة من محاولته المعتمدة لتغيير مجرى الفكر الإسلامي، وإخراجه من هدفه الحقيقي وغايته الأساسية»[١].

وهذا يوضح المحاور الفكرية التي أهتم بها المستشرقون في تاريخ المسلمين، فقد كانت معظم بحوثهم تركز على الحركات الباطنية والشيعة، وكذلك على الصوفية والطرق التي تفرعت عنها، كما كانوا يستغلون نقاط الضعف الاجتماعية من فقر وتخلف وأمية التي كانت سائدة في العالم الإسلامي في القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين، ولذلك كان المستشرقون يعقدون مؤتمرات ليتلاقوا ويتدارسوا فيما بينهم توصلوا إليه من نتائج، ويقدمون التوصيات لتوحيد جهودهم ضد الإسلام والمسلمين.

وهناك من الباحثين من يعتقد أن الدراسات الاستشراقية يقسم النزعات الدينية في المدارس الإستشراقية إلى قسمين:

المدرسة الدينية: وهي تضم النزعات الدينية النصرانية (الكاثوليكية

(١) مناهج المستشرقين في ضوء العقيدة الإسلامية، ص ٨١.

والبرتستانتية)، وكذلك تضم المدرسة اليهودية التي وحدت جهودها مع النصرانية ضد الإسلام.

المدرسة الإلحادية: وهي أقل سطوة من المدرسة الأولى، وتضم المدرسة الإلحادية الوجودية، والمدرسة الإلحادية الشيوعية[(١)].

يقول المستشرق سنوك هورخروني: «وبالتدريج توصلنا إلى اليقين بأن دراسة اللغات والحضارات والتاريخ السياسي والأدبي ضرورية، وكذلك المؤسسات الاجتماعية والدينية لكل الشعوب الشرقية الأخرى، التي لم نهتم بها حتى الآن إلا للمصالح التجارية العلمية، أو بدرجة أعمق، من أجل المصلحة التنصيرية»[(٢)].

وكان المستشرقون الأوائل هم عبارة عن رجال الدين النصارى، الذين وصلت إليهم المؤلفات الإسلامية بصورة مبكرة عن طريق الأندلس، فانشأوا المعاهد العلمية الخاصة باللغة العربية، ومن ثم دراسة العقيدة الإسلامية للوقوف على الدين الإسلامي، ولم يكن هدفهم من ذلك ـ كما يقول المستشرق يوهان فيوك ـ عليماً محضاً بل إنهم أرادوا الرد على الإسلام والدعوة إلى النصرانية عن طريق تراجم عربية للأناجيل[(٣)].

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم كان أول كتاب ترجم إلى اللغة اللاتينية، وذلك بتوجيه من الأب بطرس المحترم رئيس دير أكلوني عام ١١٤٣م، بل أن الطباعة العربية برمتها نشأت في أوروبا وتطورت فيها، ولم تصل إلى البلدان العربية إلا بعد مرور أكثر من قرن من ظهورها هناك، ولم يكن الغرض من طباعة الكتب العربية في أوروبا إلا طباعة

---

(١) العلاقة بين التنصير والاستشراق: ص ٦٧.
(٢) مؤتمرات المستشرقين العالمية: ص ٨٥.
(٣) المصدر السابق: ص ٧٧.

الكتب التي تعين الكنيسة على تنصير المسلمين.

فتذكر المصادر التاريخية أن المطبعة العربية ظهرت في أوائل القرن السادس عشر في أوروبا، وبالتحديد في مدينة فانوا بإيطاليا، وكانت بتوجيه من البابا بولس الثاني في سنة ١٥١٤م، وأول كتاب طبع في هذه المطبعة هو كتاب صلاة الراعي[١]، ثم سفر الزبور سنة ١٥١٦م.

ثم أنشأت مطبعة البندقية، وفيها طبع القرآن الكريم للمرة الأولى، ثم طبعت ترجمة إيطالية للقرآن الكريم سنة ١٥٤٧م، وطبع في مطبعة روما سنة ١٥٩٣م قانون ابن سينا في الطب، ومعه المنطق والطبيعيات وكتب النحاة، ثم تعددت المطابع العربية في أوروبا، وطبعت المئات من الكتب العربية والإسلامية، والملاحظ أن جلَّ الاهتمام قد نصب في هذه المطابع على كتب العقائد وكتب التنصير، وكان الغرض من هذه الخطوات توفير الوسائل الحديثة لتنصير المسلمين خاصة في بلاد الشام والعراق ومصر.

ومن جهة أخرى حاول المستشرقون إضعاف المؤسسات الدينية داخل العالم الإسلامي، فهذا جريمال يحث المؤتمرين في أحد مؤتمرات الاستشراق على ضرورة ضرب المؤسسات الدينية الإسلامية، ومحاولة القضاء على القانون الإسلامي ـ ويعني هنا الحكم بالشريعة الإسلامية ـ وضرورة حث الدول الاستعمارية على تبني القوانين الوضعية في الدول الإسلامية، وتطبيقها ولو بالقوة، من أجل إبعاد المجتمع عن نقاط قوته، وإضعاف تدينه والتزامه[٢].

كما دعى بعض المستشرقين إلى ضرب الأوقاف الإسلامية التي تمثل

---

(١) يذكر اليهود أن موسى (عليه السلام) كان تائهاً في الصحراء فمر على راعي يتلو صلاته فأعجبته كلماتها ونقله لليهود، فسميت صلاة الراعي.

(٢) مؤتمرات المستشرقين: ص ٨٨.

قوة للمؤسسات الإسلامية، وكذلك محاربة التبرعات الخيرية، والتضييق على المدارس الشرعية الإسلامية، وتقليل مرتبات المدرسين في المدارس الدينية الإسلامية، وقد طبقت هذه الخطوات بصورة عملية خاصة في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب، فسمح بامتلاك الأوقاف الإسلامية، وشجعت الدول الاستعمارية ذلك، فشكل ذلك ضربة موجعة لطلبة العلم الشرعي، بسبب اعتمادهم الكلي على هذه الأوقاف، فعجز الكثير منهم على الوفاء بالتزاماته ومتطلبات حياته المعيشية، واتجه قسم كبير منهم نحو أعمال أخرى مثل الفلاحة وغيرها.

ويعجب الناظر لتفاني المستشرقين وإصرارهم على إزالة الأوقاف من مختلف البلدان الإسلامية، الأمر الذي أدى إلى فراغات دينية واسعة الانتشار، وهذا أمر كان يشكل هدفاً رئيسياً للمستشرقين والمنصرين والساسة الغربيين منذ زمن طويل، وما دام هناك انحسار فقد جاءت المؤسسات التنصيرية لتملأ هذا الفراغ بكل الدعم الذي تتلقاه من الكنيسة والدول الغربية، فانتشرت هذه المؤسسات على شكل حملات تعليمية وصحية، واتجه إليها أبناء المسلمين، مما أدى إلى نشوء جيل هجيل من المسلمين، تطبع بثقافة المستشرقين وأعجب بنتاجهم وسار خلف خطاهم.

كما حاول المستشرقون إظهار الشعوب النصرانية التي جاورت الشعوب الإسلامية بمظهر الشعوب المظلومة والمجاهدة ضد (المحمديين)، كما كانوا يسمون المسلمين، وغالباً ما تبحث قضايا هذه الشعوب النصرانية في المؤتمرات الاستشراقية، ويطرحون الحلول لإنقاذهم من سطوة المسلمين وحضارتهم وثقافتهم حسب اعتقادهم، والتوصية لدولهم بضرورة دعمهم والانتصار لقضاياهم، مما يخلق صراعات بين هذه الشعوب وبين الجوار الإسلامي[1].

---

(١) المستشرقون ومنهج التزوير: ص ٣٦.

وكان تحول إعداد كبيرة من النصارى إلى الإسلام دافعاً قوياً لحقد كثير من الرهبان وملوك النصارى، مما حملهم على قيادة حركة لدراسة اللغة العربية وترجمة التراث الإسلامي بقصد تشويهه وحجب محاسنه عن الجماهير النصرانية الخاضعة لنفوذهم، ومن أجل ذلك أنشئ أول مركز لدراسة اللغة العربية في الفاتيكان، كما أمر بإدخال اللغة العربية واللغات الشرقية الأخرى في مدارس الأديرة والكاتدرائيات وعمل أيضاً على إنشاء كراسي لهذه اللغات في جامعات فرنسا وإيطاليا وغيرها[١].

ويقول فريد وجدي: «لا بد من الحيطة والحذر في النظر إلى البحوث الاستشراقية، ومما لا شك فيه أن بعض الغربيين المنشغلين بالدراسات الإسلامية، لم يعنِ بدراسة مبادئ الإسلام وعلومه إلا ليكون ذلك وسيلة؛ لأن ينتقده وطمعاً في استطاعته بهذه الوسيلة؛ لأن ينتقده طمعاً في استطاعته بهذه الوسيلة أن يرد شيئاً من مبادئه، ويرى أيضاً أن بعض الذين كتبوا بإنصاف عن الإسلام ردتهم الكنيسة، ومن هؤلاء ريلاند الذي يقول: الواجب علينا أن نبحث عن الإسلام ونكشف خفاياه»[٢].

ولهذا فإن من المعتقد أن الدافع الديني كان من أقوى المحركات لحركة الاستشراق، وكان يهدف في بداية الأمر إلى عرقلة تيار التحول من النصرانية إلى الإسلام، ثم تطور هذا الباعث فيما بعد إلى محاولة تشكيك المسلمين في دينهم وعقيدتهم، وزعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه من ناحية، وإثبات تفوق الحضارة الغربية وعظمتها من ناحية أخرى.

كما حرص المستشرقون على تقوية الأقليات النصرانية في البلدان

---

(١) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: ص ٣٨.
(٢) المصدر السابق: ص ٨٢.

الشرقية، ولا سيما التي كانت تعيش في كنف البلدان الإسلامية، وإحلالهم مواطن مهمة في المؤسسات الحكومية أبان سيطرة الدول الاستعمارية الأوربية على البلدان الإسلامية، ففي إشارة إلى أقباط مصر كان المستشرق أكاربلاد المتخصص بالدراسات الفرعونية يحرص على أن يكون جميع مساعديه من النصارى الأقباط، فقد كان يسعى لنقل خبراته إليهم دون غيرهم من سكان مصر المسلمين.

وخلاصة القول أن الدافع الديني كان من أقوى المحركات للحركة الاستشراقية على مرِّ أكثر من قرنين من الزمان، ويتضح ذلك جليا من الأمثلة التي استعرضناها، ومن سلوك المؤسسات الاستشراقية نفسها.

**ثانياً: الدافع الاستعماري:**

لم تكن هزيمة الصليبيين في معركتهم مع العالم الإسلامي على يد صلاح الدين الأيوبي إلا نقطة تحول في علاقة أوروبا بالعالم الإسلامي، إذ أن حركة الاستكشافات الواسعة التي قام بها الأوربيون خلال القرن الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، قد مهدت الطريق أمام هذه القوى للوصل إلى العالم الإسلامي، بروح جديد من الاندفاع، يعينهم على ذلك التطور الكبير الذي شهدته أوروبا مقارنة بالعالم الإسلامي في ذلك الوقت، واعتمادها على المكتشفات الحديثة للوصول إلى مأربها، خاصة بعد اكتشاف الأمريكيتين ووصولهم إلى جنوب وجنوب شرق آسيا عن طريق رأس الرجاء الصالح.

لقد أراد الأوربيون الاستحواذ على مقدرات العالم الإسلامي من خلال الاستغلال الواسع لموارده المختلفة، وفي الوقت نفسه أن يكون هذا العالم سوقاً واسعاً للمنتجات الأوربية التي بدأت تزداد بصورة مطردة بعد أن أصبحت الآلة هي المحرك الأساس للمصانع في أوروبا، مع تقهقر ظاهر في مقدرات العالم الإسلامي، ووقوف الدولة العثمانية عاجزة

عن مواجهة الدول الأوربية مجتمعة، فهذه الدولة على قوتها وإخلاص قادتها لم تستطع مواجهة النفوذ الأوربي خاصة الفرنسي والإيطالي والبريطاني في البحر المتوسط هذا من الغرب، أما من الشرق فقد واجهت الدولة الصفوية ـ الرافضية ـ التي كانت تعتمد في حربها مع الدولة العثمانية على مساعدة الدول الأوربية، في حين تكفلت روسيا بإشغال الدولة الثمانية من الشمال، ورغم هذا فقد صمدت الخلافة العثمانية في الاستانة (استنبول) أكثر من أربعة قرون.

وقد لعب الاستشراق دوراً كبيراً ـ من الناحية العلمية ـ في التمهيد للحملات العسكرية الأوربية ضد العالم الإسلامي على اختلاف مدارسه ومشاربه، ذلك أن الدول الاستعمارية كانت بحاجة إلى معرفة جغرافية وسكانية عن البلدان التي كانت توجه إليها الحملات، وقد وفر المستشرقون لها ذلك، وأكثر منه أيضاً، ويمكن أن نبين أهم المؤشرات لهذا الدافع وفق الآتي:

١. دراسة الدول المراد استعمارها، من كافة النواحي: السياسية والاجتماعية والاقتصادية من أجل استغلال موارد هذه البلدان ومقدراتها على أكمل وجه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى التمهيد للبعثات التنصيرية للوصول إلى أهدافها من أقرب الطرق.

٢. إظهار الحضارة الإسلامية بمظهر العجز والهوان، وإبراز الحضارة الغربية بمظهر التفوق والتقدم والتطور، لكي يفقد المسلمون الثقة والاعتزاز بتاريخهم وحضارتهم، وبالتالي الانسلاخ منها نحو المحتل والتشبث بحضارته وانجازاته.

٣. إبعاد المسلمين عن تعاليم دينهم، وبالتالي أبعادهم عن ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله، ليأمن المستعمر جانبهم، ويحيد مقاومتهم، يقول غلان روبلس في مؤتمر المستشرقين الخامس: «لنا

دافعان يجبراننا على أن نولي اهتماماً جديراً فينا يتعلق بالدراسات العربية: فالأول ذو مصلحة أدبية وتاريخية، والأخر سياسية واقتصادية، أي مصلحة توسعية هدفها تكوين مجد»[١].

٤. لقد مهد المستشرقون لما يمكن أن نسميه بالحرب الثقافية الاستباقية ضد العالم الإسلامي؛ لأنهم يعلمون أن الإسلام يملك كل المقومات التي تؤهله لقيادة العالم كما كان سابقاً، فهم يحاولون أن يبقوا هذا (المارد) مقيداً وبعيداً عن الوقوف في وجه مطامعهم، يقول لورانس براون: «إن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام وفي قدرته على التوسع والإخضاع، وفي حيويته، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي»[٢].

٥. الاستفادة الكاملة من الثروات الطبيعية للعالم الإسلامي، والاستحواذ على ما يمكن من الممرات المائية التي يشكل العالم الإسلامي القلب النابض لها، وكذلك نهب ثرواته الفكرية والحضارية وهو الأرض الزاخرة بأقدم الحضارات البشرية، فتم نقل هذه الثروات للاستفادة مادياً في أوروبا.

٦. إحلال مفاهيم جديدة، أو إحياء مفاهيم ماتت منذ تمكين الإسلام من قلوب المسلمين، كالقوميات والعنصريات القبلية: الفرعونية والفينيقية والآشورية والكردية والفارسية والتركية ونحو ذلك، ليتسنى لهم تشتيت شمل الأمة الإسلامية الواحدة، التي تجمعهم رابطة واحدة، هي وحدة الدين الذي فيه عزة المسلمين ونصرهم[٣].

---

(١) مؤتمرات المستشرقين: ص ١٢٨.
(٢) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: ص ٩٢.
(٣) عبد الرحمن حبنكة، أجنحة المكر الثلاثة: ص ١٢٩.

**ثالثاً: الدافع الثقافي:**

يهتم المستشرقون كثيراً بدراسة الجوانب الثقافية للتراث الإسلامي، وإن كانت ميولهم تختلف من مستشرق لآخر، إلا أنهم يهتمون كثيراً بدراسة مثل هذه الجوانب، وقد يستعرضون أهم النتائج التي يتوصلون إليها في مؤتمراتهم الدورية، ويهدفون من وراء ذلك استبدال الثقافة الإسلامية بالثقافة الأوربية التي تعتمد في أغلب مفرداتها على نواحي تنصيرية توسعية استعمارية.

ولابد من الإشارة في هذا المقام إلى أن اللغة العربية وقفت بالخط الأول في مواجهة الغزو الثقافي الأوربي، إذ شكلت هذه اللغة هدفهم الأسمى، لأنها لغة القرآن الكريم، وبضربها وتفضيل اللهجات العامية عليها، يكون ضرباً للقرآن الكريم، وكذلك قطع الجيل الحالي بتراث أمته الخالد، وقد كانت هناك محاولات حثيثة لاستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية المستخدمة في لغات أوروبا، وظهرت عدة دعوات هنا وهناك في بعض بلدان العالم الإسلامي من مفكرين متأثرين بالحضارة الغربية، ولكن صمدت اللغة العربية بوجه هذه الهجمة الشرسة، وإن كانت لغات أخرى قد سقطت، ولم تقوَ على الصمود كاللغة التركية التي كانت تكتب حتى وقت قريب بالحروف العربية، ولكن أتاتورك عندما نجح بثورته ضد الخلافة العثمانية قام باستبدال الحروف العربية التي كانت تكتب بها اللغة التركية بالحروف اللاتينية سنة ١٩٢٥م، وكانت هذه كارثة لحقت بالأتراك، إذ فصلت الأمة عن تاريخها، وأضاعت حضارتها.

كما حاول المستشرقون النيل من الموروث الإسلامي عن طريق استبدال العادات والتقاليد الإسلامية، بأخرى هجينة غربية عن المجتمع الإسلامي، فأنشأت المراكز التعليمية والمدارس العلمية التي كانت تدار

من قبل المنصرين الأوربيين، ونجحت إلى حد كبير في عدد من البلدان خاصة في لبنان ومصر وبلاد المغرب العربي، وانتشر اللباس الأوربي وأصبح هو السائد في المجتمعات الإسلامية، كما انتشر السفور بين النساء، وظهرت الدعوات لتحرير المرأة من تلامذة المستشرقين، وهم المسلمون الذين درسوا في أوروبا، وعادوا إلى بلدانهم بدعوات أساتذتهم، بدعوى التحرر والتقدم والتطور.

وقد ساعد العرب بشكل أو بآخر على تسريع وتيرة الانحلال الثقافي من خلال إرسال المبتعثين إلى أوروبا بدون تقديم أي تحصينات فكرية أو اجتماعية لهم، قال محمود شاكر: «إن هؤلاء يكونون أشد استجابة على اعتياد لغة فرنسا وتقاليدها، فإذا عادوا إلى مصر كانوا حزباً لفرنسا، وعلى مر الأيام يكبرون ويتولون المناصب صغيرها وكبيرها، ويكون أثرهم أشد تأثيراً في بناء جماهير كثيرة تبث الأفكار التي يتلقونها في صميم شعب دار الإسلام في مصر»[١]، ومن أشهر هؤلاء المبتعثين طه حسين الذي كان أزهرياً حافظاً للقرآن، فلما ذهب إلى فرنسا، مسخت شخصيته، وتزوج من فرنسية، ونزع الجبة والعمامة، ولبس مكانها الزي الفرنسي، وعندما عاد إلى مصر تنكر لأهله ودينه، وسعى لنقل الثقافة الغربية بكل ما أوتي من قوة، بدون أي تحفظات عليها أو مراجعة تناقضاتها مع الموروث الإسلامي وحصل له ذلك عندما عين وزيراً للتعليم في مصر، فكان أشد الناس حرباً للثقافة الإسلامية.

**رابعاً: الدافع التجاري:**

عندما بدأت أوروبا ما يسمى بعصر الثورة الصناعية، ظهرت الحاجة الماسة للمواد الأولية الخام لتغذية مصانعها، وسرعان ما استهلكت هذه

(١) رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص ١٤١.

المواد في القارة الأوربية نفسها، فاتجهت أنظار الدول الأوربية إلى الجوار الإسلامي من أجل الحصول على المواد الأولية، خاصة المعادن والفحم، ثم بعد اكتشاف النفط شكل العنصر الأساس لتوجهات الدول الغربية، وفي الوقت نفسه فإن أسواق أوروبا كانت قد ضاقت ببضائعها الكثيرة التي كانت نتاج للثورة الصناعية، فبدأت تبحث بشكل دؤوب عن أسواق لتصريف هذه البضائع، وكانت بلدان العالم الإسلامي تشكل سوقاً كبيرة لهذه البضائع على اختلاف أنواعها.

وكان دور المستشرقين يتمثل بتزويد الحكومات الأوربية والمؤسسات العامة معها بكل ما تحتاج إليه من معلومات للوصول إلى مأربها، وليس أدل على ذلك من الدعم الكبير الذي كان يتلقاه المستشرقون من قبل الهيئات الصناعية والتجارية في بلدانهم، فقد دعمت ـ على سبيل المثال ـ شركة الهند الدراسات الاستشراقية بشكل كبير، وانتفع البريطانيون بالمقابل من الأبحاث المقدمة لهم من خلال هذا الدعم في نشاطهم الاستعماري في شبه القارة الهندية وفي مصر والعراق وبلاد الشام.

كما دعمت الحكومة الفرنسية أيضاً الجمعية الآسيوية، واعتبرتها هيئة حكومية مساندة في أعمالها الاستعمارية، خاصة في شمال أفريقيا، وكانت هذه الجمعية تقدم كل ما تحتاج إليه فرنسا من معلومات سياسية واقتصادية وجغرافية وتاريخية عن هذه الدول، وبالمقابل كان المستشرقون يحصلون على أموال سخية من الحكومة.

ولم يتوقف الهدف الاقتصادي عند بدايات الاستشراق فإن هذا الهدف ما زال أحد أهم الأهداف لاستمرار الدراسات الاستشراقية، فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية كما أنهم ما زالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية (لويد وبنك سويسرا) تصدر تقارير شهرية هي

في ظاهرها تقارير اقتصادية، ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية؛ ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العـالم الإسلامي.

كما هدفت الدول الغربية إلى ضرب الصناعات المحلية عن طريق إغراق الأسواق الإسلامية بالبضائع الأوربية الرخيصة مقارنة بمثيلتها التي تصنع في البلدان الإسلامية، بسبب مكننة الصناعات الأوروبية، وبقاء الصناعات المحلية تعتمد بشكل كبير على المهارات اليدوية.

وضمن هذا الدافع وجهت المؤسسات الاقتصادية الغربية، من يهتمون بالدراسات الاستشراقية، ليكونوا وسطاءهم ورسلهم ومستشاريهم والمترجمين لهم في مهماتهم ومطالبهم الاقتصادية أو أبدت استعدادها لاستخدام من يعمل لهم في هذا المجال، فاتجه فريق من الغربيين لهذه الدراسات، طمعاً بأن يجدوا أعمالاً لهم لدى المؤسسات الاقتصادية، وظهر أيضاً فريق من الباحثين العلميين اهتم بالدراسات الاستشراقية، ليقوم بنشر كتب التراث الإسلامي، والاستفادة من نشرها في تحصيل الثروات التي يحصل عليها الناشرون عادة[1].

وقد صرح المستشرقون في أكثر من مناسبة بأن الدافع الاقتصادي يشكل عنصراً مهماً لدراساتهم ومطامعهم في البلاد الإسلامية، من ذلك ما قاله أيرون دو فيلافوس في المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين في الجزائر سنة ١٩٠٥م/ ١٣٢٣هـ عن رينان: «بأنه يرى أن غزو فرنسا للجزائر سيكون مجداً لفرنسا لما للجزائر من ثروات معدنية وأثرية».

ويقول الوزير بيانفوني مارتن: «لقد جعلتكم تطلعون على الجهود

(١) حنبكة، أجنة المكر الثلاثة: ص ١٣٠.

الفرنسية المتواصلة المبذولة منذ نصف قرن، كي تبرر الثروات الطبيعية القيمة التي تحويها الجزائر»[١].

وهكذا فقد كان واضحاً أن الهدف من إنشاء مراكز الدراسات العربية الإسلامية في الغرب لم يكن علمياً منذ البداية، بل كانت الغاية الأساسية منه دينية تنصيرية هدمية وقد انضم إلى هذا الدافع في القرن السابع عشر الميلادي سبب استعماري استغلالي ظهر جلياً نتيجة للصلات الاقتصادية وخطط التوسع بحثاً عن الموارد الطبيعية التي ظهرت في أوروبا، فقد جاء في المذكرة التي رفعها جمع من العلماء الانكليز سنة ١٦٣٩م إلى المسؤولين في جامعة كمبردج، والتي طالبوا فيها إنشاء كرسي للدراسات العربية الإسلامية الآتي:

يضع المركز نصب عينيه خدمة مصالح الملك والدولة، وذلك بالعمل من أجل ازدهار تجارتنا مع الأقطار الشرقية، وتوسيع حدود الكنيسة إذا شاء الله في الوقت المناسب، ونشر الدين المسيحي بين أولئك الذين لا يزالون يتخبطون في ظلمات الجهالة[٢].

ولقد كان الهدف الاقتصادي عاملاً في دخول رجال الدين ميدان الاستشراق من باب البحث عن الرزق، عندما ضاقت بهم سبل المعيشة، فلجأ هؤلاء إلى إشباع رغبة قرائهم في الغرب بنقلهم صوراً خرافية عن البلاد الشرقية، توافق ما تخيلوه من أطواره وأعاجيبه التي ترد في قصص ألف ليلة وليلة وغيرها، ساعدهم في ذلك انتشار الطباعة على نطاق واسع في القارة الأوربية، الذي أدى إلى ازدهار تجارة الكتب بشكل كبير.

---

(١) مؤتمرات المستشرقين: ص ١٣٤.

(٢) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة: ص ٩٨.

**خامساً: الدافع العلمي:**

لقد استطلع المسلمون خلال حضارتهم العظيمة التي هيمنت على العالم وكان في طليعته لأكثر من ستة قرون، استطاعوا أن يحققوا نتاجاً علمياً وصل إلى درجة من الرقي والتقدم بحيث لا زالت الكثير من النظريات في الطب والكيمياء والرياضيات والهندسة والفيزياء وغيرها من العلوم التطبيقية لازالت تدرس في الجامعات حتى يومنا هذا.

وقد برع المسلمون في ميدان العلم التجريبي أيضاً، وقدموا للعالم الفلسفة اليونانية الوثنية بإطار جديد أذهل أوروبا، بحيث أنشأت المذاهب الفلسفية لعلماء المسلمين، مثل مذهب الرشدية نسبة إلى ابن رشد، الذي بقي يدرس في أوروبا طوال قرنين من الزمان، بل لازالت الرشدية مذهباً فلسفاً عالمياً يدرس في معظم الجامعات.

كل هذه الأمور قد دفعت الأوربيون للقيام بحركة ترجمة واسعة للمؤلفات العربية ومحاولة الاستفادة منها والانتفاع في صنوف المعرفة كافة، وأصبح من المؤكد الآن لدى معظم الدارسين لأسباب النهضة الأوربية في العصور الحديثة، أن ذلك يعود بالدرجة الأساس إلى المعارف التي نقلوها عن اللغة العربية والفارسية والتركية وغيرها من لغات المسلمين، خاصة بعد سقوط الأندلس بيد النصارى، واستيلائهم على الثروة المعرفية فيها من كتب ومخطوطات.

يقول الأستاذ خليق أحمد النظامي: «نشأت في الغرب رغبة الإطلاع على ما حققه الإسلام من مآثر حضارية حينما دخل العرب أسبانيا وصقلية، ولم يكن دخولهم لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنه كان فتحاً لعهد جديد في مجال العلوم والفنون والحضارة والمدنية، وقد بعث هذا الفتح ـ كما قال المستشرق الفرنسيس مسينون ـ يقظة حضارية في أوروبا، وفتح للغرب أفاقاً جديدة للتقدم والرقي، وقد كان حب

الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينهم باعثاً لدراسة شاملة للإسلام وكان علماء أوروبا يحاولون الأخذ والاستفادة مما أنجزه العرب من اكتشافات جديدة وتجارب علمية»[١].

وما كان لأوروبا أن تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك، وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته، وبالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية لعرفنا حقيقة أهمية هذا الهدف من أهداف الاستشراق، فالغربيين لم يتركوا مجالاً كتب فيه العلماء المسلمون حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها، وقد أشار رودي بارت ـ في كتابه عن الدراسات العربية الإسلامية ـ إلى إمكانية أن تقوم الأمة الإسلامية في العصر الحاضر بدراسة الغرب فيما يمكن أن يطلق عليه علم الاستغراب فإن المسلمين في نهضتهم الحاضرة بحاجة إلى معرفة الإنجازات العلمية التي توصل إليها الغرب عبر قرون من البحث والدراسة والاكتشافات العلمية والاستقرار السياسي والاقتصادي[٢].

من ذلك على سبيل المثال اختراع العلماء المسلمون للصفر وعده من ضمن الأعداد في كافة الأعمال الحسابية والرياضيات، كما اخترعوا طريقة سهلة لكتابة الأرقام من: (٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩)، ولازالت هذه الأرقام تسمى الأرقام العربية حتى يوم الناس هذا قال ريسلر: «إنه لا اليونان ولا الرمان استطاعوا أن يكتشفوا طريقة للعد، وكان الأقدمون يعدون على أصابعهم، وكان اختراع الأعداد العربية عبقرياً ويستطيع المرء

(١) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة: ص ١٠٦.
(٢) رودي بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الإلمانية: ص ٣٩.

أن يقول دون سخرية: إن الصفر كان يعد من بين أهم فتوح الجنس البشري»[١].

وتقول المستشرقة المنصفة هونكة: «ولسنا نحن الألمان الوحيدين الذين نستخدم هذه الأرقام، فكل الأمم المتحضرة تستخدم هذه الأرقام اليوم، التي تعلمها الجميع عن العرب، ولولا تلك الأرقام لما وجد اليوم دليل تليفونات أو قائمة أسعار أو تقرير للبورصة، ولما وجد هذا الصرح الشامخ من العلوم الرياضية والطبيعية والفلك، بل لما وجدت الطائرات التي تسبق الصوت أو صواريخ الفضاء، لقد كرمنا هذا الشعب الذي منَّ علينا بذلك الفضل الذي لا يقدر حين أطلقنا على أرقام الأعداد عندنا اسم الأرقام العربية»[٢].

ومن المستشرقين نفر قليل جداً أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وكان هؤلاء النفر من المستشرقين أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه، لأنهم لم يكونوا يتعمدون أن يدلسوا أو يحرفوا.

لذلك جاءت بحوث هؤلاء أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العلمي السليم، من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل منهم من اهتدى بدراسته إلى الإسلام، وآمن به، وانتمى إلى الأمة الإسلامية.

على أن هؤلاء قلما يوجدون إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم من الانصراف إلى الدراسات الاستشراقية بأمانة وإخلاص، لأن أبحاثهم المجردة عن الهوى الجانح لا تلقى رواجاً لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة ولا عند عامة الباحثين

(١) ريلسر، الحضارة العربية، ص ١٧٤؛ ويتظر تاريخ علم الرياضيات عند العرب، ص ١٠٢، إطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، (على الآلة الطابعة).

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ٦٨.

الغربيين، بل كثيراً ما يتعرض هؤلاء لمضايقات ومقاومات شديدة، من قبل رجال الدين ورجال السياسة في بلدانهم.

ولما كان الاستشراق النزيه الراغب بالبحث العلمي الحيادي المتجرد عن الهوى الجانح، لا يدرُ على مرتاديه مكاسب ومغانم، كان من الطبيعي أن يندر وجود هؤلاء المرتادين في أوساط المستشرقين، ومن خلال معرفتنا لهذا الدافع نستطيع معرفة الهدف الغائي المرتبط به.

فهدف هذا الدافع: إشباع نهم علمي متجرد، وتحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم، وحضارة أصيلة.

وهؤلاء مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق، إما لجهلهم بأساليب اللغة العربية، وإما لجهلهم بالأجواء الإسلامية التاريخية على حقيقتها، فيتصورونها كما يتصورون مجتمعاتها، ناسين الفروق الطبيعية والنفسية والزمنية التي تفرق بين الأجواء التاريخية التي يدرسونها، وبين الأجواء الحاضرة التي يعيشونها.

ومن هؤلاء من يعيش بقلبه وفكره في جو البيئة التي يدرسها، فيأتي بنتائج تنطبق مع الحق والصدق والواقع، ولكن هؤلاء يلقون عنتاً من سائر المستشرقين، إذ سرعان ما يتهمون بالانحراف عن المنهج العلمي، أو الانسياق وراء العاطفة، أو الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع توماس أرنولد حين أنصف المسلمين في كتابه العظيم (الدعوة إلى الإسلام)، فقد برهن فيه على تسامح المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، على عكس مخالفيهم معهم، هذا الكتاب الذي يعتبر من أدق وأوثق المراجع في تاريخ التسامح الديني في الإسلام، يطعن فيه المستشرقون المتعصبون بأن مؤلفه كان مندفعاً بعاطفة قوية من الحب والعطف على المسلمين، مع أنه لم يذكر حادثة إلا

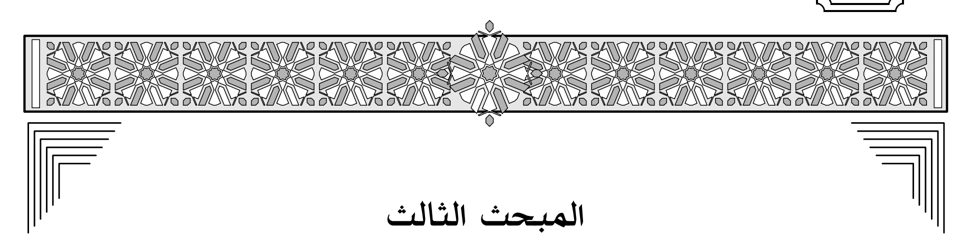
أرجعها إلى مصدرها.

ومن هؤلاء من يؤدي به البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلام والدفاع عنه في أوساط أقوامهم الغربيين، كما فعل المستشرق الفرنسي الفنان (دينيه) الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه، وتسمى باسم ناصر الدين دينيه وألف مع عالم جزائري كتاباً عن سيرة الرسول ﷺ، وله كتاب (أشعة خاصة بنور الإسلام) بيَّن فيه تحامل قومه على الإسلام ورسوله، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونقل جثمانه إلى الجزائر ودفن فيها.

ومنهم أيضاً المستشرق عبد الكريم جرمانوس وهو عالم مجري اعتنق الإسلام في الهند، ولد سنة (١٨٨٥) وتوفي سنة (١٩٧٩م) وكان يتمنى أن يعيش مائة عام، لأن اللغة العربية في رأيه تحتاج إلى مائة سنة لفهمها، كان عضواً في المجمع اللغوي في القاهرة، أحب الإسلام واللغة العربية وخدمهما، ألف أكثر من مائة وخمسين كتاباً عن الإسلام[1].



(١) أجنة المكر الثلاثة: ص ١٣١ وما بعدها.



## المبحث الثالث

# وسائل الاستشراق

يقصد بالوسائل هنا: الطرق والأساليب التي استخدمها المستشرقون للوصول إلى أهدافهم المختلفة والمتباينة في بلدان العالم الإسلامي، ولم يترك المستشرقون وسيلة فكرية أو ثقافية أو علمية إلا وذللوها للوصول إلى أهدافهم التي رسموها، تقول الدكتورة فاطمة أبو النجا: «لم يترك المستشرقون مجالاً من مجالات الأنشطة المعرفية والتوجيهية العليا إلاّ تخصصوا فيها، ومنها التعليم الجامعي، وإنشاء المؤسسات العالمية لتوجيه التعليم والتثقيف، وعقد المؤتمرات والندوات ولقاءات التحاور، وإصدار المجلات ونشر المقالات وجمع المخطوطات العربية، والتحقيق والنشر وتأليف الكتب ودس السموم الفكرية فيها بصورة خفية ومتدرجة، وإنشاء الموسوعات العلمية الإسلامية، والعناية العظمى لإفساد المرأة المسلمة، وتزيين الكتابة باللغة العامية»[١].

ويمكن خلال هذه الورقات استعراض أهم الوسائل التي استخدمها المستشرقون للوصول إلى أهدافهم في بلدان العالم الإسلامي:

أولاً: التعليم الجامعي والبحث العلمي:

لقد ذكرنا في الفصل الأول من كتابنا هذا كيف أن الإرهاصات الأولى للاستشراق قد تمثلت بذهاب العديد من رهبان أوروبا إلى

---

(١) نور الإسلام وأباطيل خصومه: ص ١٦٠.

الأندلس لتلقي العلوم على يد علمائها، خاصة في العلوم التطبيقية والفلسفة والطب، وقد عاد هؤلاء إلى ديارهم فكونوا النواة الأولى للدراسات الاستشراقية، فهذا البابا سلفستر الثاني الذي اعتلى كرسي البابوية سنة ٩٩٩م قد أنشأ أول مدرسة تهتم بالدراسات الإسلامية، خاصة اللغة العربية والعلوم التطبيقية.

وفي عهد السلطان العثماني محمد الثاني الذي يلقب بالفاتح، سقطت القسطنطينية بيد الدولة العثمانية، وحول كنيستها (آيا صوفيا) إلى جامع سنة ١٤٥٣م، واستمرت الدولة العثمانية بالتوسع على حساب الدول الأوربية، حتى حاصرت جيوشها (فينا) عاصمة النمسا، والتي تقرر فيها مجمع القساوسة تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي في أنحاء أوروبا، وقد بلغت حدود الإمبراطورية العثمانية في أوج عظمتها من نهر الدانوب إلى دجلة، ومن القرم حتى شلالات النيل[١].

وأدى ذلك إلى اهتمام الغرب بتدريس اللغة العربية في معظم الجامعات والمدارس الأوربية، وإنشاء كراسي متخصصة لمثل هذه الدراسات في كبريات الجامعات في فرنسا وبريطانيا وألمانيا وايطاليا، وغيرها من الدول، فبدأت الدراسات الاستشراقية تأخذ طابعها العالم من خلال توجهها نحو دراسة الإسلام والمسلمين، وتقف عند منهجية خاصة تعتمد على تشويه الحقائق وبث الشبهات والانتقاص من الإسلام، وتكاد تتفق جميع هذه المدارس والجامعات على هاتين النقطتين على اختلاف القوميات والدول في أوروبا.

ومنذ الحملة النابليونية على مصر عام ١٧٩٨م تزايد نفوذ أوروبا في الشرق، وساعد ذلك على الاستحواذ على الكثير من المخطوطات

(١) الاستشراق بين الحقيقة والتضليل: ص ٦٩.

العربية، وكانت الهيئات التعليمية والبلاطات الملكية الأوربية ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق، فعلى سبيل المثال أرسل فريدريش إلى مصر سنة ١٨٤٢م لشراء مخطوطات شرقية، وقد تم جمع المخطوطات من الشرق بطرق مشروعة وغير مشروعة، وقد لقيت هذه المخطوطات رواجاً عظيماً في أوروبا، وتم العمل على حفظها وصيانتها من التلف والعناية بها، ثم فهرستها فهرسة علمية نافعة تصف المخطوط وصفاً دقيقاً، وتشير إلى ما يتضمنه من موضوعات، وتذكر اسم المؤلف وتاريخ ميلاده ووفاته وتاريخ تأليف الكتاب أو نسخه، وبذلك وضعت تحت تصرف الباحثين الراغبين في الإطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها(١).

ولم يقتصر عمل المستشرقين على جمع المخطوطات وفهرستها، بل تجاوز ذلك إلى التحقيق والنشر، فقد قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث، وقابلوا النسخ المختلفة، ولاحظوا الفروق وأثبتوها، ورجحوا منها ما حسبوه أصحها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، وقاموا في بعض الأحيان بدراسة بعض المخطوطات والتعليق عليها تعليقات مفيدة.

ولا بد من التذكير في هذا المقام أن عمل المستشرقين هذا لم يكن بدافع حب الإسلام والمسلمين بقدر ما كان تمهيداً للمستشرقين الآخرين لدراسة هذا التراث الضخم وتيسير الوصل إليه من خلالهم، إذ لم يتخصص المستشرقون كلهم بتحقيق المخطوطات، وإنما هم طائفة صغيرة فقط، أما الآخرون فقد كانوا يأخذون على عاتقهم دراسة هذه المخطوطات، وإثارة الشبه من خلالها سطورها.

---

(١) وسائل الاستشراق: ص ٢١.

وكان تأليفهم للكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام واتجاهاته ورسوله ﷺ، وفي أكثرها كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص أو اجتزازها، وفي تشويه الوقائع التاريخية والاستنتاج منها، ومن كتبهم التي ألفوها (تاريخ فرنسة) ألفه غيومان، لصنوف الشهادة الابتدائية، هذا الكتاب يدرس في مدرسة القديس يوسف للبنات في بيروت، وفي مدارس هذه الإرسالية في غير بيروت بلا ريب، وقد جاء فيه: «إنه محمد، مؤسس دين المسلمين، قد أمر أتباعه أن يُخْضعوا العالم وأن يبدلوا جميع الأديان بدينه، ما أعظم الفرق بين هؤلاء الوثنيين وبين النصارى، إن هؤلاء العرب قد فرضوا دينهم بالقوة وقالوا للناس: أسلموا أو تموتوا، بينما أتباع المسيح ربحوا النفوس ببرهم وإحسانهم، ماذا كانت حال العالم لو أن العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنا نحن اليوم مسلمين كالجزائيين والمراكشيين»(١)

ولا تكاد تخلو عاصمة من عواصم الغرب الآن من جامعة من قسم خاص بالاستشراق، وأحياناً تكون في بعضها معاهد مستقلة للدراسات الاستشراقية، كما أقيمت داخل هذه الجامعات الغربية أقسام تخصصت بالدراسات الإسلامية على وجه الخصوص، لاستقطاب من يستهويه هذا الجانب، ثم تقديمه من وجهة نظر خصوم بارعين مدربين على العرض المشوه للإسلام بما يخدم أغراضهم التي أهمها: تنفير غير المسلمين من الإسلام، وتشويهه وجعله قضية خاسرة في نظر ضعاف النفوس من المسلمين.

وقد بلغ عدد هذه الأقسام الإسلامية في الجامعات الغربية أكثر من ستين قسماً في أكثر من ستين جامعة في الغرب، وعلى رأس هذه

---

(١) نفسه.

الأقسام أساتذة يهود ومحاورهم الأصلية تدور في كياسة حول التشكيك في الوحي، وفي السنة وفي تجريح الرسول ﷺ والصحابة وكبار حملة الإسلام.

ويتخرج اليوم من هذه الأقسام الآلف من الدارسين، يتوجهون بعد ذلك إلى ساحات العلم والفكر والسياسة، وقد تشربوا فكر أساتذتهم من المستشرقين، وتأثروا بأخلاقهم والتزموا بمناهجهم، وكان من بين هؤلاء الدارسين الكثير من أبناء المسلمين ممن ابتعثوا للدراسة، خاصة في منتصف القرن الماضي، فعادوا إلى بلادهم وقد تأثروا بالمستشرقين أيما تأثر، وحاولوا نقل أفكارهم بصورة علانية في بلاد المسلمين، ومنهم من تبوأ مراكز قيادية وتعليمية، ويبدو ذلك واضحاً في المؤسسات التعليمية العربية، وبشكل أقل في المؤسسات القانونية.

وقد أصبحت هذه الأقسام العلمية تعد بالآلاف في أنحاء أوروبا وأمريكا، ولما تخلص الأوروبيون والأمريكيون من مصطلح الاستشراق أصبحت أقسام الدراسات الشرق أوسطية أقسام دراسات المناطق هي التي يدرس فيها هؤلاء الطلاب، ولكن هذه الأقسام لم تعد كافية لدراسة كل ما يخص العالم الإسلامي والعربي، فأضيف إليها الدراسة في أقسام الجامعة الأخرى مثل: علم الاجتماع، وعلم الإنسان، وعلم النفس، وقسم الاقتصاد والعلوم السياسية ومختلف العلوم التي يتم التنسيق بينها جميعاً من خلال معهد الشرق الأوسط، كما في جامعة كولمبيا في نيويورك أو مركز دراسات الشرق الأوسط كما في جامعة كاليفورنيا بمدينة بيركلي[١].

من ناحية أخرى جد المستشرقون في أنشاء المدارس داخل البلاد

(١) مصطفى خامري، التبشير والاستعمار، ص ٧٥.

الإسلامية، ومن تلك المدارس (كلية روبرت) في استانبول أو (الجامعة الأمريكية) في بيروت التي كانت تسمى (الكلية السورية الإنجيلية) وهي التي أنشئت عام ١٨٦٥م ذات العقيدة برتستانتية، حيث يقول عنها المستشرق (شتر): «إنها أرقى مدرسة في الإمبراطورية العثمانية، إن عمل الكلية التبشيري يتناول المسلمين في الدرجة الأولى، وهذا ما يجعلها بارزة في ذلك بين جميع المدارس الأمريكية في الإمبراطورية العثمانية وإيران، إذ هي تهيأ المدرسين المبشرين للمدارس الأمريكية المنتشرة في الشرق الأدنى كله»[١].

ويوجد في لبنان أيضاً (جامعة القديس يوسف) وهي جامعة بابوية كاثوليكية، وتعرف الآن بالجامعة اليسوعية، وهناك الكلية الفرنسية في لاهور والمدرس الألمانية والإنكليزية والروسية وغير الكثير والكثير المنتشرة في العالم الإسلامي باسم المساعدة في التقدم وإتاحة الفرص لأبناء تلك الدول للرقي في سلم التعليم، وللتنصير دور هام في إنشاء تلك المدارس التي تشوش على المبادئ الأساسية للإسلام التي يعرفها الطلاب وتزور الحقائق التاريخية وتشيع الثقافة الغربية بما فيها من انحلال وتفسخ، في محاولة لتخريج جيل إسلامي ممسوخ يدين بالولاء للثقافة والمفاهيم الغربية.

يقول المستشرق هنري جب: «إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة لغاية فقط، هذه الغاية قيادة الناس إلى المسيح وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين»[٢].

ولقد ساهمت تلك المدارس في زيادة نسبة المغتربين عن الإسلام والموالين للغرب النصراني، وهم مسلمون اسماً، ومثال ذلك أن ثلث

---

(١) الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية: ص ١٣٨.

(٢) أحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص ١٦٦.

المدارس الموجودة في اندونيسيا أيام الاحتلال الأجنبي كانت تنصيرية، ثم تم إنشاء الكثير من الجامعات، ولقد فرض على الطلاب في هذه المدارس حضور مادة الدين النصراني، والذهاب إلى الكنيسة في يوم معين للمشاركة في القداس الديني الذي يقام فيها، كما يمنعون من إقامة صلاة الجمعة[١].

**ثانياً: البعثات العلمية:**

لقد عملت الدول الغربية على الصعيد الغزو الفكري للعالم الإسلامي باتجاهين:

**الأول**: إنشاء الجامعات ومراكز البحث العلمي.

**الثاني**: تشجيع البعثات العلمية للمسلمين إلى هذه الجامعات والمراكز.

وقد ظهرت آثار هذه البعثات منذ وقت مبكر، إذ كان السلطان المصري محمد علي قد أرسل عدد من المبتعثين إلى فرنسا لدراسة العلوم، ثم تتالت البعثات بعد ذلك خاصة في بداية القرن العشرين، ولما فتح الغرب أبواب مدارسه وجامعاته أمام المسلمين كان هدفهم الأساس استقطاب هؤلاء لتنشأتهم وفقاً للأساليب الغربية، خاصة مع تفوق الغرب علمياً على الإسلام في القرن الماضي، وبعد عودة هؤلاء المبتعثين إلى بلدانهم يقوموا بنشر ما تعلموه على أيدي أساتذتهم، وبذلك يحقق المستشرقون على أيديهم ما عجزوا عن فعله طوال السنين الطوال، ولا تقتصر الدراسة في هذه المعاهد والجامعات على الطلبة الغربيين، بل تقبل تلك المؤسسات عدداً من الطلبة الشرقيين، تسخرهم لخدمة أغراض علمية تعود عليها بفوائد جمة، كإعداد دراسة عن لهجة من لهجات

(١) المصدر السابق.

بلادهم أو دراسة حالة اجتماعية[١].

من ذلك على سبيل المثال أن مركز الدراسات العربية والإسلامية المعاصرة في جامعة جورج تاون بواشنطن تتضمن مفردات مقرراته عدداً من القضايا التراثية خلال الحقبة الوسيطة والحديثة عن بلدان العالم الإسلامي، وهناك أيضاً في واشنطن معهد لدراسات الشرق الأوسط، وهناك معهد آخر يضم عدداً من المتخصصين بشؤون الشرق الأوسط في (نيوجرسي) وفي جامعة (أنديانا) وجامعة (ميتشجان أناربر) وجامعة (كاليفرونيا) بلوس أنجلوس، وكذلك في الجامعات البريطانية في لندن وأكسفورد وغيرها من كبريات المدن الأوربية[٢].

ومن أوائل البعثات إلى أوروبا كانت بعثة الشيخ رفاعة الطهطهاوي، الذي جاء حاملاً للواء فكر جديد انتقده الكثيرون، فقد أدعى أن الرقص نوع من الرياضة، وأن تلاصق أجساد الرجال والنساء خلال فعله ليس فسقاً ولا فجوراً، ومن أفكاره التي جاء بها أيضاً العنصرية القومية والعصبية، حيث تحدث عن مصر الفرعونية، ونسى أن الإسلام لا يعترف إلا بالمؤمن التقي وإن أكرمكم عند الله اتقاكم.

ومن الذين جاءوا بفكر جديد تأثراً بالجامعات الغربية وما فيها من مستشرقين طه حسين، حتى أن البعض قال عنه: إنه مستشرق من أصل عربي، وأتهمه البعض بأنه حامل لواء المستشرقين، ومن آراءه الغربية والمثيرة للجدل أنه يرى أن العرب قوم مستعمرون كالرومان والفرس، كذلك كان ينكر شخصية عبد الله بن سبأ اليهودي، وشكك حتى بإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، رغم ذكرهما في الكتب السماوية[٣].

---

(١) د. عدنان محمد وزان، عن الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر، ص ٤١.

(٢) الدراسات الإستشراقية، ص ١٣٤.

(٣) الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص ٧٦.

إن ذروة نشاط الاستشراق كان في إنشاء كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في جامعات غربية لمنح الشهادات العليا (الماجستير والدكتوراه) لطلاب الشعوب الإسلامية والعربية في العلوم الإسلامية واللغوية، وقد استغل المستشرقون تلهف أبناء الشرق إلى الشهادات والألقاب، فصيروا أنفسهم مصدراً وثيقاً للعلوم الإسلامية، وأشعروا بعض المسلمين بهذا لهم، حتى في علوم دينهم وأفقدوهم الثقة بأنفسهم، إذ تعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من عدوهم وسجلات الخريجين الذين درسوا على أيدي المستشرقين النصارى أو اليهود شاهدة على ذلك، ومما يزيد الأمر سوءاً أن الغالبية العظمى من هؤلاء الخريجين يتولون مناصب عليا وهامة وقيادية في كثير من بلدان العالم الإسلامي[١].

ومن الوسائل التي استخدمها المستشرقون للتسلل إلى العالم الإسلامي، إرسال المدرسين للتدريس في الجامعات العربية خاصة في جامعة القاهرة، ويقول الدكتور عبد الفتاح دويدار: «إن هؤلاء الذين جاءوا إلينا كأساتذة لا يتصفون بالنزاهة لأمرين:

**الأول**: الأحقاد التي ورثوها عن أساتذتهم من مستشرقين غربيين.

**الثاني**: المهمة التي جاءوا من أجلها وهي سياسية تبشرية قبل كل شيء»[٢].

قد استطاعوا المستشرقون بناء جيل هجين من أبناء الأمة الإسلامية ليبث دعواتهم ويروج لأفكارهم، واستطاعوا أيضاً أن يستأجروا كتاباً وأساتذة جامعيين وغير جامعيين، وأدباء وشعراء يحملون أفكارهم من أبناء الشعوب المسلمة وينشرونها بأقلامهم وألسنتهم ليكونوا أكثر تأثيراً

---

(١) العلاقة بين التنصير والاستشراق: ص ٩٦.

(٢) الدراسات الاستشراقية، ص ١٣٦.

في الأجيال الناشئة، وهؤلاء هم أتباع المستشرقين وذيولهم وأجراؤهم وعملاؤهم من الشرقيين فهم شرقيون مستغربون.

ووجه المستشرقون عناية عظمى لإفساد المرأة المسلمة، عن طريق دعوات تحريرها وانطلاقها للعمل في شتى حقول المجتمع، وإعطائها ـ بحسب دعواهم المضللة ـ كامل حريتها وكامل حقوقها، وأثاروا الشبهات حول أحكام الإسلام الخاصة بشأن المرأة. وافتروا أنواعاً كثيرة من المفتريات.

وتبع المستشرقين في ذلك غير المسلمين من مواطني البلاد الإسلامية ومعهم المستغربون الملاحدة والأجراء من أبناء المسلمين.

ولما رأى أعداء الإسلام أن الريف في البلاد الإسلامية ظل بعيداً عن تيار الاستغراب، تحركوا بخطوات منظمة لإفساد الريف بوجه عام، وإفساد المرأة فيه بوجه خاص، فانطلق المستشرقون يخططون عن طريق التعليم في الريف لإقامة ما أسموه (التربية الأساسية) وجاءت التوصيات بضرورة العناية بمراكز (التربية الأساسية) في الريف، لتؤدي دورها المرسوم لها، في إفساد الريف وتغريبه لا سيما المرأة[١].

**ثالثاً: المجلات والدوريات العلمية:**

سلك المستشرقون كل الوسائل الممكنة في نشر أفكارهم التي عنيت بتشويه صورة الإسلام في الغرب وزعزعة الثقة بالإسلام في نفوس عوام وأنصاف المثقفين في الأمة الإسلامية، ولذا سلك المستشرقون مسلك إنشاء ونشر الصحف والمجلات.

وقد تبنى المستشرقون من خلال جمعياتهم وتكتلاتهم العلمية إصدار

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة، ص ١٣٧.

عدد من المجلات العلمية التي تختص بالكتابة عن أوضاع العالم الإسلامي من النواحي كافة، وهناك أكثر من ٣٠٠ مجلة ودورية متخصصة وموجهة ضد الإسلام، ومن أهم وأخطر هذه المجلات:

١. مجلة العالم الإسلامي: أنشأها المنصر الأمريكي زويمر عام ١٩١١م وكانت تصدر باللغة الإنكليزية، وهي من أخطر المجلات الاستشراقية الأمريكية، ومعروف عنها التزوير الكثير والتدليس وقلب الحقائق في معظم دراساتها عن العالم الإسلامي.

٢. مجلة جمعية الدراسات الاستشراقية: تصدر من (جامبز) بولاية أوهايو الأمريكية أنشاها المستشرقون الأمريكان وتوزع في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا.

٣. مجلة الشرق الأوسط: مجلة سياسية تصدر من أمريكا أيضاً، واهتمت بتشويه صورة الإسلام والمسلمين في العالم الغربي.

٤. مجلة العالم الإسلامي: تصدر بالفرنسية في باريس، وهي مجلة تنصيرية توزع في جميع أنحاء العالم الإسلامي.

٥. مجلة عالم الإسلام: تصدر عن الجمعية الشرقية الألمانية، أسسها المستشرق (هارتمان) سنة ١٩١٣، وهي مجلة فصلية تصدر كل ثلاثة أشهر، وتوزع في برلين وليبرح وليدن.

٦. مجلة الدراسات الإسلامية: تصدر من باريس، يشارك في الإشراف عليها المعهد الفرنسي بدمشق، ومعهد الدراسات الإسلامية بباريس، وعهد بالإشراف إلى المستشرق الفرنسي الشهير (لويس ماسينيون) وتصدر كل ثلاثة أشهر.

٧. مجلة المشرق: تصدر عن الآباء اليسوعيين بلبنان، ومشهورة بتبنيها لكتابات المستشرقين ونقلها ونشرها لأفكارهم وبحوثهم باللغة العربية.

هذه هي أشهر المجلات التي عنيت بتشويه صورة الإسلام والمسلمين قديماً، أما اليوم فقد شاعت الصحف بشكل أكثر وأكبر، ولبست لباساً جديداً، أما لباس السياسة أو لباس المنهج العلمي أو الاستشراقي الواضح كما كان، وانتشرت الإذاعات والقنوات التلفزيونية التي تنشر تلك الأفكار، ومازال المسلمون يغطون في النوم ويتغنون بأمجادهم ويلهثون وراء أولئك الحاقدون على الإسلام بحجة أنهم أصحاب حضارة متقدمة، وكأننا عن السير في طريق العلم والتقدم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم(١).

**رابعاً: دائرة المعارف الإسلامية:**

أصدر المستشرقون في أوائل القرن الماضي بالإنكليزية والفرنسية والألمانية موسوعة كاملة عن الإسلام ديناً وتاريخاً وحضارة وعلوماً واقتصاداً وسياسة وإعلاماً تسمى بالعربية بـ (دائرة المعارف الإسلامية) وهي تقع في أربعة مجلدات ضخمة، كانت أول طبعة قد ظهرت بين عامي ١٩١٣ و ١٩٣٨ بعدة لغات ثم ظهرت نسخ مختصرة منها عام ١٩٥٣. ثم بدأ العمل في الطبعة الثانية عام ١٩٥٤ و اكتملت عام ٢٠٠٥م، وبعد صدروها بفترة انتخبوا من بين موادها التي تغطي كل أوجه الحضارة الإسلامية المواد الخاصة بالدين وعلومه وأعلامه، ثم أصدروا ذلك في مجلد واحد مختصر، وفي هذا المجلد يجد القارئ خلاصة الفكر الاستشراقي فيما يخص ديننا ورجاله.

وقد ذكر ستيفن همفري أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة كاليفورنيا ـ سانتا باربارا في كتابه (التاريخ الإسلامي: إطار البحث) ما نصه:

دائرة المعارف الإسلامية مؤلفة بالكامل من قبل باحثين أوروبيين وهي

(١) المستشرقون ومنهج التزوير، ص ٨٢-٨٣.

لا تعبر إلا عن النظرة والمفهوم الأوروبي للحضارة الإسلامية، وتناقض هذه المفاهيم وتختلف اختلافا كبيرا عن المفاهيم التي يؤمن بها ويتبعها المسلمون أنفسهم، وما ذكر في هذه الموسوعة لا يتوافق مع التعاليم والمبادئ الإسلامية للمراجع الإسلامية كالأزهر بل يتناقض معها القائمون على هذه الدائرة هم مجموعة من المستشرقين النصارى واليهود المعروفين بحقدهم على الإسلام والمسلمين مثل المستشرق الهولندي أرند جان فنسنك، وهو من أشد المتعصبين ضد الإسلام وقد كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفُصل منه نتيجة مؤلفاته التي هاجمت الإسلام والقرآن والرسول، وهذا المستشرق المتعصب هو المشرف على الطبعة الأولى.

وشارك أيضا في إعداد هذه الموسوعة المنصر والمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون وهو رائد الحركة التنصيرية في مصر، وقد اشتهر بالعمل على تنصير الأمُيين من خلال خداعهم بتحوير آيات القرآن الكريم لإيهامهم بموافقتها النصرانية.

وقد اشترك أيضاً الكثير من اليهود في تحريرها مثل جوزيف شخت المستشرق الهولندي وإجناس جولديهر، المستشرق المجري وجورجيو ليفي دلا فيدا، والمستشرق الايطالي وبرنارد لويس المستشرق الأمريكي، وبرنارد لويس هذا من اشد المناصرين لإسرائيل وهو أستاذ صموئيل هنتجتون صاحب مصطلح (صراع الحضارات) الذي أعلنه عام ١٩٩٠ وقصد به حتمية الصراع بين الغرب والإسلام كعدو قادم بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، وكل كتبه عن الإسلام تدعو إلى محاربته بشتى الطرق.

واشترك في كتابة الموسوعة قساوسة وعلماء لاهوت ومنصرون مثل: القس دافيد صموئيل مرجليوث، وكان قسا بالكنيسة الإنجليزية وعرف عنه التعصب ضد الإسلام، وكذلك عالم اللاهوت والمستشرق هنري

لامنس، وقد عمل بالتنصير في بيروت وعرف عنه الحقد الشديد على الإسلام، ومن هؤلاء أيضاً: المستشرق ج. كريمرز وكتاباته تركز على التنصير، ودانكن بلاك ماكدونلد، وهو منصر أمريكي عرف بحقده الشديد على الإسلام وتتركز مؤلفاته حول تنصير المسلمين وقد انشأ معهد متخصص لهذا الغرض، وأدوين كالفرلي، وهو منصر أمريكي متعصب رأس تحرير مجلة العالم الإسلامي التنصيرية والتي تهتم بتنصير المسلمين.

وقد شكلت هذه الموسوعة مرجعاً مهماً للغرب فيما يتعلق بالعالم الإسلامي منذ ظهورها في أوائل القرن العشرين وحتى اليوم، وقام بتحريرها وكتابة المواد فيها عدد كبير من كبار المستشرقين الأوربيين والأمريكان فمن أمثلة الدس الكثيرة التي نجدها في هذه الموسوعة عند العودة إلى مادة (الفقه) فيها والتي كتبها المستشرق جولدتسهير، فهو يزعم أن الفقه الإسلامي مأخوذ من القانون الروماني، فقد تأثر فيه تأثراً واسعاً فيقول بهذا الخصوص: «إن من الطبيعي أن يستعين المسلمون غير المتحضرين (كذا قال) بالقوانين العرفية للبلاد التي فتحوها، وكانت على مستوى حضاري أرقى، وذلك لمواجهة الحالات الجديدة التي لم يتعرض له القرآن والسنة، وهذه البلاد كانت خاضعة قبل الفتح الإسلامي للحكم الروماني، فكان أن تأثر الفقه الإسلامي بالقانون الروماني»[١].

وذهب بعض المستشرقين إلى أبعد من ذلك عندما أدعوا أن كل ما يحويه القرآن الكريم من مسائل فقهية لا يزيد عن عشر مسائل (كفارة اليمين، والربا، والطلاق، والدين، والنكاح، والإرث، والشهادة، وعدة الشهور، والمكاتبة) إلى جانب عقوبة الزنا والقذف، ثم لا شيء بعد ذلك..!

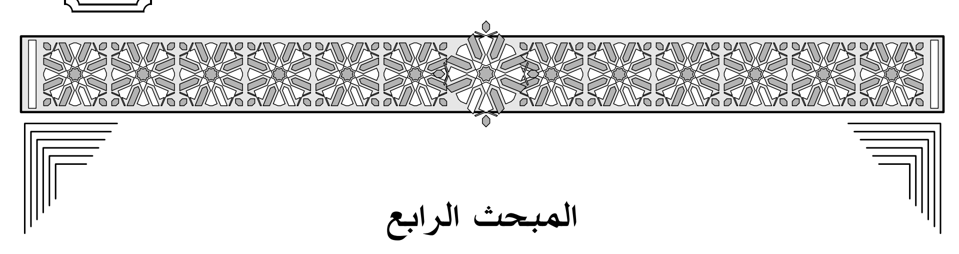
---

(١) د. إبراهيم عوض، دائرة المعارف الإسلامية الإستشراقية أضاليل وأباطيل، ص ٩٩.

يقول الدكتور إبراهيم عوض: ومن الواضح الجهل المبين في ذلك الكلام، رغم ما يوحي به من عنجهية غربية كاذبة، ففي القرآن بضع مئات من الأوامر الإلهية المتعلقة بالأمور الفقهية والتشريعية، وهذه الآيات كانت محل اهتمام خاص من جانب طائفة من المفسرين الذين اقتصروا في تفسيرهم عليها، كالشافعي وابن العربي والجصاص وغيرهم، فضلاً عن الأحاديث النبوية، وهي أكثر من ذلك كثيراً، فكيف يتهم الإسلام والمسلمون بالتخلف في حقل القانون وهم يملكون هذه الثروة التشريعية الفذة؟ علاوة على أنهم بالنسبة للمسائل التي تستجد ولا يجدون لها نصاً في القرآن والسنة، مأمورون ديناً أن يقيسوها على ما ورد فيه نص، مع بذلهم في ذلك أقصى ما عندهم من جهد، أو يستهدفوا في حكمهم عليها بروح الإسلام التي تتوخى العدل ومصالح العباد والتيسير عليهم ورفع الحرج عنهم، كيف يتهم المسلمون بالتخلف التشريعي وهم الذين فرض تشريعهم نفسه على الأمم المفتوحة[١].



(١) المصدر نفسه.



## المبحث الرابع

# شبهات المستشرقين

**أولاً: شبهات حول القرآن الكريم:**

لقد سعى المستشرقون إلى الطعن في كتاب الله تعالى، فهم يزعمون بأن الإسلام بمجمله نسيج مشوه استمده الرسول ﷺ من اليهودية والمسيحية والزرادشتية، ولنورد هنا بعض الشبهات التي أثيرت حول القرآن الكريم من لدن هؤلاء المستشرقين[(١)]:

فقد ردد المستشرقون الأقوال نفسها عن الإسلام بصورة عامة، والقرآن بصورة خاصة، فقد ردد المستشرق الإنكليزي سنكير ما قاله جب هاملتون من قبله عن القرآن الكريم فقال: «إن شرائع الإسلام تأسست من شرائع الأديان المعاصرة له، والمنتشرة وقتئذ في الشرق، ألا وهي: اليهودية والمسيحية والهندية والصابئة والفارسية والجاهلية» ثم قال:

لقد أخذ الإسلام من الجاهلية صلاة الجمعة وصوم وعاشوراء وتطييب البيت الحرام، وحظ الذكر في الميراث مثل حظ الانثيين والتكبير والأشهر الحرم والحج والعمرة، ونتف الأبط وحلق العانة والاغتسال والختان وتقليم الأظافر.

وأخذ من الصابئة: الصلوات الخمس والصلاة على الميت، وصيام

(١) د. محمد أمين بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ص ٢٠٦ وما بعدها.

شهر رمضان والقبلة وتعظيم مكة وتحريم الميتة ولحم الخنزير وتحريم الزواج من القرابات.

وأخذ من الهندية والفارسية: قصة المعراج والجنة والحور العين والولدان والصراط.

وأخذ من اليهودية: قصة قابيل وهابيل، وقصة إبراهيم وقصة ملكة سبأ وقصة يوسف.

وأخذ من النصرانية: قصة أهل طفولة (يسوع)[١].

وهو بهذا الكلام يريد أن يحقق هدفاً من أهداف الاستشراق، وهو أن القرآن موضوع وليس وحياً من عند الله تعالى، وإنما هو مرآة لأفق خاص من الحياة، هو أفق تلكم العقائد المنتشرة في رقعة الجزيرة العربية لا سواها، وهذه من أخطر الافتراءات ضد الإسلام، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩]، وقال أيضا جل شأنه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقَّة: ٤٠-٤٢].

يقول ابن خلدون في بيانه لإعجاز هذا القرآن: «ويدلك على هذا كله أن القرآن من بين الكتب الإلهية، إنما تلقاه نبينا ﷺ، متلو كما هو بكلماته وتراكيبه، خلافاً للتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب السماوية، فإن الأنبياء يتلقونها في حالة معاني ويعبرون عنها بعد رجوعهم إلى الحالة البشرية، ولذلك لم يكن فيها إعجاز»[٢].

ويذهب كبار المستشرقين إلى أن القرآن الكريم هو من تأليف محمد ﷺ، وهذه من أشهر مقالاتهم في هذا الباب، وليطلع على أقوالهم نورد

---

(١) د. إبراهيم خيل أحمد، الاستشراق والتبشير، ص ٦٧.

(٢) مقدمة ابن خلون، ص ٣٦٧.

بعضها :

* يقول المستشرق نلسون ـ على سبيل الشك لا الجزم ـ لأنه عالم ببطلان ما يقول: «إنه يخالجني الشك في أن القرآن من تأليف محمد [ﷺ] أي أنه فيض من نفسه، لا غيث من السماء، وإنه من قبيل قريحة الشاعر لا أنه وحي من السماء، وأن خيل لمحمد [ﷺ] أنه وحي لأنه أفصح العرب كما يقولون»[١].

* أما المستشرق جون نوس ـ أستاذ الفلسفة بكلية فرانكلين الأمريكية ـ فيقول في مؤلفه (أديان الإسلام): «إن الإسلام يزهو ويفخر بأن القرآن يكمل أنصاف الحقائق التي جاءت بها الأديان السابقة، مع أن كل من له دراية بالأديان العالمية يدرك لأول وهلة عند قراءة القرآن أن محمداً [ﷺ] نقل كثيراً من تعاليم الأديان الأخرى، ومع أنه أعتمد كثيراً على التقاليد الموسوية والمسيحية في تصوير العلاقة بين الإنسان وربه في التاريخ، إلا أنه أسبغ على الله ربه ثوباً من الخلق العربي والشخصية العربية»[٢].

* وجاء على لسان المستشرق ويلز: «وقد أملى محمداً [ﷺ] كتاباً من الأوامر والقصص اسمه القرآن، زاعماً أنه أوحي إليه من عند الله، وإذا نظرنا إلى هذا القرآن من الناحية الأدبية والفلسفية كان غير جدير بنسبته إلى الإله»[٣].

* ويقول المستشرق بروكلمان: «وليس من شك في أن معرفته ـ أي الرسول ﷺ ـ بمادة الكتاب المقدس كانت سطحية إلى أبعد الحدود، وحافلة بالأخطاء، وقد يكون مديناً ببعض هذه الأخطاء للأساطير اليهودية التي يحفل بها القصص التلمودي، ولكنه مدين بذلك ديناً أكبر للمعلمين

---

(١) سعدي ياسين، البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، ص ٨٦.
(٢) د. محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ص ٢١١.
(٣) المصدر السابق، ص ٢١٤.

المسيحيين الذي عرفوه بإنجيل الطفولة، وبحديث أهل الكهف السبعة، وحديث الإسكندر وغيرها من الموضوعات التي تتوافر في كتب العصر الوسيط»[١].

* تقول المستشرقة الألمانية زيغريد هونكة: «إن اللغة العربية مطواعة في ألفاظها، وإن قصيدة الشنفري تعطينا الصورة الواضحة عن قوة التصوير بلغة الصحراء، حيث كانت الضباع والذئاب رفيقة هذا الإنسان، وقد برهنت على ما زعمته في قصيدة مطلعها:

**أديم مطال الجوع حتى أميت — وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل**

ثم قالت: انظر كيف استطاع نثر محمد [ﷺ] الذي أتى مبشراً فسيطر على ذلك الإنسان الشاعر ودخل إلى أعماقه، واستشهدت على ذلك بسورة التكوير، معبرة بذلك أن القرآن من نثر محمد [ﷺ] ثم قاسته بكلام ذلك الشاعر الصعلوك»[٢].

ولنكتفي بهذا المقال من الأقوال التي تعبر عن حقد المستشرقين وعنجهيتهم في النظر إلى القرآن الكريم، حتى المنصفين منهم لا يسلمون من هذا، أما ملخص هذه الشبهات التي أطلقها ضد القرآن، فهي[٣]:

١. القرآن من صنع محمد ﷺ وليس من عند الله.

٢. أن النبي ﷺ استقى مادة القرآن ـ ولا سيما قصصه من الأحبار والرهبان ـ الذين كان يلقاهم أو يتصل بهم، أي أن مصادر القرآن من الديانة اليهودية والنصرانية.

٣. القرآن لحقه التحريف بعد موت محمد ﷺ.

---

(١) بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، ١/ ٤٣.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، ص ١١.

(٣) د. محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ص ٢١٦.

٤. إجهاد النبي ﷺ في حالة الوحي، فهذا يدل على نوبات صرع حيث يفقد وعيه ويسيل منه العرق وتعتريه تشنجات، فإذا أفاق ذكر أنه أوحي إليه، وتلا على أتباعه ما يزعم أنه وحي من الله.

**أما الرد على هذه الشبهات فنقول وبالله تعالى التوفيق:**

إن تتبع النصوص القرآنية تدل على أن القرآن الكريم ليس من عند محمد ﷺ، كما يزعم المستشرقون، فهو رجل أمي لا يعرف القراءة والكتابة، فأنى له بهذا النظم المتناسق المتكامل المبدع؟ والقرآن الكريم يشير إلى ذلك في مواطن عديدة منه قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤)﴾ [النجم: ٤]، بل نجد القرآن الكريم ينفي البشرية عن نفسه؛ إذ لو كان بشرياً لكان فيه اختلافاً كثيراً: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، وقد بين الله تعالى حال أهل الكتاب عند اطلاعهم على القرآن، فقال جل شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ ۚ فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمِنْ هَٰؤُلَاءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧)﴾ [العنكبوت: ٤٧]، فالكتاب المنزل من عند الله، وليس من عند محمد ﷺ، وكيف يكون محمد ﷺ هو صاحب الكتاب ثم ينسبه إلى الله، لو كان الأمر كما يدعي الكافرون من الناس لنسبه محمد ﷺ إلى نفسه، فأزداد به عظمة وارتفاعاً، وهو الصادق الذي شهد له الأعداء بذلك، وهو العدل الذي يقبله الأعداء لحل الخصومات، وقد أشار أنس بن مالك رضي الله عنه إلى ذلك ـ نفي شبهة الأدعاء أنه من عند محمد ﷺ ـ فقال: «جاء زيد بن حارثة يشكو فجعل النبي ﷺ يقول: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال أنس لو كان رسول الله ﷺ كاتما شيئا لكتم هذه، قال: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات»[1].

ومن العجيب أن بعض المستشرقين اعترف بأن هذا القرآن هو من

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، رقم (٦٩٨٤).

عند الله وليس من محمد ﷺ، منهم المستشرق الدكتور شبس فيقول: «يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد ﷺ، وهذا هو الخطأ المحض، فالقرآن كلام الله تعالى الموحى إليه على لسان رسوله محمد ﷺ، وليس في استطاعة ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء، ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور، وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة، لا تعجبوا فإني قد درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة وتلك البلاغة التي لم أرَ مثلها قط، فجملة واحدة تغني عن مؤلفات»[(١)].

وتقول الدكتورة لورا فيشيا فاغليري، أستاذة اللغة العربية وتاريخ الحضارة في جامعة نابولي بإيطاليا: «كيف يكون هذا الكتاب المعجز من عمل محمد ﷺ، وهو العربي الأمي الذي لم ينظم طوال حياته غير بيتين من الشعر لا ينم منهما عن أدنى موهبة شعرية، وعلى الرغم من أن محمداً ﷺ دعا خصوم الإسلام إلى أن يأتوا بكتاب مثل كتابه أو على الأقل مثل سورة، وعلى الرغم من أن أصحاب البلاغة والبيان الساحر كانوا غير قلائل في بلاد العرب، فإن أحداً لم يتمكن من أن يأتي بأي أثر يضاهي القرآن»[(٢)].

الرد على الشبهة الثانية: أما ما أدعاء بعض المستشرقين من أن القرآن من صنع العرب، فإن هذا ترده الشواهد التاريخية والأدبية، فالعرب هم أمة البلاغة والفصاحة والشعر والبيان، وعندما جاءهم رسول من أنفسهم يتلو عليهم آيات الله، بهرت عقولهم وظهرت فصاحته على كل كلامهم، فعقدوا المحاولات والمشاورات والمؤتمرات والافتراءات لمضاهاته، فما كان منهم إلا أن خضعوا لسلطانه، واعترفوا بأنه ليس من

---

(١) محمود الفيض الحسيني، سيرة سيد المرسلين، ص ١٨.
(٢) نبيه زكريا، كيف نحيا بالقرآن، ص ١٧.

نوع ما ألفوا، ولا جنس ما عرفوا، ولا هو في طوق واستطاعة أحد منهم، وصدرت منهم اعترافات بعجزهم عن مجراته، وبأن معاداتهم كانت من باب العناد والمكابرة، وليس أدل على ذلك من اعترافات الوليد بن الغيرة عند سماعه للقرآن فقال: «والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق [النخلة] وإن فرعه لجناة، وما يقول هذا بشر، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل...» إلى آخر ما قال[١].

ولذلك فإن القرآن الكريم تحدى العرب بأن يأتوا بمثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سورة من مثله، وبعد عن عجزوا هذا وهذا قال لهم فأتوا بسورة من مثله فعجزا عن كل ذلك، يقول الشيخ الزرقاني: «إن هذا التحدي الذي امتاز به القرآن فتح عيون الناس جميعاً ولفتهم بقوة إليه، لا فرق بين أوليائه وأعدائه، أما أولياءه ومتبعوه فقرؤوه من هذه الناحية، ليفحوا به أعدائهم ويؤيدوا بإعجازه دينهم ونبيهم وأما أعداؤه فاقتفوا أثره وتتبعوا أملاً في أن يجدوا فيه مغمزاً ويأخذوا عليه مطعناً، فلا جرم كان هذا التحدي التي توافرت على نقل القرآن وتواتره وجريانه على كل لسان»[٢].

وقد عرف بعض المستشرقين هذه الحقيقة، منهم المستشرق ديزيريه بلانشيه في كتابه (دراسات في التاريخ الديني) فقال: «ولقد أوتي محمداً كتاباً تحدى به البشر جميعاً أن يأتوا بسورة مثله، فقعد بهم العجز، وشملتهم الخيبة، وبهتوا أمام ذلك الإحراج القوي الذي أغلق في وجههم كل باب»[٣].

الرد على الشبهة الثالثة: قولهم أن القرآن أخذ من الكتب السماوية السابقة.

---

(١) د. محمد بني عامر، القرآن والمستشرقون، ص ٢٢٧.

(٢) مناهل العرفان: ١/ ٣١٣.

(٣) كيف نحيا بالقرآن، ص ١٨.

لقد أنزل الله تعالى القرآن عربيا لأن لغة العرب أفصح اللغات وأوسعها وأكثرها تأدية للمعاني التي تقوم بها النفوس قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف: ٢]، فإذا كان العرب ـ وهم أهل الفصاحة والبلاغة ـ قد عجزوا أمامه حين تحداهم، فهل يعقل أن يكون القرآن من صنع بشر غيرهم؟ هل يعقل أن يكون القرآن من صنع الروم أو الفرس أو الأحباش؟ فإذا كان القرآن ليس من عند العرب ولا من عند غيرهم، فمن أين هو أذن؟ قل هو من عند الله.

وقد ردد كبار المستشرقين قديماً قولهم بأن هذا القرآن أخذه النبي ﷺ من بحيرا الراهب الذي التقى به النبي ﷺ في رحلته الأولى إلى الشام بصحبه عمه، أو من ورقة بن نوفل ابن عم خديجة الرجل المتحنث، وربما يكون أيضاً أخذه من صهيب الرومي أو من سلمان الفارسي بعد ذلك في العهد المكي.

ويكفي من بيان تناقض هذه المزاعم أن المستشرقين لا يقفون على حال فيها، فبعضهم يناقض بعضاً، وبعضهم يكذب بعضاً، بل منهم من رد هذه الروايات جملة وتفصيلاً انتصاراً للموضوعية ـ وهو المستشرق كارادفو ـ فقال: «إن هذه الخرافة ـ يقصد الأخذ عن بحيرا الراهب ـ ليس فيها شيء يستحق الاعتبار، ولكنه لا يزال في سوريا قسيسون من الفئة التابعة لروما يعتقدون بأن بحيرا كان معلماً لمحمد، وأنه هو الذي لقنه القرآن»[١]، وقال مستشرق آخر في دحض هذه القصة، وهو هوارت: «لا تسمح النصوص العربية التي عثر عليها ونشرت وبحثت منذ ذلك القوت بأن نرى في الدور المسند إلى هذا الراهب السوري إلا قصة من نسيج الخيال»[٢].

---

(١) د. محمد بني عامر، المستشرقون والقرآن الكريم، ص ٢٤٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٠.

يقول محمد عبد الله دراز: والحقيقة أن أعداء الإسلام قد زادوا القرآن بهذا الاتهام قوة إلى قوته، ذلك أنهم حين خرجوا يلتمسون واحداً من البشر يمكن أن ينسب إليه هذا العلم المحمدي لم يستطيعوا أن يقترضوا له مصدراً تعليمياً خارج حدود قريته، بل كان آخر جهد بذلوه من حيلتهم وآخر سهم رموه من كنانتهم أن جاءوا من بين ظهرانيهم بغلام رومي، فيا ليت شعري لو كان لهذا الرومي خليقاً أن يكون مرجعاً علمياً كما أرادوا أن يصفوه، فما منعهم أن يأخذوا عنه كما أخذ صاحبهم؟ وبذلك كانوا يستريحون من عنائه ويداوونه من جنس دائه، بل ما منع ذلك الغلام أن يبدي للعام صفحته فينال في التاريخ شرف الأستاذية، أو يتولى بنفسه تلك القيادة العمالية[١].

ونكتفي بهذا المقدار من الشبهات التي أطلقها المستشرقون، ويكفي أن نحيل القارئ إلى كتاب الدكتور محمد بني عامر (القرآن الكريم والمستشرقون)، ليطلع على شبهات كثيرة والرد عليها.

**ثانياً: شبهات حول الرسول ﷺ:**

لقد حرص المستشرقون على أن ينالوا من شخص الرسول ﷺ ويشوهوا صورته ويشككوا في نبوته وجدارته بأن يكون رسول رب العالمين، حيث توهموا أنهم إن أفلحوا في هدم هذه الشخصية الربانية العظيمة ـ كما يحلمون ـ فسوف ينهار الدين الذي جاء به، وينهدم الصرح أسسه ويصبح محل نظر، مادام أن الرجل الذي كان محور هذا الدين وداعيته قد أثبت عدم أهليته وصلاحيته، حاشاه ﷺ.

ولهذا فقد راحوا ينسجون كثيراً من الأباطيل والمفتريات حول الرسول ﷺ، منها:

---

(١) النبأ العظيم، ص ٦٥.

لقد حاول كثير من المستشرقين أن يصوروا النبي ﷺ بأنه كان أسيراً لشهوته الجنسية، وليس له هم إلا إرواءها وإشباعها، بالطرق المشروعة وغير المشروعة، حسب زعمهم، ففي كتاب له بعنوان (محمد) كان يدرس حتى وقت قريب في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، يقول المستشرق الفرنسي رودنسون: «كان من سوء الحظ أن شعر محمد [ﷺ] تجاه خديجة بالعاطفة الطبيعية، التي أرواها بعد ما تقدمت به السن مع النساء الشابات والمحبوبات من حريمه».

يقول الدكتور إسماعيل علي محمد: ونلاحظ هنا استخدام هذا الخبيث للفظ Procure ومن معانيه: يعمل قواداً، ويجلب النساء للزنا، مع إمكانية استخدام ألفاظ أخرى، وكذلك لفظ الحريم، لكنها الدناءة تأبى إلا أن تختار ألفاظها(١).

ويقول هذا الخبيث في مكان آخر من كتابه: «كان محمد مرتبطاً بأم أولاده بروابط أقوى من أي وثيقة، رغم ما عرفناه من ميوله الغرامية بعد ذلك، ويصعب أن نتخيل أوقاتاً مرَّ بها دون أن يكون مستحقاً للعبارة الإنجيلية التي كان سماعها سيفزعه لو سمعها وهي أنه ارتكب الزنا في قلبه»(٢).

ويتجرأ مستشرق آخر هو دينيه ديدرو فيصف النبي ﷺ بأنه: «أفضل صديق للنساء، وأكبر عدو للعقل»(٣).

وأمثال هذه العبارات كثيرة، لا نريد أن نسود بها صفحاتنا، نسأل الله العفو والعافية، وكما قال علمائنا بأن ناقل الكفر ليس بكافر، وأما ما زعمه أولئك الكفرة وذكروه من التطاول على مقام النبي ﷺ، ومحاولة

(١) الاستشراق بين التزوير والتضليل: ص ١٥٩.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الإسلام في تصورات الغرب، ص ١٤٣.

إلصاق التهم الكاذبة به فمحض افتراء ولا يمت إلى الحقيقة، وإنما هو لإبعاد الناس عن أتباعه، ولتشويه صورته ﷺ في أعين الناس من غير المسلمين.

إن المصادر التاريخية التي درسها المستشرقون لتعطينا صورة بيضاء مشرقة عن شخصية النبي ﷺ سواء قبل البعثة النبوية أم بعدها، وتنعكس فيها الشخصية الفذة لهذا الرسول التي هي مثالاً يحتذى للطهر والعفة والأمانة وكرم الشمائل، وهو لهذا كان موضع ثقة وتقدير لمعاصريه، حتى من قبل أعدائه.

ثم إنه كان للنبي ﷺ أعداء كثر في عصره، كانوا حريصين أشد الحرص على تتبع عثراته وسقطاته إن وجدت، حاشاه من كل ذلك، واستغلالها للطعن بنبوته وإبعاد الناس عنه، فلماذا لم يذكرها هؤلاء؟ لماذا أغمضوا عيونهم وكفوا ألسنتهم عن فضح النبي ﷺ بسلوكه وعلاقاته المحرمة مع النساء؛ حاشاه بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسلام.

ومما أثاره المستشرقون أيضاً في هذا الباب تعدد زوجاته عليه الصلاة والسلام، وقالوا ما ذلك إلا لفرط شهوته الجنسية، كونه عليه الصلاة والسلام جمع بين أكثر من زوجة، وتوفى عن تسع زوجات.

فأول امرأة تزوجها النبي ﷺ كانت تقرب من الأربعين عاماً، ولو كان رجلاً جامحاً في شهوته لبحث عن امرأة في ربيع عمرها وليس في خريفه، وكانت تقرب من العشرين لا من الأربعين.

وعندما كان في الأربعين من عمره ﷺ كانت شيخة في الخامسة والخمسين، وعندما كان في الثالثة والخمسين كانت تقترب من السبعين فأين الحسناوات اللاتي يتنقل بين صدورهن كما تزعمون؟ وهو كما يقرر العدو قبل الصديق لا يعرف إلا الوفاء للسيدة العجوز التي قضى معها شبابه كله.

ثم ماتت زوجته خديجة رضي الله عنها في عام أطلق عليه عام الحزن، فاستقدم إلى داره امرأة تقاربها في السن هي التي هاجرت معه إلى المدينة.

وصحيح أنه في السنوات العشر الأخيرة من حياته اجتمعت لديه نسوة أخريات! من هن؟ مجموعة من الأرامل المنكسرات أحاطت بهن ظروف صعبة، لم يشتهرن بالجمال ولا كان لهن من السن المبكرة ما يحدد الحياة اللهم إلا بكرًا واحدة بنت صديقه أبي بكر تزوجها توثيقًا لعلاقاتهما، وتزوج بعدها حفصة بنت صديقه عمر، ولم تعرف بجمال، بل بدا أن البناء بها بعد موت زوجها كان جبر خاطر ودعم مودة وجهاد!.

وتزوج أم حبيبة المهاجرة إلى الحبشة، فإنه لم يرها هناك بيد أنه يعرف إسلامها برغم أنف أبيها زعيم المشركين يومئذ، وبقاءها على الإسلام برغم أنف زوجها الضائع فهل يتركها في وحشتها وعزلتها؟ لقد أرسل يخطبها ويعز جانبها.

وكلما أحاطت ظروف سيئة بامرأة ذات مكانة، ضمها إليه، وما كان للشهوة موضع يلحظ، وأدركت النسوة القادمات هذه الحقيقة، وعرفن أن هذا الوضع فوق طاقة الإنسان العادي، فعرض بعضهن في صراحة أن يبقى منتسبًا للبيت النبوي مكتفيًا بهذا الشرف، ومتنازلاً عن حظ المرأة من الرجل، فإن الرسول آواهن مستجيبًا لنداء إنساني لا لبواعث الغريزة! أين مكان الغريزة والحالة على ما شرحنا؟.

وفي استبقاء أولئك الزوجات على ما ارتضين نزلت آيات كريمة. منها قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ﴾ [النساء: ١٢٨]، ومنها قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ﴾ [الأحزاب: ٥١].

ولو كان الأمر كما يدعي هؤلاء المستشرقين لما خير النبي ﷺ نساءه بينه وبين الدنيا، فأخترن كلهن الله ورسوله على الدنيا، كما روى ذلك مسلم عن أم المؤمنين عائشة ك، وهي أصغر أزواج النبي وأقربهن إليه، فتقول: «لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت: ثم قال إن الله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨﴾ [الأحزاب: ٢٨] قالت: فقلت: في أي هذا أستأمر أبوي فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت»[(١)].

بل لقد عاش عليه الصلاة والسلام عيشة الكفاف مع نسائه، ولم يكن بالملك المرفه ولا السلطان العظيم، فعن أم المؤمنين عائشة قالت: «ما شبع آل محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله ﷺ»[(٢)]، وكان مقصده في الزواج هو هدف أسمى من خلال ائتلاف المؤمنات اللاتي توفي أزوجهن أو استشهدوا في سبيل الله، لكي يستن به عامة المسلمين في ذلك، ولخلق نوع من التوجه الاجتماعي نحو كفالة الأرامل والأيتام، وتوفير الفرصة أمام المطلقات بزواج آخر لعل الله يجعله خيراً من الأول.

**ثالثاً: شبهات حول الإسلام:**

لم يكن انتشار الإسلام في صقاع الأرض إلا بسبب وضوح الإسلام وفطرته والمعاملة الحسنة التي كان يستخدمها أولو الأمر من المسلمين،

---

(١) مسلم، كتاب الطلاق، باب تخيير المرأة، رقم (١٤٧٥).

(٢) مسلم، كتاب الزهد والرقائق، رقم ٢٩٧٠.

فلقد كان أمراء المسلمين على نصيب عظيم من التواضع والتسامح والمساواة والعدل، مما لم يعهده أولئك الأقوام من أبناء جنسهم، وإنما كانت القوة الإسلامية لحماية قوة العقيدة للناس، تختار الدين الذي يوافق فطرته ونظرتهم العقلية والنفسية، وهذا ما جعل الأقوام المختلفة من نصارى ويهود وغيرهم يدخلون في دين الله أفواجا، وقد أكد قلة من المستشرقين ممن أنصف هذه الحقيقة، فهذا المستشرق لوبون يقول: «ورأى أعداء الإسلام من المؤرخين العجب من سرعة انتشار القرآن العظيمة إلى ما زعموه من تحَلُّلِ محمد [ﷺ] وبطشه، ويسهل عينا أن نثبت أن هذه المزاعم لا تقوم على أساس، فنقول: إن القرآن يجد فيه ما في الأديان الأخرى من الصراحة، وأن ما أباحه القرآن من تعدد الزوجات لم يكن غريباً على الشعوب المسلمة التي عرفت قبل ظهور محمد [ﷺ] وأن هذه الشعوب لم تجد نفعاً جديداً في القرآن لهذا السبب»[١].

ويردد المستشرقون كثيراً هذه العبارة: «إن الإسلام انتشر بقوة السيف» في مؤلفاتهم وأدبياتهم، حتى أصبحت من القواعد التي لا يحيد عنها واحد منهم، اللهم إلا إذا استثنينا بعض المستشرقين منهم المستشرق توماس آرنولد الذي قال: لئن اعتقد أن الإسلام انتشر بقوة السيف، فإن هذا يناقضه الواقع خاصة في جنوب شرق آسيا، فلم يعرف عن هذا الجزء من العالم أي قوة عسكرية للمسلمين عبر تاريخها، ولكن دخلها الإسلام بالدعوة الصامتة والتجارة الصادقة[٢].

الأمر الآخر أنه قد عرف عن المسلمين أنهم كانوا يخيرون أهل الكتاب من اليهود والنصارى بين أن يدخلوا الإسلام، أو أن يظلوا على

(١) د. عبد القهار العاني، الاستشراق والدراسات القرآنية، ص ٥٧.
(٢) الدعوة إلى الإسلام، ص ٨١.

دينهم ويدفعوا الجزية، وتركوا لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية.

بل لقد عرف عن المسلمين تسامحهم الكبير تجاه أهل الذمة، وأكثر من هذا أن النصارى كانوا قد تولوا منذ وقت مبكر وظائف كبيرة في الدولة الإسلامية، وأول من فعل ذلك الخليفة معاوية بن أبي سفيان، حتى تطور الأمر فأصبح بعض النصارى وزراء في عهد الدولة العباسية وعلى وجه الخصوص في خلافة المعتصم[١].

كما كثر بناء الكنائس الجديدة فضلاً عن المحافظة على الكنائس السابقة التي كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، فهذا التسامح ينفي عن الإسلام انتشاره بالسيف، ولو كان كما يقول هؤلاء المستشرقين، لكان النصارى واليهود أول الناس تعرضاً عليه، فقد تركهم الإسلام على دينهم لم يمس منهم شيئاً، ويكفي برهاناً على تسامح الإسلام من وجود جاليات كبيرة من النصارى في مصر والشام والعراق وغيرها من بلدان الإسلام وهم على دينهم، منذ الفتح الإسلامي وحتى يوم الناس هذا.

ولو قارنا هذا بوحشية وهمجية الأسبان عند انتصارهم على المسلمين في الأندلس لأدركنا تعسف هؤلاء المستشرقين في وصف الإسلام بهذه الصفات، فقد قام الأسبان بعملية تطهير عرقي وإبادة جماعية لكل مسلمي الأندلس، حتى قدر من قتل منهم بأكثر من مليون ونصف المليون نفس، وانشئوا لهذا الغرض محاكم التفتيش التي اختصت بقتل المسلمين وحرق كتبهم وتهجيرهم خارج الأندلس بالقوة، أو إجبارهم على التنصر.

والذي يعرفه كل دارس للإسلام وتاريخه هو أن الفتوحات الإسلامية في جملتها كانت تهدف إلى نشر الإسلام والدعوة إليه، كما أن الدعوة إليه وشرحه للناس من غير حروب ولا فتوحات كانت غرضاً سامياً

---

(١) الإسلام والمستشرقون، ص ٤٠.

للمسلمين، فالمسلمون لم يكروا أهل الكتاب على الدخول في الإسلام، وعاملوهم معاملة أفضل بكثير من معاملة الوثنيين ولكن هذا يعني أن المسلمين كان هدفهم الأول هو نشر دين الله تعالى، وقد هال الانتشار الواسع للإسلام ـ خاصة في عهد بني أمية ـ هال المستشرقين وأفزعهم، وحاولوا أن يطعنوا بصدق النوايا، من ذلك ما يقوله جولد تسيهر في حق هذا الانتشار: «كان العرب في هذا العهد من تاريخهم لا يبالون بنشر الإسلام بين رعاياهم، بل كانوا يقاومون حركة التحول إلى الدين الجديد، ومع ذلك فإنهم تحت تأثير الثقافة الإسلامية بدأت أفكارهم تتجه نحو الفتح الروماني، وأخذ الإسلام ينتشر بخطوات حثيثة إلى الحد الذي أثار قلق الخلفاء، فعملوا على تبطئ هذا التحول إلى الإسلام خشية أن يؤدي ذلك إلى إغراق العرب الخلص في هذا الخضم من الشعوب الإسلامية الأعجمية»[١]

وهذا عجيب جداً، ولا يضر الإسلام في شيء أن ينتشر تلقائياً، وتعد الفتوحات الإسلامية ـ التي كان معظمها في عهد بني أمية ـ أعظم الفتوحات في تاريخ البشرية، تمثل ذلك بما بثته من ثقافة ومبادئ وقوانين، وقد ظل هذه الفكر يمتد ويقبل الناس عليه حتى أننا نجد قبائل البربر في شمال أفريقيا يستعصون على الرومان زمناً طويلاً حتى إذا أشرق بينهم نور الإسلام اهتدت قلوبهم، وأخلصوا له، ونجدهم في أول طائفة تعبر البحر باتجاه الأندلس مع القائد طارق بن زياد الذي كان من البربر أيضاً، كما كان طريف أول رائد لهذا الغزو منهم أيضاً[٢].

فإذن الإسلام كدين إلهي انتشر بقوة حجته، وصدق بيانه، وإخلاص رجاله، ولم يعرف في تاريخ المسلمين الطويل أنهم أجبروا فرداً واحداً

(١) تاريخ الجنس البشري: ٣/ ٥٤٥.

(٢) الإسلام والمستشرقون: ص ٥٠.

على الدخول في الإسلام، على عكس ما فعله الأوربيون في حروبهم الطاحنة على السلطة والنفوذ، ويكفي أن نبين أن خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية قتل أكثر من ١٠٠ مليون نفس من الأوربيين والغربيين في الاقتتال الذي ساد بينهم خلال أقل من ربع قرن من الزمان.

**رابعاً: شبهات حول المرأة:**

وجه المستشرقون اتهامات كثيرة حول قضية المرأة في الإسلام، وحاولوا أن يشوهوا الصورة الكريمة التي رسمها القرآن الكريم للمرأة، ورددوا شبهات واهية وصوراً مكذوبة فقد زعم هؤلاء أن الإسلام اهتضم حق المرأة وأسقط منزلتها وجعلها متاعاً في يد الرجل يتصرف بها كما شاء.

والحقيقة أن الإسلام قد شمل المرأة في جميع تشريعاته الخاصة بنظام الأسرة برعاية كريمة وعطف كبير، وسما بها إلى مستوى رفيع لم تصل إليه ولا إلى ما يقرب منه أية شريعة من شرائع العالم القديمة والحديثة.

كما عني الإسلام ببيان وحدة الزوجين وتساويهما من الناحية النفسية ليقضي على جميع النظريات الخاطئة التي كانت تزعم أن المرأة جنس منحط بذاته عن جنس الرجل، على معتقد الأوروبيين حتى عهد قريب من التاريخ[١]، وكان المستشرق كرومر يذهب إلى أن الرجل أشد تمسكاً بتعاليم الإسلام من المرأة، ويعلل هذا الافتراض على أنه ظاهرة في الحياة الإسلامية، وهذا يرجع ـ باعتقاده ـ إلى اختلاف وضعية الرجل من الناحية الاجتماعية عن المرأة[٢].

---

(١) سيد قطب، الإسلام ومشكلات الحضارة، ص ٦٤.

(٢) د. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ١٣٠.

والرد على ذلك هو من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، فالإسلام يؤكد وحدة الزوجين وتساويهما أمام ربهما من ناحية الثواب والعقاب والجنة والنار، بل خفف عن المرأة أكثر من الرجل، فهي لا تصلي عند حيضها وتقضي صومها في أيام آخر، كما لم يوجب عليها صلاة الجماعة أسوة بالرجال، وأذن لها أن تجلس في بيتها عند الجهاد ومقارعة الأعداء، وجعل الرجل أميناً عليها في كل مراحل حياتها بالنفقة والرعاية والإنفاق.

ومن الشبه التي يرددها المستشرقون كثيراً هي: أن المرأة في الإسلام قد أهدرت إنسانيتها؛ لأنها ترث نصف حظ الرجل، كما أن شهادتها كذلك تعتبر نصف شهادة الرجل.

والواقع أن السبب في تفضيل الرجل بالميراث أنه مطالب بنفقات المعيشة، ومطالب المهر لزوجته، وعليه نفقتها وكسوتها وجميع ما تحتاج إليه بالمعروف، حتى وجب عليه أن يجب خادمة لزوجته، وأوجب عليه أن يدفع العدة إذا ما طلق زوجته، فهو مطالب بنفقته على نفسه وأولاده وعليها، ومطلب بوالديه وأقاربه، إذا كانوا يتامى أو فقراء، إذن بماذا يتميز الرجل عنها؟ الرجل مطالب بكل شيء والمرأة لا تطالب بشيء[(١)].

أما موضوع الشهادة في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فليس وارداً في مقام الشهادة التي يقضي بها أمام القاضي ويحكم، وإنما هو وارد في مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل فالمقام مقام استيثاق الحقوق لا مقام قضائي.

(١) محمد أبو زهرة، الإسلام عقيدة وشريعة، ص ٢٣٣.

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة أو شهادة النساء اللاتي ليس معهن رجل لا يثبت بها الحق، ولا يحكم بها القاضي، فإن أقصى ما يطلب القضاء هو البينة، وقد حقق العلامة ابن الجوزي أن البينة في الشرع أهم من الشهادة، وأن كل ما يتبين به الحق هو بينة يقضي بها القاضي ويحكم(١).

أما قضية تعدد الزوجات، فهي من أهم القضايا التي تثار ضد الإسلام والمسلمين على يد المستشرقين، فقد بثوا دعايات مسمومة ضد هذا الموضوع؛ بحجة أنه يمثل امتهاناً لكرامة المرأة وإشعاراً لها بعدم أهميتها في الأسرة، وأن ذلك يؤدي إلى مشاكل اجتماعية وخيمة، وإلى تشريد الأطفال، وإلى قطع أواصر الرحمة والقرابة، من ذلك ما قالته أليس ليختنستادتر: «إنه من الأمثلة التي طال بحثها وأشتهر أمرها مثل النظام الذي يبيح تعدد الزوجات، فليس في البلاد الإسلامية ما عدا البلاد التركية من قانون يحرم هذا النظام بحكم القضاء العام أو الخاص بالأحوال الشرقية والمحاكمات الشرعية فلا يزال تعدد الزوجات عملاً مشروعاً في مصر وباكستان وإيران والعراق واندونيسيا وإن العرف ليتجه، بتأثير القدوة العربية، وتأثير متاعب تعدد الزوجات إلى النفور منه ويزداد هذا النفور مع الزمن...»(٢).

وفي واقع الحال ان الإسلام سمح بتعدد الزوجات لأغراض عمرانية سامية، وأغراض إنسانية نبيلة، وأباح ذلك لضرورات حيوية لا يسع متسرع حكيم إلا أن يقيم لوزنها أكبر وزن في تشريعه، وخاصة إذا كان يشرع لجميع شعوب العالم كما هو الشأن في الإسلام، فمن الأبحاث التي أقرها علماء الاجتماع: أن تعدد الزوجات كان النظام المتبع في

---

(١) د. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ١٣٥.
(٢) أبو زهرة، مصدر سابق، ص ٢٣٣.

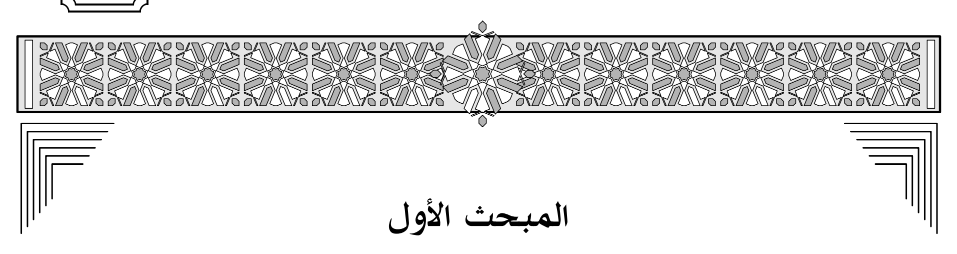
الشعوب المتمدنة، وأن الشعوب التي كانت تحرم الزواج بأكثر من واحدة، إنما كانت تتبع تقاليد لا تتصل بالدين، كما أن الشعوب التي أجازت الزواج بأكثر من واحدة، إنما أجازته طبقاً لما رأت فيه من فوائد اقتصادية وعمرانية دون النظر إلى ذلك الدين، فلم يرد في الإنجيل نص صريح يدل على تحريم الزواج بأكثر من واحدة، وإن الإسلام في أباحته تعدد الزوجات ق أباحه في حدود بعينها ولظروف حددها وبقيود تجعل من العسير الأخذ به إلا في حالات اضطرارية[1].



(١) د. عفاف صبرة، المستشرقون ومشكلات الحضارة، ص ١٣٩.




# التنصير



المبحث الأول

# مفهوم التنصير وتاريخه

**تعريف التنصير:**

التنصير في اللغة هو الدخول في النصرانية، قال ابن منظور: «التنصر الدخول في النصرانية، وقيل: الدخول في دين النصارى، ونصَّره جعله نصرانياً»[١]، وفي الحديث عن أبي هريرة ط قال: قال النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هــل ترى فيها جــدعاء»[٢]، ومعنى الحديث أي يولد على ملة الإسلام، فيختار له كل والد ما عليه من دين، فإذا كان نصرانياً أصبح أولاده من النصارى، وإن كان يهودياً كان أولاده يهودا، وإن كان مجوسياً أصبحوا مجوساً.

أما من حيث المدلول الاصطلاحي فإنه يعني: «تحويل البشرية إلى دين المسيحية باستخدام جميع الوسائل المتعددة مشروعة كانت أم غير مشروعة»، وعرفه بعضهم بأنه: «حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف

(١) لسان العرب: ٥/ ٢١٢.

(٢) البخاري رقم (١٣١٩)، الترمذي رقم (٢١٣٨)، أحمد رقم (٧٣٩٦). الجدع: قطع الأنف أو الأذن أو غيره من الأطراف.

إحكام السيطرة على هذه الشعوب»، أما التعريف الأشمل لهذه الحركة فهو: «حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث عامة، بين المسلمين خاصة بهدف إحكام السيطرة على الشعوب»[١].

ولا يسمي النصارى هذا المصطلح مثلما سميناه نحن، وإنما يطلقون عليه لقب (التبشير)، وشاع هذا اللقب كثيراً في الأوساط النصرانية، خاصة في القرن الماضي للدلالة على البعثات الكنسية التي جابت العالم الثالث في ذلك الوقت، وتلقت دعماً كبيراً من قبل الدول الغربية، ويعنون بهذا المصطلح: تبشير الناس بالديانة النصرانية، ومن الخطأ استخدام لفظ التبشير الذي كان كثيراً ما يقال عن التنصير؛ وذلك لأن لفظ التبشير فيه دلالة على أن هؤلاء القوم يدعون إلى البشارة يبشرون الناس بالسلام وبالرحمة وبالبر وبالجود والسعادة، وهم ليسوا كذلك، والأولى بلفظ التبشير هو المسلم فهو المُبشر حقاً؛ وذلك لأن لفظ التبشير هو من صفات النبي ﷺ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الإسرَاء: ١٠٥]، وهكذا من سار على دينه فهو المبشر حقاً فالنبي ﷺ عندما أرسل معاذ وأبا موسى إلى اليمن قال لهما: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا»[٢] إذاً فالتبشير اسم على دعوة المسلم الحق وليس على دعوة النصراني بحال، وقد استخدم لفظ (التبشير) جماعة من الكتّاب، وقصدوا به النشاط النصراني في الدعوة إلى النصرانية.

ولهذا فمن الأهمية بمكان تحديد هذه المصطلحات التي ربما انطلت على بعض العوام من المسلمين، بسبب ما تحمله من معاني خاطئة، فالتنصير هو المصطلح الأهم والأنسب لمثل هذه الحملات، ذلك أنها لا

(١) التنصير وطرق أساليبه: ص ٢٣.
(٢) متفق عليه، البخاري، رقم (٢٨٧٣)؛ مسلم رقم (١٧٣٣).

تعني بالنسبة لنا نحن المسلمين إلا ما تدل عليه، رغم كون النصرانية ليست ديناً عالمياً ـ كما يحاول النصارى إشاعة ذلك ـ وإنما هي دين خاص ببني إسرائيل كما صرح القرآن الكريم في أكثر من آية.

أما عن مفهوم التنصير في البيئة الإسلامية فقد صيغ المفهوم وتحددت وظيفته فيما يؤدي إلى إخراج المسلمين من دينهم وليس بالضرورة إدخالهم في النصرانية، وهذا المفهوم الحديث للتنصير يلمس أحد أبعاد العمل التنصيري، لكن هناك أبعاد أخرى لحقيقة التنصير لا يمكن الوقوف عليها إلا بإدراك طبية الصراع الكوني بين الديانات الكبرى من أجل استحقاق شرف ريادة الإنسانية وقيادتها، تلك القيادة التي تستمد مشروعيتها من امتلاك الحقيقة المطلقة المؤسسة على الوحي.

وكان الإسلام قد أثبت صدق دعواه بامتلاك الحقيقة المطلقة والقدرة على قيادة الإنسانية باختلاف أجناسها وشعوبها وتطلعاتها وآمالها، وذلك بما أنجزه في حيز التطبيق الفعلي لذلك الاستحقاق من ثلثي المسكونة من بيض وسود وعرب وعجم وبربر وترك وهنود وقوقاز، سوّى بينها في الحقوق والواجبات، وصهرها في بوتقة شكلت أزهى عصور التاريخ: حضارة وعلاماً وأخلاقاً[(١)].

**تاريخ التنصير:**

لا نستطيع أن نحدد على وجه الدقة تاريخاً محدداً لبدء التنصير، وهناك أكثر من رأي يخص هذا الجانب، خاصة فيما يتعلق بعلاقة الأوربيين مع العالم الإسلامي، وأول احتكاك قوي ظهر أبان الحروب الصليبية، إلا أن هذا الاحتكاك كان قد حسم عسكرياً وفكرياً لصالح المسلمين، ذلك أن أوروبا لم تكن مؤهلة بعد للتفوق على المسلمين،

(١) الغارة على القرآن الكريم: ص ١٦.

وهي لا زالت تعيش في ظلام التخلف الذي ساد سكانها أبان العصور الوسطى.

إلا أن الملاحظ على هذه التوجهات الأوربية خاصة في حقبة الحروب الصليبية، هي محاولة محو الهوية المسلمة من المناطق التي سيطرت عليها، فقد وضعت النصارى أجراسهم في مآذن عكا وبيت المقدس للدلالة على سطوتهم وسيطرتهم، كما حاول الأسبان خلال حروبهم مع المسلمين في الأندلس من تنصير المسلمين بالقوة، حتى ظهرت محاكم التفتيش ذات السمعة السيئة، التي نكلت بالمسلمين تنكيلاً كبيراً، بحيث شنت حملة تطهير عرقي لا هوادة فيها ضد كل ما هو مسلم في تلك البقاع، ولم يسلم من شرهم إلا من خرج مهاجراً من الأندلس باتجاه بلاد المغرب العربي.

على أننا يجب أن ننبه إلى قضية مهمة في هذا الباب، وهي أن التنصير بمفهومه الحالي والمتعارف عليه بين الدارسين، لم يظهر إلا متأخراً بعد هذا التاريخ بقرنين من الزمان على أقل تقدير، بسبب الاتجاه الفكري الذي كانت تتبناه الكنيسة من خلال تشجيع الدراسات العربية، وإنشاء المعاهد والكليات التي تحاول فهم الدين الإسلامي، ومن ثم إعداد العدة للقيام بعملية الغزو للعالم الإسلامي، ولذلك فإن ظهور الاستشراق كان سابقاً لظهور التنصير ـ على الأقل في العالم الإسلامي ـ لأن الاستشراق كان المرحلة العلمية للغزو الفكري، والتنصير كان المرحلة العملية لذلك الغزو.

ويعتقد البعض أن (ريمون لول) هو أول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية في النيل من عقيدة المسلمين، فتعلم (لول) اللغة العربية بكل مشقة، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين في بلاد كثيرة.

وقد رافق هذا القس الحملات العسكرية الإسبانية إلى الهند وجزائر السند وجاوة، وهناك بدأ مهمته التنصيرية في هذه الأرض التي سبقه المسلمون إليها، ويذكر (لول) أنه التقى ببعض المسلمين في تلك البقاع، وكانت أولى المحاولات لتنصير المسلمين على يديه إلا أنه جوبه برفض قاطع وقوي.

كما رافق هذا التوجه دعماً قوياً من المؤسسة البابوية الراعية للكنيسة، إذ صدر في سنة ١٤٥٥م مرسوماً بابوياً يقرر سيادة النصارى على الكفار، وقد أقر هذا المرسوم بصورة صريحة استرقاق الزنوج والهنود الحمر، وصاحبته لقرون عديدة دعوة واسعة أشرفت عليها الكنيسة والأوساط المسيحية مفادها: أن الاسترقاق هو سبيل خلاص الرقيق الذين غضب الله عليهم[١].

وفي سنة ١٦٦٤م حض البارون (دويتز) على تأسيس كلية تكون قاعدة لتخريج المنصرين بعد تعليمهم أصول التنصير ووسائله، وارتأى أحد الأحبار أن يعهد إلى الأروام[٢] بمسؤولية تنصير الأتراك المسلمين، إلا أن البارون فشل في مشروعه هذا.

وتعد المحاولات مجرد محاولات فردية، حاول أصحابها تنصير الأقوام الوثنية التي وقعت تحت سيطرة الدول الأوربية في آسيا وأفريقيا وأمريكيتين مع حمى الاستكشافات الجغرافية، ولم يبدأ العمل المؤسسي لحركة التنصير إلا في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث أسست الجمعيات، وقد تبنى (المستر بيري) تأسيس أول مؤسسه تنصيرية تتلقى الدعم المادي من المجتمع الأوربي، فدرس لغات اللاتين واليونان

(١) التنصير والاستعمار في أفريقيا: ص ١٣.

(٢) **الأروام**: مفرد رومي، نسبة إلى رمية، وهم سكان اليونان غالباً، كانت لهم الدولة البيزنطية قبل الفتح العثماني للقسطنطينية.

والفرنسيين والهولنديين والعبرانيين كما تعلم كثيراً من العلوم، وأخذ ينشر الكتب في التحريض على التنصير، وقد قوبلت هذه الكتب بالاستحسان في أوروبا، وبدأ المتبرعون يقدمون المساعدات المالية لدعمه في مهمته، وسافر إلى الهند لغرض التنصير، وانهالت عليه الأموال من أوروبا، فوسع نشاطه من خلال الاستعانة برجال ونساء في التنصير في شبه القارة الهندية، حتى تكللت جهوده هناك بتأسيس (جمعية لندن التبشيرية) في عام ١٧٩٥م، وعقب ذلك تم تأسيس جمعيات مماثلة في بعض الدول الأوربية وأمريكا(١).

أما في القرن التاسع عشر الميلادي، فقد اتجهت أنظار المنصرين نحو العالم الإسلامي، وبدأ تحركهم الفعلي باتجاه أراضيه، فأسست (جمعية التبشير في أرض التوراة العثمانية) أي البلاد العربية التي كانت تقع تحت حكم الدولة العثمانية في ذلك الوقت.

وفي سنة ١٨١٩م اتفقت جمعية الكنسية البروتستانتية(٢) مع الأقباط، وألفت في مصر إرسالية عهدت إليها التنصير في أفريقية الشرقية، وقررت إرسال منصرين إلى الحبشة، ثم توافدت البعثات التنصيرية على أفريقية الوسطى، وتقاسموا الأراضي والجهد في سبيل تكثيف جهودهم لاستمارة الأقوام الوثنية التي كانت تشكل أغلبية سكان أفريقيا جنوب الصحراء.

وفي عام ١٨٣٠م سيرت فرنسا قواتها لاحتلال الجزائر، واصطحبت معها جيشاً جراراً من المنصرين، ولم تمض سنوات حتى أصبح

---

(١) أجنحة المكر الثلاثة: ص ٦٤.

(٢) من أكبر فرق النصارى، وتعني (المنشقين)، وتسمى أيضاً بالإنجيلية، انشقت عن الكنيسة. الكاثوليكة في القرن السادس عشر متأثرة بدعوات الإصلاح، ولكنها تؤمن بالتثليث، وتتهم هذه الفرقة بالميل إلى بعض عقائد اليهود التي تسربت إليها أثناء فترة التأسيس. ينظر الموسوعة الميسرة: ص ٦٢٥.

الكردينال (شارل مارسيال لافيجري) قائداً لهذا الجيش، ومطراناً للجزائر، وكبيراً لأساقفة أفريقيا، ومبعوثاً للبابا في الصحراء الكبرى وبلاد السودان، وكان حلم هذا الكاردينال هو تحويل أفريقيا إلى التعاليم الكاثوليكية[١]، وفي سبيل هذا الغرض منحته فرنسا ما يشاء من الأموال ليواصل عمله (المقدس)، وفي عام ١٨٦٧م غزا الجفاف والجراد الجزائر وأصابها الطاعون وعمت المجاعات، فاغتنم المنصرون الفرصة، وراحوا يساومون الناس على كسرة الخبز وشربة الماء وبعد هذا كله لم يدخل ولو مسلم إلى النصرانية مما دعا أ. ن غوتتيه إلى القول: «يبدو أن الدينين المسيحي والإسلامي يفصل بينهما حاجز لا يمكن اجتيازه، وربما لم يوجد مسلم واحد سمح لنفسه بأن يصبح مسيحياً بإيمان صادق»[٢].

وكان للمبشر (هنري مارتين) يد طولى في إرسال المنصرين إلى بلاد آسيا الغربية، فبعد أن أقام في الهند مدة عرَّج على فارس والبلاد العثمانية، ومات سنة ١٨١٢م، وبعده أخذت إرساليات التنصير تشد الرحال إلى الأناضول وفلسطين، واتخذت مراكزاً لها في أزمير والقسطنطينية وبيت المقدس.

وهكذا انتشرت الإرساليات التنصيرية في العالم الإسلامي مواكبة للتوسع الاستعماري للدول الأوربية، ولقد كانت البداية الحقيقية الفعالة في إرساء حركة التنصير داخل البلاد الإسلامية بعد ضعف الخلافة العثمانية حيث أوفدت البعثات الأمريكية إلى بلاد الشام ثم إلى مصر، وبعد ذلك عملت تلك البعثات على التغلغل في أعماق العالم الإسلامي

---

(١) الكاثوليكية: هي من أكبر الكنائس النصرانية، ويتبعها معظم نصارى العالم، ويدعون أن تأسيسها يعود إلى أيام بطرس الرسول (مات سنة ٦٢م)، وتضم عدة كنائس تعترف بسيادة بابا روما عليها. وربما سميت بالكنيسة الغربية لتمييزها عن الكنيسة الشرقية. الموسوعة الميسرة: ص ٦١٠.

(٢) التنصير والاستعمار في أفريقيا: ص ١٣.

متبعة كافة الخدع والأساليب الخبيثة للوصول إلى غايتها المنشودة.

كما عملت تلك الإرساليات على توثيق الصلات بين أعضاء البعثات وعامة الناس في البلاد الإسلامية لتقديم مبادئ التنصير في شكل مقبول، في الوقت نفسه الذي كثفت فيه نشراتها ودورياتها التي تخدم أهدافها التنصيرية، كما أصدرت عدة مجلات منها (العالم الإسلامي اليوم) وغيرها، وكذلك قامت بإنشاء عدة كنائس تروج لأفكار وعقائد النصرانية، كما أنشأت معاهد وجامعات لنفس الهدف.

لذلك تعتبر الإرساليات التنصيرية حروبًا صليبية جديدة بل هي أشد فتكًا، وذلك لأن التنصير لا يجرح عضوًا بضربة سيف وإنما يبدد الهوية الإسلامية شيئًا فشيئًا، مما يؤدي إلى عواقب وخيمة ونتائج أليمة يصعب على المسلمين علاجها فيما بعد.

وإننا لنجد الإرساليات التبشيرية تضع أهدافًا محددة تسعى بكل ما لديها من إمكانيات لتحقيقها، ومن أهم تلك الأهداف التي ربما تخفى على الكثيرين:

١. طمس الهوية الإسلامية وصهرها في بوتقة العلمانية، فمن المعلوم أن الهدف الأول للتنصير هو إبعاد المسلمين عن الدين الإسلامي خاصة، والأديان السماوية عامة ويبدو ذلك جليًا في مقولة أحد كبار المنصرين والتي جاء فيها: إن مهمة التنصير ليست إدخال المسلمين في المسيحية وإنما مهمتها إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً بلا هوية لا صلة له بالله.

٢. وقف المد الإسلامي الزاحف نحو الغرب، حيث يعتنق الآلف من الأوربيين الدين الإسلامي سنويًا، وأخشى ما يخشاه الصليبيون هو انتشار الإسلام، ويدب الرعب في قلوبهم كلما سمعوا بكلمة إسلام، وأبغض ما يبغضون من الأسماء اسم محمد عليه الصلاة والسلام.

٣. تشويه صورة الإسلام في عيون أهله ببث الافتراءات والأكاذيب وزرع بذور الخلاف بين أبناء المسلمين الذين لا يعرفون من الدين إلا القشور.

٤. زرع بذور الفتنة في البلاد الإسلامية لتتفرق وتضعف وتمسي غير قادرة على صد أي عدوان غربي، فتتمكن الصليبية بعد ذلك من فرض سيطرتها عليهم، وللأسف فقد نجحوا في ذلك بالفعل، ونحن نرى هذا بأم أعيننا ونعيش هذا الواقع الأليم وتجني ثماره كافة دول العالم الإسلامي على اختلاف ألوانها ولغاتها ومواقعها، وما يحدث بالعرق عنا ببعيد.

وقد نجحت بالفعل حركات التنصير في كثير من المناطق في العالم، وبخاصة تلك التي خضعت للنفوذ الاستعماري، ويعود نجاح تلك الحركات في المقام الأول إلى قوة النشاط التنصيري المتمثل في الرعاية الصحية والتعليمية والمادية، مع وجود فراغ ديني عند تلك الشعوب التي أصبح غالبيتها لا يعرف عن الإسلام سوى اسمه، وكذلك تعلم أعضاء البعثات التنصيرية لغات تلك الشعوب والتي هي من أهم وسائل الاتصال البشري.

وهكذا أصبح للغرب نفوذ وبدت دول الصليب أمام كل مخدوع قوة عظمى متماسكة لها شوكتها وغلبتها وهيبتها، بالرغم من الخواء الداخلي الذي يعانون منه والشقاق الذي خفي عن أعين الجميع بمظاهر التقدم البراقة التي سلبت أبصار الكثيرين ممن لا بصيرة لهم.

**التنصير المعاصر:**

لقد كون الغرب الصليبي جيوشًا جديدة متمثلة في تلك البعثات المتوالية إلى شتى أنحاء المعمورة وبخاصة البلاد الإسلامية أو من بها من المسلمين، وذلك بهدف محاولة تنصير المسلمين وتشويه صورة

الإسلام في أذهانهم، وكذلك العمل على تمزيق العقيدة في قلوبهم، راصدًا لهذا الهدف مبالغ طائلة، ومغلفًا ذلك الهدف بنشر العلم والأعمال الإنسانية الخيرية.

وذكر أحد الكتاب في سياق بحثه عن التنصير إحصائيات مرعبة نضعها بين يدي المهتمين بأمور المسلمين والراغبين في العمل من أجل الذود عن حرمة وهيبة الدين الإسلامي وجاءت هذه الإحصائيات كالآتي:

حيث كان عدد المؤسسات التنصيرية عام ١٩٩١م ١٢٠,٨٨٠وبلغ دخل الكنائس ٩٣٢٠ بليون دولار أنفق منها ١٦٣ بليون دولار لخدمة المشاريع المسيحية، كما حققت الإرساليات الأجنبية دخلاً قدره ٨,٩ بليون دولار ويعمل في خدمة التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر، وصدر ٨٨٦١ كتابًا و٢٤٩٠٠ مجلة أسبوعية تنصيرية، ووصل عدد الأناجيل الموزعة مجاناً إلى ٥٣مليون، كما تبلغ محطات الإذاعة والتلفاز المسيحية ٣٢٤٠ وبذلك تكون النتيجة النهائية لما أنفق لدعم ميزانية التنصير في ذلك العام حوالي ١٨١ مليار دولار، والذي زاد بمقدار ٣٠ مليار خلال عامين حيث كان عام ١٩٨٩م حوالي ١٥١ مليار دولار وهذا يبين مدى التطور الكبير الذي يحدث في ميزانية التنصير على مستوى العالم ـ فماذا عن ميزانية الدعوة للدين الإسلامي[(١)].

وأما عن آخر الإحصائيات الخاصة بالتنصير، وذلك نقلاً عن مصادر كنسية موثقة: فقد شهد ارتفاعًا شديدًا ومكثفًا في أعداد المؤسسات والهيئات التنصيرية العاملة في العالم الإسلامي، وفقد بلغ عدد مؤسسات التنصير في العالم حوالي ربع مليون مؤسسة تنصيرية، تمتلك ١٠٠مليون جهاز كمبيوتر، تتبع ٢٥ شبكة إلكترونية موزعة على الكنائس الكبرى في

(١) نقلاً عن تقرير منشور في موقع مفكرة الإسلام على الشبكة العنكبوتية.

العالم، وتصدر ١٠٠ألف كتاب و٢٥ ألف مطبوعة صحفية بأكثر من ١٥٠لغة وكلها تخدم التنصير، وهناك ٥٠٠ قناة فضائية وأرضية جديدة بالإضافة إلى ما سبق ذكره كلها متخصصة في التنصير، وكذلك حوالي ١٠٠ألف من المراكز والمعاهد والمحطات التي تتولى تدريب وتأهيل المنصرين على مستوى العالم الإسلامي ولنعقد مقارنة بين تلك الحقائق والسابق ذكرها لنرى مدى ما يتمتع به الباطل من نشاط و مدى ما ينفق لأجل نشر معتقده[١].

ولكن ولله الحمد وحتى لا نفرط في التشاؤم عافانا الله من ذلك، فدائمًا ما يحدونا الأمل حيث يمكن ملاحظة أن الغزو التنصيري لم يلق النجاح المرجو له في المناطق التي تسكنها الأغلبية العظمى من المسلمين؛ لأسباب كثيرة منها رسوخ وثبات العقيدة الإسلامية في النفوس المؤمنة والتي لم يفلح المنصرون في زعزعتها، وبالرغم من ذلك فلابد لنا أن ننبه إلى أن المنصرين متعاضدين مع بعض الباحثين المستشرقين الذين عكفوا على دراسة الإسلام في كثير من جوانبه، وعملوا كأساتذة في بعض الجامعات العربية، وتتلمذ على أيديهم الكثير من أبناء العرب، الذين أصبحوا أخطر على الإسلام من المنصرين أنفسهم.

إن الدعم المالي القوي الذي تتلقاه الجمعيات التنصيرية، والغطاء السياسي الذي توفره الدول الغربية لهذه الجمعيات، قد جعلها تنشط في معظم بلدان العالم الإسلامي خاصة مع انحسار العمل الخيري الإسلامي، وحدوث فراغ كبير في عدد من الدول الفقيرة في أفريقيا وجنوب شرق آسيا، استغل ذلك المنصرون ودفعوا بكل ثقلهم في هذه

---

(١) المصدر السابق.

البلدان، كما شكل الغزو الذي قامت به الولايات المتحدة مدعومة من الدول الغربية لكل من أفغانستان والعراق إلى دخول المنظمات والجمعيات التنصيرية على شكل بعثات خيرية وطبية، ولكي يتضح حجم الدعم الذي تتلقاه هذه الجمعيات إليك بعض الأرقام لميزانيات هذه المنظمات، ففي عام ١٩٩٧م حصلت الكنيسة في شمال أمريكا على مبلغ ٢٠٠ مليار دولار، كما حصل مجلس كنيسة إنجلترا على ٢٥٧مليون جنيه إسترليني، أما المنظمات البروتستانتية في أمريكا فتبلغ مخصصاتها (١٧٢٨مليون دولار) للتنصير في ١٢٢دولة.

وهم يقومون باستمرار بتطوير أساليب جديدة ويعدون العدة لذلك: فقبل أن يكتشفوا ذلك الأسلوب الجديد لابد من عمل دراسة على الفئة المعينة، فيقومون بدراسة نفسيات الفئة المستهدفة من جميع الجوانب، وفيما يلي نبين ما قاله أحد زعماء التنصير في المؤتمر الذي عقد في الولايات المتحدة عام ١٩٧٨م بعد دراستهم لأحوال المسلمين قائلاً: «قد لا يكون المسلم المعاصر مبالياً بعقيدته الدينية، ولكنه يريد أن يظل مسلماً لأسباب حضارية وثقافية، إن تغيير ديانته قد يعني عزل نفسه عن أسرته وعن المجتمع الإسلامي ككل، وعليه فإن الرد النصراني على الدعوة يجب أن يكون ثقافياً بالإضافة إلى كونه دينياً إذا ما أردنا أن يكون نشاطنا النصراني فعالاً وأن نقيم كنائس جديدة».

**أهداف التنصير:**

لا يعد السبب الديني بالنسبة للغرب هو الأساس في إرسال وتشجيع المؤسسات التنصيرية في العالم الإسلامي، إذ يشكل البعد المادي والثقافي جانباً مهماً في تشجيع الدول الأوربية على سلوك هذا المسلك، ذلك أن الدعوات في العالم الغربي بدأت تتعالى بعد سقوط الاتحاد السوفيتي بأن العدو القادم للغرب هو الإسلام، وبدأت المؤسسات

الفكرية السياسية بفرض بعض المصطلحات الجديدة التي تخدم توجه هذه الدول في معادة الإسلام، ولعل أبرز هذه المصطلحات هي (صدام الحضارات) ومصطلح (الإرهاب) الذي يراد أن يكون إسلامياً، أو تعميمه على كل ما هو إسلامي.

وقد كان العسكريون الإنكليز يحثون حكوماتهم المتعاقبة دائماً بضرورة تقديم الدعم المادي والمعنوي للمنصرين الذين يجبون العالم الإسلامي خاصة، أما على شكل مستكشفين أو سياح أو أطباء من أجل فرض السيطرة على هذه الأراضي مستقبلاً، حتى أن الأفراد الذين ينتشرون في الأرض للتنصير بزعمهم لم يأتوا في واقع الأمر للتنصير، وإنما لحب المغامرات والأسفار.

وكثيراً ما كشفت الجمعيات التنصيرية عن أطماع أعضائها الشخصية، واكتشفت أن من بينهم الطامع الذي يرغب في الحصول على امتيازات هذه الجمعية لتحقيق مطامعه الخاصة بالنفوذ والثروة، ومنهم من أحبوا أن يستغلوا إمكانيات هذه الجمعيات التنصيرية ليسافروا في العالم على حسابها، وهم بالحقيقة تجار أو رجال دعوة (اقتصادية أو اجتماعية) لا صلة لها بالتنصير[١].

الأمر الآخر أن الدول الاستعمارية قد شجعت منذ البداية الإرساليات التنصيرية للعالم للإسلامي كوجه من أوجه النفوذ والسيطرة، ذلك أن تغيير عقيدة المسلمين ومحاولة زعزعة الثقة بها تجل قيادة هذه الشعوب يسيرة على المستعمر، كما أنها تؤهل الأجنبي من الاستحواذ على مقدرات البلاد الاقتصادية والمالية، وقد بدى ذلك جلياً في عدد من جنوب شرق آسيا وأفريقيا، ومن أهدافهم: الهيمنة على البلاد التي يكون

(١) التبشير والاستعمار: ص ٣٥.

لهم فيها وجود يذكر، وهناك يحاولون رفع المتنصرين أو المتعاطفين معهم سواء في الجيش أو العسكر أو في الإعلام والتعليم أو في المناصب السياسية أو في غيرها، وليس سراً أن بعض البلاد الإسلامية أصبحت في قبضة النصارى بسبب وصول بعض عملائهم إلى السلطة، بل ليس سراً أن أكبر بلد إسلامي في العالم أندونيسيا ١٩٠مليون مسلم أكثر من ٩٠٪ يحاول النصارى السيطرة على مؤسسات هذا البلد السياسية والعسكرية، ويتم ذلك كله بتشجيع من الدول الغربية.

ويعتقد بعض الدارسين أن الباعث الأول في الحركة التنصيرية بصورة عامة، إنما هو في القضاء على الأديان غير النصرانية، توصلاً إلى استبعاد أصحابها أتباعها، وذلك أن المعركة بين المنصرين والأديان السماوية غير النصرانية ليست معركة دين، بل هي معركة في سبيل السيطرة السياسية والاقتصادية.

وقد كانت فرنسا ـ خلال سيطرتها على الجزائر ـ تعد الإسلام عدوها الأول الذي يهدد وجودها واحتلالها لهذا البلد، يقول الكاردينال لافيجيري: «بينما كان الإسلام على شك الانهيار في أوروبا مع عرش السلاطين (العثمانيين) كان لا يزال في تقدمه وفتوحه على أبواب مملكتنا الأفريقية»[١].

أما الهدف الديني فليس من الأهمية بمكان عند هؤلاء المنصرين بقدر الأهداف الأخرى التي ذكرت، ذلك أن أكثر هؤلاء المنصرين الذين كانت لهم تجربة مريرة في العالم الإسلامي، غير مؤهلين لمقارعة العقيدة الإسلامية المتينة، وغالباً ما يعترفون بأن جهودهم تذهب سدى، إذ غالباً ما يخدع هؤلاء على أيدي رجالات الكنيسة والجمعيات التنصيرية بسهولة

(١) المصدر السابق: ص ٤٥.

المهمة في العالم الإسلامي، وعند مجيئهم إلى أرض الواقع يصدمون بالواقع الحقيقي، وكل ذلك يأتي من أسلوب التلفيق والكذب الذي تتبعه الكنيسة تجاه رجالاتها خاصة، ومن يتبعها من نصارى الغرب عامة، وقد تلمح هذا الافتراء على المسلمين في كلام المنصرين نفسه، يقول المنصر (رايد) عن طرابلس الغرب كلاماً يمكن أن نعده معبراً عن طوية كل منصر في بلاد الإسلام، حيث قال: «إن عمل المبشر المسيحي بين هذا الشعب صعب جداً، فبعد عمل امتد خمسة عشر عاماً صح عندي أن الطريقة الوحيدة لاكتساب هذا الشعب إنما هي في النفوذ الشخصي إليه... إن المشكلة الحقيقة في العمل بين المسلمين وفي شمالي أفريقية خاصة، إنما هي في إيجاد الطريقة التي تساعد فعلاً على الاقتراب منهم، ثم ان ذلك الحاجز العظيم يدعى عادة بالتعصب، وهو الجدار الشاهق من الشك والاعتزاز بالذات ومن الكره، قد بناه الإسلام حول أتباعه ليحميهم في داخله وليترك المبشر خارجه، إنه جدار طالما أثبت أن تسلقه أو أختراقه مستحيل، إن رجالاً من (المبشرين) قد عملوا سنين متوالية، وفي مدينة واحدة، ثم لم يستطيعوا أن يكتسبوا صديقاً واحداً»[١].

على أن المنصرين يؤكدون في أكثر من مناسبة أن هدفهم الأساس هو إدخال الشعوب الإسلامية لدين النصارى، وبخاصة في آسيا وأفريقيا، وفي هذا يقول (روبرت ماكس) أحمد المنصرين من أمريكا الشمالية: «لن تتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة»[٢].

إن هذا الفشل الذريع للتنصير في العالم الإسلامي قد جعل أكثر

(١) المصدر السابق: ص ٤٧.

(٢) عبد الودود شلبي، الزحف إلى مكة، حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي: ص ١٣.

رجالاته يقرون بالخيبة والخسران، ولذلك تحول هدفهم الأساس إلى إبعاد المسلمين عن دينهم، وقد كان هذا الهدف أفضل ما وصلوا إليه خلال أكثر من قرنين من تواجدهم في العالم الإسلامي، وهذا ما صرح به أحد مؤسسي الإرسالية الأمريكية العربية ـ وهو المنصر الأمريكي الشهير (صموئيل زويمر) في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م ـ حيث قال: «مهمتكم في أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، أي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونوا أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية... لقد أعددتم في ديار الإسلام شباباً لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في النصرانية، ولذلك جاء النشء طبقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بالعظائم ويحب الراحة والكسل، ولا يصرف همه في دنياه إلا الشهوات، فإذا تعلم فللشهوات وإذا جمع المال فللشهوات، وإذا تبوأ أسمى المراكز فللشهوات، وفي سبيل الشهوات يجود بكل شيء... باركتكم النصرانية»(١).

ويعقب شاتليه على رسالة زويمر بقوله: «ولا شك أن إرساليات التنصير تعجز عن أن تزحزح العقيدة الإسلامية من نفوس منتحليها، ولا يتم ذلك إلا ببث الأفكار التي تتسرب مع اللغات الأوروبية، فبنشرها اللغات الأنكليزية والألمانية والفرنسية والهولندية يحتك الإسلام بصحف أوروبا، وتتمهد السبل لتقدم إسلامي مادي، وتقضي إرساليات التبشير لبناتها من هدم الفكرة الدينية الإسلامية التي لا تحفظ كيانها وقوتها إلا بعزلتها وانفرادها»(٢).

---

(١) عمرو توفيق، التنصير واستراتيجية الانتشار في الفراغ، مجلة البيان، العدد ٢٦٦، ص ٤٣.

(٢) د. علي النملة، التبشير مفهومه وأهدافه: ص ٢٨.

ومن المفارقات التي تذكر في هذا المجال أن هناك من النصارى من يعتقد أن دينه هو الدين الحق، وأنه يجب أن يسعى في هداية البشرية إليه، ولكن معظم هؤلاء سرعان ما يسقطون في أول اختبار يتعرضون له، يقول الدكتور علي النملة: «طرق علي الباب شاب أمريكي قصداً إلى تذكيري ووعظي، وفي سياق الحديث سألته عن سبب دخوله إلى الإسلام، فذكر لي أنه كان في مهمة تنصيرية في الهند، وقد رأى في إحدى القرى مجموعة من الصفوف المتراصة بشكل ترتيب يثير الانتباه، يقول: فانتظرت حتى تفرق الناس، ثم سألت عمن يجيد الإنكليزية، فانبرى شاب ممن يجيدونها، فسألته عن هذا الأداء الذي كانوا بصدده، فأخبرني أنهم جميعاً كانوا يصلون لله ـ في صلاة العيد ـ فسألته عن ذلك الرجل الذي يتقدم الجموع، فأفاد بأنه الإمام، إذا ركع ركعوا وإذا سجد سجدوا، فانصرفت وأنا أفكر فيه هذا النظام البديع وقرأت كثيراً عن الإسلام حتى أذن الله لي بالهداية، وأنا الآن أحاول التكفير عما فعلته في الماضي، فأدعو إلى الله تعالى»[١].

**إعداد المنصرين:**

يأخذ إعداد المنصر جانباً مهماً من جوانب الجهد الذي تقوم به الكنيسة، خاصة وأن هدفها الأساس هو الاعتماد عليهم في البعثات التنصيرية إلى مختلف دول العالم، ولذلك أقيمت العديد من المعاهد والكليات التي تخدم هذا الغرض، وأول ما يقوم الدارس بالاطلاع عليه مناهج خاصة قائمة على فهم التقاليد الاجتماعية للشرق، ويحاول هذا المنهج تصوير الشرق بصورة من التأخر والسوء تحمل طالب التنصير على أن يندفع في مهمته اندفاعاً أعمى.

---

(١) المصدر السابق: ص ٢٨.

كما تركز المعاهد والكليات التي تعتني بالتنصير على تعليم اللغات الأخرى، خاصة العربية والتركية والفارسية والأذرية وغيرها من لغات المسلمين، وتعطي لطلابها شبهات كثيرة عن الإسلام والمسلمين، خاصة فيما يتعلق بشخصية الرسول ﷺ والمرأة، وتمثل الإسلام بأنه دين خاص بالعرب وليس للشعوب الأخرى علاقة به.

وقد انتفع المنصرون كثيراً بالخدمات التي قدمها لهم المستشرقون في هذا المجال، خاصة فيما يتعلق بالدراسات التاريخية والسكانية، وشكلت لهم مراكز الاستشراق المرجعية الأولى في استخلاص المعلومات المتعلقة عن العالم الإسلامي، وكان هناك تعاون وثيق يبن هاتين المؤسستين: التنصيرية والاستشراقية، بل أن العديد من الرهبان قد اعتنوا بالدراسات الشرقية، وبرز صوتهم واضحاً في هذا الميدان من أمثال المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي.

وينظم لهذا الجيش من المتخصصين بالتنصير عدد لا بأس به من خريجي المدارس والمعاهد الدينية، وهؤلاء يقومون بأعمال تنصيرية مختلفة، حتى أن الراهبات اللواتي يظن أنهن نذرن أنفسهن لخدمة المرضى وتعليم الجاهلين ومواساة المساكين لسن سوى منصرات، يقول أحد المنصرين في بيان دور الراهبات في مجال التنصير: «إن الأخوات لسن راهبات فقط، ولكنهن راهبات مبشرات، إنهم في كل مكان يوجدن فيه يعملن إلى جانب عملهن التعليمي أعمالاً تبشيرية»[١].

على أن إعداد المنصر يختلف بين زمن وآخر، وكذلك طرق التبشير اختلفت من جيل إلى آخر، فبينما كان التنصير في القرن التاسع عشر خاصاً بأشخاص اتخذوا التنصير عملاً لهم، ثم حاولوا نشر النصرانية بين

(١) التبشير والاستعمار: ص ٤٨.

المسلمين بجدال المسلمين ومحاولة إثبات فضل النصرانية على الإسلام، وجدنا زعماء التنصير في العالم البروتستانتي خاصة يرون أن هذا المظهر الديني الصارخ يعرقل أعمال المنصر، من أجل ذلك يرى المنصر الأمريكي (جون رالاي) إلى ضرورة الاستعانة بالطلاب والمدرسين والمؤسسات التعليمية والطبية لنشر النصرانية بين الناس، لأن هؤلاء يتزيون بالمظهر البريء الذي لا ريبة فيه، بينما الثوب الذي يظهر فيه المنصر يعمل على تنفير القلوب من حوله.

وكذلك جعل المنصرون في العقود الأخيرة، يتركون الطرق المباشرة في نشر آرائهم إلى طرق أكثر التواءً وخفاءً[١]، ولذلك لجأت أكثر المنظمات التنصيرية إلى الاستعانة بعدد من المنظمات الحكومية وغير الحكومية من أجل استغلال وجودها في عدد من البلدان في سبيل التسلل إلى البنية الاجتماعية لتلك الدول، ومن ثم إتباع الطرق غير المباشرة في التنصير، خاصة بعد انتشار وسائل المعرفة والاتصال التي أعانت الناس كثيراً في معرفة الطرق التقليدية للمنصرين، والابتعاد عنها قدر المستطاع.

وقد تعدى اهتمام الكنيسة بالمنصرين إلى الاهتمام بأبنائهم وإجازاتهم، وتأثيث بيوتهم وعلاجهم، حتى يتفرغ المنصر لمهمته، ولا يشغل باله بمعاشه وأمور حياته، فهناك ـ على سبيل المثال ـ أكثر من ٦٠٠ مدرسة متخصصة في الولايات المتحدة الأمريكية تقوم بتدريس أبناء المنصرين الذين يعيشون في إفريقيا وآسيا وغيرها.

كما تقوم أكثر الشركات العاملة في أمريكا بتقديم خدماتها بصورة شبه مجانية لهؤلاء المنصرين، فمن نقل احتياجاتهم إلى أي مكان بالعالم إلى تزويدهم بالمعدات التي لا تحتاج إلى كهرباء، مثل الثلاجات التي

(١) المصدر السابق: ص ٥٠.

تعمل بطاقة بديلة مثل الكيروسين، وهناك عدد من المستشفيات التي تكفلت بعلاج هؤلاء وعوائلهم بصورة مجانية سواء كان العلاج في أمريكا أو خرجها.

أما عن الدعم المالي الذي يتلقاه المنصر فلا حدود له، فقد أنشئت شركات متخصصة لجمع التبرعات المالية في معظم المدن الأمريكية، والتي تأخذ على عاتقها توفير كل ما يحتاجه المنصر في مهمته، سواء كان هذا في مجاهل أفريقيا وآسيا أم بعد عودته إلى بلده وتقاعده، فتوفر له حياة كريمة له ولأبنائه من بعده.

كما تكفلت بعض الشركات العاملة في مجالات أخرى بتقديم خدماتها المجانية للمؤسسة الكنسية في أمريكا، فعلى سبيل المثال تقوم بعض الشركات بتدريب المنصر على كيفية التصرف عند الأزمات مثل الانقلابات العسكرية والاضطرابات الأمنية وغيرها.

وتقوم دور النشر غالباً بالتبرع بنسخ من إصداراتها لهؤلاء المنصرين، خاصة تلك الإصدارات التي تهتم بالجوانب السياسية والاجتماعية والسكانية لبلدان العالم الثالث، من أجل الاستفادة منها في مهمة التنصير[١].

وقد ظهر في الغرب مصطلح جديد في عالم الأدب سموه (الأدب التنصيري) وهو يتمثل في ألوان الأدب المختلفة من قصة ومسرحية وقصيدة ومقالة وخاطرة ونصوص سينمائية، وكلها تحمل في طياتها الدعوة إلى اعتناق النصرانية والتنفير من الإسلام.

وقد استخدم الأدب التنصيري الإمكانيات الفنية المتاحة له والمجربة في بلاده بدهاء وحنكة بالغين، فزج السم بالدسم، ولجأ إلى التلميح بدلاً

(١) أحمد عبد الله الرفاعي، مجلة البيان، العدد ١٥٣: ص ٥٣.

من التصريح، واستخدام الرمز وألوان الإثارة والتشويق، ونأى بنفسه عن السرد الأجوف والتعبير المباشر الممل ووظف الإيحاءات توظيفاً ماكراً، ورسم حركة الحياة والأفراد وأنماط السلوك رسماً يتفقد ومعتقداته.

فيصور القساوسة والرهبان بصورة ملائكية فريدة يخوضون الأخطار دون خوف ويتسمون بملامح الجمال وجلال المظهر وحسن السمت، وإظهار (رجل الله) ـ كما اعتاد النصارى تسمية المنصر ـ بالصبر والحلم وتقديم التضحيات دون مقابل، وفي الوقت نفسه يوسم الإسلام ورجالته بمختلف الصفات القبيحة، فيمثل بالانحراف الأخلاقي، والميل المفرط نحو النساء، وصلافة رجاله وقسوتهم وغباوتهم، كل ذلك وفق إمكانيات كبيرة في الطرح والتزوير والخداع[١].

**اهتمام المنصرين بالمرأة:**

عرف المنصرون ما للمرأة من تأثير على الأسرة المسلمة، وعلى المجتمع بوجه عام فوجهوا شطراً كبيراً من أعمالهم التبشيرية إليها، ولما كانت المرأة المسلمة الملتزمة بآداب الإسلام بعيدة عن الاختلاط في مجتمعات الرجال، اضطر المنصور أول الأمر أن يضعوا فريقاً من المنصرات اللواتي يحملن مهمة التنصير إلى النساء المسلمات، كما بدا لهم أن يؤسسوا جمعيات نسائية، كـ (جمعية الشابات المسيحيات)، وأن يؤسسوا مدارس للبنات على نسق المدارس التي أسسوها للذكور، وأن يوجهوا عناية لفتح المدارس الداخلية؛ لأن فرص التأثير فيها أكثر، وأن يشجعوا التعليم المختلط، وأن يفتحوا دوراً خاصة بالطالبات تشرف عليها طائفة من المنصرات، وأن يقيموا الأندية النسائية والمخيمات الكشفية النسائية، ثم مازالوا يتدرجون في كسر الحواجز بين الذكور والإناث،

(١) المصدر السابق: ص ٥٤.

حتى شاعت المجتمعات المختلطة بين المسلمين والمسلمات، بتأثير العدوى.

وصفق المنصرون كثيراً ابتهاجاً وسروراً حينما فتحت المرأة المسلمة أبوابها، ونزعت عنها جلبابها؛ لأن ذلك قد أتاح لهم كل الفرص الملائمة للتغلغل عن طريقها إلى داخل الأسرة المسلمة، كي يبثوا ما يريدون بثه من تعاليم تمليها عليهم مهماتهم التنصيرية.

يقول نفر من المبشرين: «بما أن الأثر الذي تحدثه الأم في أطفالها ـ ذكوراً وإناثاً ـ حتى السنة العاشرة من عمرهم بالغ الأهمية، وبما أن النساء هنَّ العنصر المحافظ في الدفاع عن العقيدة، فإننا نعتقد أن الهيئات التبشيرية يجب أن تؤكد جانب العمل بين النساء المسلمات، على أنه وسيلة مهمة في التعجيل بتحويل البلاد الإسلامية إلى المسحية»[(١)].

وفي مؤتمر القاهرة التنصير الذي عُقد في عام ١٩٠٦م، قدَّم الأعضاء المنصرات النداء الآتي:

«لا سيبل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جداً... فكل نشاطٍ مجدٍ للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن، نحن نقترح منظمات جديدة، ولكن نطلب من كل هيئة تبشيرية أن تحمل فرعها النسائي على العمل واضعة نصب عينيها هدفاً جديداً، هو الوصول إلى جميع نساء المسلمات في هذا الجيل...»[(٢)].

ومن أجل ذلك اهتم المنصرون بالمرأة اهتماماً شديداً، فقلما عقد مؤتمر تنصيري دون أن يكون موضوع تنصير المرأة المسلمة هو أحد

(١) أجنحة المكر الثلاثة: ص ٧٤. (٢) المصدر السابق.

الموضوعات الرئيسة لهذا المؤتمر، وكشاهد على ذلك فقد كان موضوع: (المداخل النصرانية للمرأة المسلمة وأسرتها) أحد الأبحاث المقدمة إلى مؤتمر التنصير المنعقد في ولاية كولورادو في أمريكا عام ١٩٧٨م[١]، أما مؤتمر القاهرة التنصيري المنعقد عام ١٩٠٦م فقد وجهت المنصرات المشاركات فيه النداء التالي: «لا سبيل إلا بجلب النساء المسلمات إلى المسيح، إن عدد النساء المسلمات عظيم جدا لا يقل عن مائة مليون، فكل نشاط مجد للوصول إليهن يجب أن يكون أوسع مما بذل إلى الآن»[٢].

وقد ظهرت قضية (تحرير المرأة) التي لم تعرفها الأمة الإسلامية في كل عقودها إلا من أعداء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وأول من ابتدع هذه الفكرة وهذه الكلمة هو رجل نصراني قبطي من مصر، بإيعاز من المستعمرين الإنجليز، وأخذوا يخططون في إخراج المرأة المسلمة من بيتها، ويسمون ذلك تحريراً لها، وكما قال أحد زعماء فرنسا: إن الذي هزم فرنسا في الجزائر هي المرأة المسلمة المحجبة، فلا بد أن يعملوا على إخراجها من الحجاب، لأنها ترضع الطفل، وترضعه مع اللبن كراهية المستعمر من أعداء الله، فإذا تبرجت وخرجت، وتولت تربية الطفل المحاضن، أو تكون التي تولته كافرة، قضوا على هذه الأمة.

وقد ركز المبشرون في قضية المرأة على إفساد العقيدة، وإخراجها من بيتها نحو أماكن اللهو والدعة، وكانت الخطة تقتضي جر البنات نحو التعليم الاستعماري الذي بدأ ينتشر في العديد من الدول الإسلامية، يقول المنصر جون موط: «يجب أن نؤكد في جميع الميادين التبشيرية جانب العمل بين الصغار، حيث اقتنعنا لأسباب مختلفة بأن نجعله عمدة

---

(١) انظر التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص: ٨١١ وما بعدها.
(٢) التبشير والاستعمار، ص٢٠٤.

عملنا في البلاد الاسلامية، إن الأثر المفسد في الإسلام يبدأ باكراً جداً، من أجل ذلك يجب أن يحمل الأطفال الصغار إلى المسيح قبل بلوغهم الرشد، وقبل أن تأخذ طبائعهم الأشكال الإسلامية»، فكان من الطبيعي أن يسعى المنصرون نحو: «استنهاض الهمم لتوسيع نطاق التعليم النسائي» وفقاً لما جاء في مؤتمرات المنصرين، على أن هذه الخطوة لا تعني بالضرورة حرص المستعمر أو المنصر على رفع شأن المرأة في العالم الإسلامي بقدر ما كانت تعني تعليم المرأة وفقاً للطريقة المنحرفة التي يهدف إليها هذا الجمع من المضللين، ومعلوم أن الإسلام لم يحارب العلم ولا التعليم، بل شجعه للرجال والنساء على حد سواء، ولكن يجب أن يكون التعليم منضبطاً ووفقاً للقواعد الشرعية التي تهف إلى توجيه التعليم توجيهاً هادفاً يستند إلى أسس شرعية.

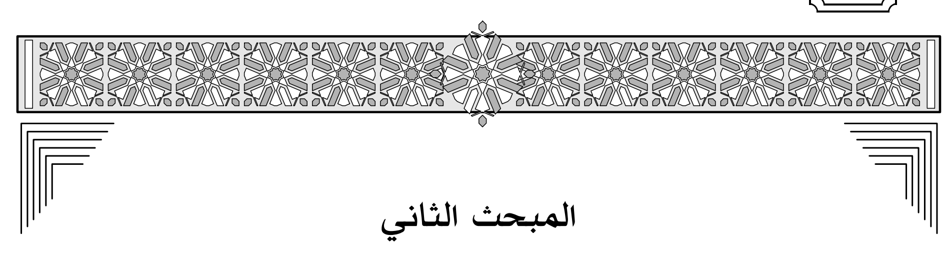
وكانت الخطوة التالية بعد ذلك هو حث المرأة على ولوج ميادين العمل، خاصة بعد أن تعلمت وأصبحت تنافس الرجال في طلب الرزق والسعي في الأرض، فمن أدبيات الحركة النسائية في مصر مثلاً، لم تخل من شهادات تقول أنه (برغم تزايد نسبة تشغيل النساء من ٦ ـ ١٠ ٪ في سنوات الانفتاح الساداتي (نسبة إلى السادات) مع تزايد نسبة البطالة بين الشباب من ٩٪ إلى ٣٢ ٪، وبرغم اندماج المرأة في العملية الإنتاجية بما يدعم النظريات العلمانية و (التقدمية) لصالح تحرير المرأة، إلا أن هناك حقائق تنفي هذه التقدمية، إذ أصبح تشغيل المرأة ـ حسب تعبيرهن ـ وَبالاً على الطبقة العاملة، بل وعلى المجتمع كله، في ظل المد الرأسمالي الذي يجتاح بلادنا، والذي استبدل النمط المهني للمرأة بنمط آخر لمؤهلاتها، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بقوامها وجسدها ولون بشرتها.

وهكذا تبقى مشكلة اضطهاد المرأة أو استغلالها لصالح صاحب العمل، مشكلة قائمة وحيَّة، في حالة عدم توظيفها وإغلاق أبواب العمل

أمامها، أو في حالة فتح أبواب العمل وتعدد الأنماط الوظيفية والمهنية، ذلك لأن وجود المشكلة أصلاً، هو ضرورة أيديولوجية فرضتها الأصابع الخفية لبعض القوى الدولية في المنطقة واستدرجتهن إليها، لخدمة مصالحها السياسية والتمرد بهن على القوانين والشرائع والانتماءات غير المرغوب فيها.

وقد نجح المنصرون ـ مع شديد الأسف ـ في إخراج المرأة المسلمة من حيائها إلى ميادين الاختلاط والسفور، في الوقت نفسه الذي شجعوا فيه الانفتاح نحو الفن والتمثيل والغناء والرقص، تحت ذريعة الثقافة والتراث الذي يجب عدم التخلي عنه، وبذلك نُسي الجيل الأول من الصالحات، واستبدلت القدوات بالممثلات والفنانات للجيل الصاعد من الفتيات.





المبحث الثاني

# وسائل التنصير

لقد استغل المنصرون كل وسيلة ممكنة لنشر دينهم، وإشاعة باطلهم؛ صداً عن سبيل الله، وإرصاداً لمن حارب الله، وإضلالاً لعباد الله، واستعباداً لعباد الله، استغلوا لأجل ذلك كل مرفق من مرافق الحياة، وكل حاجة من حاجات البشر، بل ربما أشعلوا نار الحرب، وأوقدوا الفتنة لتفتح لهم الأبواب، فلم يمنعهم عقل عن استغلال آلام مريض، ولم يؤنبهم ضمير عن مساومة جائع على لقمته وما يسد رمقه، ولم تدفعهم رحمة لإنقاذ بائس أو شيخ فانٍ أو عجوز حسيرة كسيرة، فمن لم يعلن كفره بربه وإيمانه بآلهتهم التي يعبدونها من دون الله فلن يلقى عنايتهم، ولن ينال أعطيتهم، لقد منحوهم كسرة الخبز، ليسلبوهم عقيدتهم، وناولوهم الكساء؛ ليهتكوا أعراضهم ويشيعوا فيهم الزنا والخنا، وعلموهم القراءة؛ ليتعلموا الكفر والإلحاد والزندقة، وبنوا لهم المعبد؛ ليقدسوا فيه الصليب ويعبدوا فيه الشيطان، ودعوهم إلى الحرية الزائفة؛ ليخرجوهم من عبودية الله فيقعوا في عبودية الهوى والشيطان، وصوروا لهم استحالة أن يغفر الله لهم وصوروا لهم أن القسيس يغفر الذنوب.

ولم تكن الوسائل السلمية سوى غطاء لوسائل أشد فتكاً وأكثر دماراً استعان فيها المنصورون القوة الغاشمة وسطوة الدول الاستعمارية للوصول إلى مأربهم، وجر الناس بالقوة إلى دينهم، ومن ذلك ما جاء

في خطاب المنصر جاير دنر من قوله: «وفي جزر الهند الشرقية ذكرنا النشاط الجديد الناجم عن التسهيلات المتزايدة للسفر والاتصال المتبادل، إن إخواننا الهولنديين والألمان يقومون بعمل رائع هنا في كسب المسلمين ومنع إسلام غير المسلمين على حد سواء، وكل ما يستطيع هذا المؤتمر العظيم أن يفعله أن نشجعهم على بذل جهود أكبر باسم الرب، حتى نتمكن نحن وهم من تقوية قبضتنا على بورينو، هذه الجزيرة الكبيرة التي لم يبذل فيها سوى القليل، وقد أخبرت من المحترم ج. ألن مبشر جمعية نشر الإنجيل هناك بأنها مليئة بالماليزيين المسلمين المتعصبين ذوي النفوذ الكبير»[١].

وهكذا كانت أقدام التنصير تسير جنباً إلى جنب مع أقدام المحتل في الأرض أينما كانت وأينما وقعت، وقدمت لهؤلاء المنصرين كل الإمكانيات المتاحة بأيديهم، بل كان المستكشفون الأوئل هم عبارة عن منصرين يسيرون ببركة الكنيسة، ويكتشفون الأرض تحت سطوة البابا.

وسنحاول في هذا المبحث من تناول أهم الوسائل التي استخدمها المنصرون لتحقيق أهدافهم والوصول إلى مأربهم:

**أولاً: المدارس والجامعات:**

لقد كانت المدارس التنصيرية التي دخلت العالم الإسلامي بصورة مبكرة من أوائل وسائل التنصير الصريحة والواضحة، وقد دخلت في بعض الأحيان حتى قبل دخول المستعمر الأوربي، وكانت السياسة التنصيرية ترتكز كثيراً في دعواها في العالم الإسلامي على هذه المدارس، ومن ثم بعد ذلك الجامعات، ويعود السبب في توجه المنصرين هذا إلى الوسيلة التربوية إلى الحاجة الملحة للناس في ذلك

(١) د. عبد الله الصالح، التنصير تعريفه أهدافه، حسرات المنصرين: ص ١٢.

الوقت إلى التعليم والتقدم، ولم تكن المدارس الإسلامية قد تطورت في ذلك الوقت بحيث تستطيع مجراة التعليم التنصيري خاصة في العلوم التطبيقية؛ نظراً لما يملكه الأخير من مقومات مادية وعلمية، كانت المدارس الإسلامية تعجز عن مواكبتها واللحاق بها.

الأمر الآخر الذي نود أن نشير إليه هنا هو أن المنصرون ركزوا على التعليم باعتباره الوسيلة المثلى للوصول إلى النشء الجديد، وترسيخ المعارف والنظم الغربية في أذهانهم، ففي بيروت ظهرت أول مدرسة سنة ١٨٣٠م، وكانت مخصصة للبنات، رغم أن لبنان لازال تحت حكم الدولة العثمانية، وكانت هذه المدرسة تعنى ببنات الأسر والبيوت الكبيرة اللائي ستكون لهن السيطرة على الجيل المقبل، ولهذا قال بعض دعاة التنصير: «إن مدرسة البنات في بيروت هي بؤبؤ عيني»[(١)].

ولذلك لم يمنع شرف هذه الوسيلة السامية المنصرين من أن يجعلوها سبيلاً إلى الكفر، وميداناً للصد عن سبيل الله، ودعوة إلى الضلالة، يقول المنصر هنري جب: «إن التعليم في مدارس الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلى غاية فقط، هذه الغاية هي قيادة الناس إلى المسيح، وتعليمهم حتى يصبحوا أفراداً مسيحيين وشعوباً مسيحية»[(٢)].

وقد تعددت أساليبهم في استغلال هذه الوسيلة، من ذلك استغلال مدارس الإرساليات التنصيرية للدعوة إلى النصرانية وبث سمومها في عقول الأطفال فقد جاء في كتاب أصول التنصير في الخليج: «كان تعليم العلوم الحديثة وتدريسها باللغة الإنجليزية ـ الذي قدمته البعثة ـ كان مطلوباً جداً وبخاصة في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى؛ ولذلك

(١) بكر أبو زيد، المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية، تاريخها ومخاطرها، ص ٤٠.
(٢) حقيقة التبشير، ص: ١٦٦.

كانت مدارس البعثة تجد قبولاً حسناً في العراق والبحرين والكويت، فقد واصل الآلاف من خريجي مدرسة البصرة ليدخلوا مجالات عملية بنجاح في الأعمال والسياسة، وتزعم تقارير البعثة أن الألفي طفل الذين تخرجوا في مدرسة البعثة حتى عام ١٩٣٨م، قد أصبح بعضهم أطباء وأطباء أسنان ومدراء ورؤساء وكتاب ومترجمين ومعلمين كما أنهم يحصلون على مرتبات جيدة، وباستثناءات قليلة جداً، فإنهم جميعاً قد ارتقوا في السلم الاقتصادي، وكثير منهم قد أصبحوا قادة في دولهم»[١].

وقد وصف الشيخ أبو الأعلى المودودي أثر المدارس التنصيرية على جيل الأمة الناشئ فقال: «والمؤسسات التعليمية للمبشرين تخرج طبقة جديدة من الناس، طبقة لا تتمسك بالنصرانية ولا تظل على دين الإسلام، وإنما تفصل نفسها عن تراثها ولا تطبق أي تراث أخلاقي آخر، والنتيجة هي أن تصبح نموذجاً غريباً من الجنس البشري في مواقفها الأخلاقية ومعاييرها الثقافية وكذلك في أخلاقها وتصرفاتها وفي لغتها وعاداتها الاجتماعية»[٢].

وقال شاتليه ـ أحد منظري التنصير: «ومن هذا يتبين لنا أن إرساليات التبشير الدينية ـ التي لديها أموال جسيمة وتدار أعمالها بتدبير وحكمة ـ تأتي بالنفع الكثير في البلاد الإسلامية من حيث إنها تبث الأفكار الأوروبية»[٣].

وإليك هذه الحقيقة التي تؤكد ذلك، ففي عام ١٨٦٣م طرح المنصر

---

(١) أصول التنصير في الخليج، ص: ١٥٤- ١٥٥.
(٢) طائفة من قضايا الأمة الإسلامية في القرن الحاضر، تأليف أبو الأعلى المودودي، نشر مكتبة الرشد، الرياض، ص: ٢٤٢.
(٣) الغارة على العالم الإسلامي، ص: ١٦.

هاملين على صديقه اليهودي الفرنسي روبـرت ـ فكـرة إنشاء مدرسة ثانوية قرب قلعة الروملي، وقال هاملين مشـيرا بيده إلى قلعـة الروملي: «لقد أنشأ الأتراك هنا حصنا لفتح اسطنبول، وأنـا سأنشئ هنا مدرسة لهدمهم»[(١)].

وقد تحقق شيء من حلـم هذا اليهودي، فقد ترأس العصيـان والتمرد على الدولة العثمانية في بلغاريا أول الخريجين في هذه المدرسة، وقال بعد ذلك لقد كان د. هاملين يريد فتح مدرسة فوق أعلى بـرج من أبراج قلعة الروملي؛ وذلك كي تدخل النصرانية مـن نفـس الباب الذي دخل منه الإسلام إلى إسطنبول[(٢)].

وهكذا بدأت الدول الاستعمارية تشجع المدارس الأجنبية بعد سيطرتها على عدد من الدول العربية، فقد ظهرت في مصر أول مدرسة أجنبية في عام ١٨٤٠م، إذ قام بعض المنصرين الفرنسيين بتأسيس الكلية الفرنسية بالإسكندرية والجمعية الإنجيلية البروتستانتية، ثم تبعتها مدارس الآباء اليسوعيين عام ١٨٨٠م، وكان هذا مقدمة لاحتلال مصر عام ١٨٨٢م، وبلغ عدد الطلاب من المسلمين في هذه المدارس حتى عام ١٨٩١م، ٧١١٧ طالباً، وقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور العشرات من المدارس في المدن الرئيسية المصرية، خاصة في الإسكندرية والقاهرة والمنصورة وطنطا وبورسعيد وغيرها.

أما في سوريا فقد ظهرت جهود حثيثة عند الإرساليات التنصيرية منذ أوائل القرن العشرين لفتح عدد من المدارس الأجنبية والتي تدار بصورة

---

(١) نشاطات المنصرين في تركيا، استنبول ١٩٦٣م. ص: ٤٨ نقلا عن تقرير بعنـوان: المدارس التنصيرية، إعداد نديم هزار، مركز البلقان للدراسات والأبحـاث العلميـة، ص: ١٩.

(٢) المصدر السابق، ص: ١٩.

مباشرة من قبل هذه الإرساليات، حتى بلغ عددها في عام ١٩٠٩م ما يقارب (١٧٤) مدرسة تنتشر في معظم المدن الرئيسة في سوريا.

وقد تعدى اهتمام المنصرين بالمدارس إلى الاهتمام بالكليات والمعاهد، فمن ذلك على سبيل المثال ما قدمه الجنرال التركي أحمد وفيق باشا من تسهيلات كبيرة تمثلت بتربعه بأرض تقام عليها كلية تنصيرية، كما قام المنصرون في الوقت نفسه بتأسيس كلية في مدينة لاهور الباكستانية.

وفي العراق فقد بدأت المدارس تنتشر مع احتلال القوات البريطانية لهذا البلد في عام ١٩١٧م، فظهرت في البصرة مدرسة للبنات، ومكتبة في منطقة العشار من المدينة نفسها[١].

وهكذا انتشرت المدارس التنصيرية في طول البلاد الإسلامية، ابتداء من اندونيسيا شرقاً وحتى مراكش غرباً، وقد نالت هذه المدارس رعاية كبيرة من قبل الدول الاستعمارية التي سيطرت على بقاع شاسعة من العالم الإسلامي، ثم انتقل المنصرون والمستعمرون على حد سواء إلى التعليم العالي، ولعل أشهر الجامعات التي ظهرت في العالم الإسلامي خلال المائة سنة الأخيرة (الجامعة الأمريكية) التي تنتشر في عدد من الدول العربية، منها:

١. الجامعة الأمريكية ببيروت: تأسست عام ١٨٦٦ كمؤسسة تعليمية خاصة مستقلة باسم (الكلية السورية البروتستانتية) وقد أسسها المنصر الأمريكي دانيال بليس، ثم أصبح أول رئيس لها، وكانت تلتزم بمقاييس التعليم في ولاية نيويورك، وتتميز عن غيرها بدراسة علوم الطب بالإضافة إلى العلوم الاجتماعية والإنسانية، وفي عام ١٩٢٠م غير اسمها إلى

(١) بكر أبو زيد، المدارس العالمية الأجنبية، ص ٤٠.

(الجامعة الأمريكية)، ولا تعتني كثيراً باللغة العربية، وإنما لغة التدريس بها هي اللغة الانكليزية، ولعبت الجامعة دوراً ثقافياً وسياسيا أكثر من الجامعات الأمريكية الأخرى في المنطقة حيث تخرج منها زعامات سياسة وقيادات اجتماعية بارزة في تاريخ لبنان خاصة، ومنهم على سبيل المثال: سليم الحص، وليد جنبلاط، إبراهيم طوقان، جورج حبش، عبد السلام هيكل الناشط السوري في حقوق الإنسان وغيرهم كثير.

٢. الجامعة الأمريكية في القاهرة: تأسست عام ١٩١٩، كجامعة خاصة مستقلة، وتتميز بوجود مراكز لدراسة الشرق الأوسط واللغة العربية للأجانب كما تمتلك أهم دار نشر لنشر الكتب الأجنبية في العالم العربي، والدراسة ـ حالها حال الجامعات الأمريكية الأخرى ـ باللغة الإنكليزية.

٣. الجامعة الأمريكية في الشارقة تأسست الجامعة الأمريكية في الشارقة في عام ١٩٩٧م بواسطة حاكم إمارة الشارقة الشيخ سلطان بن محمد القاسمي كجامعة مستقلة خاصة لا تهدف إلى الربح، تتبع معايير التعليم في الولايات المتحدة، تم منح الجامعة الرخصة التعليمية من ولاية ديلوير ومن قبل وزارة التعليم العالي الإماراتي.

٤. جامعات أمريكية أخرى: وهناك فروع أخرى لبعض الجامعات الأمريكية في قطر حيث أنشئت خمس جامعات أمريكية فروعا لها في مدينة الدوحة ابتداء من عام ٢٠٠٥م، وهي جامعات: كورنيل، وكارنيغي ملون، وجورجتاون، وتكساس أيه أند أم، وفرجينيا كومنولث، كما توجد مؤسسات تعليمية أمريكية تنشغل بطلاب الدراسات العليا في العالم العربي مثل: الأمديست ومؤسسة فولبرايت التي تقدم منحا سنوية للدراسة في الولايات المتحدة.

وكمثال على الأهداف الخفية لهذه الجامعة فإن رؤساء هذه الجامعات

غالباً ما يتحدثون عن تاريخ جامعاتهم وجودة التعليم وارتفاع مستوى أعضاء هيئة التدريس، وكذلك دور هذه المؤسسات بما تقدمه من مناهج وطريقة تدريس وبما تنتجه من بحوث ودراسات في تغيير التفكير السائد في العالم العربي.

ويعتبرون أنهم يقومون بأفضل أنواع الاستثمار وهو الاستثمار في مجال العقول ومستقبل تعليم أجيال من الشباب العربي، ويؤكدون في نفس الوقت أن الجامعات الأمريكية في الشرق الأوسط كانت ولا تزال أداة ووسيلة ناجعة من أدوات الدبلوماسية الأمريكية العامة يمكن أن تقوم بالدور الأكبر في تحسين صورة الولايات المتحدة لدى الشعوب العربية.

كما يراهن القائمون على إدارة تلك المؤسسات التعليمية على أجيال الشباب من الخريجين من الجامعات الأمريكية الذين يعرفون ويقدرون القيم والمبادئ الأمريكية ـ حتى وإن اختلفوا مع بعض سياساتها ـ قائلين إن هؤلاء هم الذين يمكنهم أن يبنوا جسور تواصل ويبدءوا حواراً بناءً كممثلين لأوطانهم والولايات المتحدة.

وخلال شهر مارس عام ٢٠٠٥م أكد أرنولد (رئيس الجامعة الأمريكية بالقاهرة) في ندوة له في نيويورك أن الجامعة الأمريكية في القاهرة تحكمها قوانين تختلف عن تلك التي تسري على المجتمع المصري أو على الجامعات القومية المصرية قائلا: «إن جامعته تعمل من أجل ما وصفه بالتغير الهادئ (خارج نطاق رادار) السلطات المصرية».

وكان رئيس الجامعة الأمريكية في القاهرة يتحدث في ندوة لمجلس العلاقات الخارجية، وهو واحد من أهم مراكز الفكر الخاصة بالسياسية الخارجية لأمريكا، وبجواره ثلاثة رؤساء لجامعات أمريكية في العالم العربي هي الجامعة الأمريكية في بيروت، والجامعة اللبنانية الأمريكية، والجامعة الأمريكية في الشارقة، التي يصل عدد طلابها مجتمعة إلى ٢٢

ألف طالب، وذلك في ندوة تحت عنوان: (الجامعات الأمريكية في الشرق الأوسط: عوامل في العالم العربي).

ولفت الانتباه إلى أن الكثير من خريجي الجامعة الأمريكية قد وصلوا إلى مناصب مهمة في الحكومة المصرية، وأشار إلى أنهم يعملون الآن كمستشارين في البنك المركزي وفي وزارة المالية، ويتم جذبهم إلى مناصب الخدمة العامة.

وفجر أرنولد مفاجأة بإقراره أن كثيراً من خريجي الجامعة الأمريكية في القاهرة يعملون في السلك الدبلوماسي المصري وأنهم (لا يجيدون العربية) رغم كونهم مصريين يمثلون مصر في الخارج، فقال ما نصه: «لدينا خط مباشر بين قسم العلوم السياسية والسلك الدبلوماسي لمصر، انه لأمر مذهل فعندما أسافر أرى عدد المسئولين ذوي المناصب الرفيعة في السفارات المصرية والقنصليات حول العالم بمن فيهم السفير (المصري) هنا في واشنطن (نبيل فهمي) ممن تخرجوا في الجامعة الأمريكية في القاهرة، مشيراً إلى أن أكبر تحدي يواجههم هو لغتهم العربية التي هي ليست على ما يرام بالضبط، حتى إن بعضهم أضطر لأخذ دورات علاجية للغة العربية من أجل أن يجتازوا اختبارات دخول السلك الدبلوماسي»[١].

من خلال ذلك يتضح أن الخطط التي وضعها المنصرون قبل أكثر من مائة عام قد أتت أكلها، وأصبح (التعليم التنصيري) مثالاً يحتذى به في العالم الإسلامي، بل إن معظم الأنظمة والأفكار في التربية والتعليم ـ التي وضعت لخدمة النصرانية ـ قد طبقت في معظم الدول الإسلامية كنظم تعليمية حديثة، خاصة بعد أن أغلقت معظم المدارس الشرعية بعد

---

(١) د. سهيرة البيلي، عرض مطول لكتاب (أهداف الجامعة الأمريكية بالقاهرة)، مجلة البيان، العدد ١٨٠.

أحداث ١١ سبتمبر/أيلول، ففقد المسلمون تفوقهم بين الأمم بسبب عدم موائمة هذه النظم لطبيعة مجتمعاتهم، كما أن التطبيق المجتزئ للنظم التعليمية الغربية التي تحتاج إلى إمكانيات مادية ضخمة ـ قد لا تتوفر في معظم الدول الإسلامية ـ أوجد نظاماً هجيناً من القيم المتناقضة التي لم يستطع التربيون حتى هذه اللحظة من حل إشكاليات التعليم والتلقي بما يتناسب مع البيئة العربية والإسلامية.

**ثانياً: الخدمات الطبية:**

لقد استغلت الدول الأوربية المستعمرة تقدمها الفني والتقني في مجال الطب والعلاج كأداة ناجحة وشديدة المفعول للدخول إلى قلوب الناس مع دخول أول مستعمر لأرضهم، ونظراً لضعف المسلمين في هذا الجانب، خاصة قبل قرنين من الزمان، فقد كان الناس يسارعون للاستعانة بالخدمات الطبية المقدمة من قبل الإرساليات التنصيرية، وقد أدرك المنصرون هذه الحقيقة منذ وقت مبكر وسعوا إلى استغلالها أيما استغلال، منسلخين عن الطبيعة الإنسانية التي يدعونها، ومتنكرين لقيم الإنسانية التي ينادون بها، يقول أحد المنصرين في هذا الباب: «حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهنالك فرصة مناسبة للتبشير»[١]، وهكذا اتخذ المنصرون الطب ستاراً للوصول إلى مأربهم.

وفي الأيام الأولى للتوسع الأوربي لم يكن هناك من الخدمات الاجتماعية غير ما تقدمه الإرساليات التنصيرية، فالخدمات الطبية الوحيدة التي يقدمها المنصر تقتصر على العقاقير البسيطة، ومع نمو المصالح الحكومية وتوسعها لم يعد المنصرون هم المدرسون والأطباء الوحيدون،

(١) التبشير والاستعمار: ص ٥٩.

ورغم هذا فإن مستشفيات الإرسالية في كثير من الأمكنة تعد جزاً هاماً من منظومة هذه الإرساليات، وليس أدل على ذلك مما كانت تعانيه أفريقيا خلال القرن الماضي من أمراض وأوبئة تنتشر بصورة خاصة بين الأطفال إضافة إلى حالات سوء التغذية، ومن خلال هذه القنوات دخلت إرساليات التنصير في أرجاء شرق أفريقيا، وأسرعت إلى بناء المستشفيات المتطورة والمزودة بالمعدات الطبية والأطباء المهرة في مختلف التخصصات، كما انتشرت المراكز الصحية في المناطق النائية والبعيدة عن وسائل المواصلات، وغالباً لا يتم الوصول إليها إلا عن طريق الطائرات الصغيرة والمروحيات، التي تم توفيرها لخدمة غرض واحد: هو إيصال النصرانية إلى أي جزء ممكن من هذه القارة[(١)].

وهكذا كانت هذه الوسيلة من أخطر الوسائل وأخبثها عند المنصرين لاستمالة الناس إليهم، يقول بول هاريسون أحد أطبائهم المنصرين: «إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة عُمان بأسرها، لقد جئنا نحن إلى بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»[(٢)].

ولقد استغل المنصرون جهل الناس في كثير من أرجاء المعمورة بالطب وطرق انتقال العدوى في القرن الماضي لكي يمرروا لهم مكيدة للبسطاء من المرضى في أفريقيا وآسيا، فيعزون شفاء من يشفون من الناس إلى عيسى عليه السلام، رغم أن الداء والدواء والشفاء والمرض بيد الله، فيظن المريض أن من شفاه هو ما أخبره به هذا الطبيب، فيصبح شديد الميل لمعتقده ومذهبه، حتى قيل أن أول من تنصر في تنزانيا كان

---

(١) عمر سالم عمر بابكور، الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقيا، إطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٩٩٠م، ص ٢٦٠.

(٢) التبشير والاستعمار: ص ٥٩.

مصاباً بمرض، وبعد أن شفي أقنعه الطبيب المعالج بالوهم نفسه، فتنصر وأصبح على دين طبيبه[١].

ولم تظهر أهمية العلاج كوسيلة للتنصير إلا في الربع الأخير للقرن التاسع عشر الميلادي، عندما تكونت الجمعيات الطبية في أوروبا وأمريكا والتي تختص بتأهيل الأطباء والممرضين للعمل في مراكز التنصير، وقد ارتبط الاهتمام بهذا النوع من التنصير بدوافع متعددة من بينها: ما أكده أحد الأطباء المنصرين قائلاً: «إن الهدف من هذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة، وتأكيد حقيقة القرابة المشتركة بين أفراد الأسرة العالمية، ثم تمهيد الطريق للإنجيل إلى قلوب بني البشر، وأخيراً معالجة الناس من الأمراض»[٢].

كان العلاج الطبي الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية؛ لإقناع الناس والسلطات المحلية بوجود المنصرين، لاسيما في البلاد المغلقة أمام التنصير العلني، أما في المجتمعات الإفريقية التي تمارس فيها التعاويذ والتمائم كقوة سحرية لعلاج المرضى فإن وجود المنصر الطبيب يساعد في القضاء على نفوذ العرافين الذين يمثلون أحد أعمدة المعتقدات الوثنية، وبذلك يمهد الطريق أمام المنصرين.

أما أهم الوسائل التي تتخذ الجانب الطبي الإغاثي غطاء لها فهي:

١. المنظمات الدولية الكبيرة مثل: بعض المنظمات التي تحت منصة الأمم المتحدة وغيرها بطريق غير مباشر.

٢. المنظمات النصرانية الطبية غير الحكومية وهذه كثيرة جداً (تعد

---

(١) د. علي النملة، التبشير مفهومه أهدافه: ص ٦٧.

(٢) إبراهيم عكاشة، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، ص ٢٧.

بالآلاف) وميزانياتها بالمليارات.

٣. كليات الطب والجامعات النصرانية (التعليمية).

٤. المساعدات أثناء الأزمات والطوارئ والكوارث.

٥. الإدارات الطبية والشركات التي تدير المستشفيات.

٦. المستشفيات والمستوصفات الخاصة.

٧. شركات الأدوية وشركات الأجهزة الطبية.

٨. شركات توظيف الأطباء والتمريض (الطاقم الطبي).

٩. الطاقم الطبي (أطباء، صيدلة، تمريض).

١٠. القساوسة الزائرين الذين يعملون أو يزورون المؤسسات الصحية، وهناك أسماء ورسائل سرية وهامة في التنصير الخفي.

ولقد تعددت المنظمات العاملة في مجال التنصير وهي تتلقى دعماً كبيراً من قبل المجتمعات الغربية، وليس هناك أي قيود ضريبية أو جمركية على أنشطتها، وربما اشترط داعمون لهذه المنظمات تضمين نشاطاتها الطبية والاغاثية القيام بأعمال التنصير في بعض المناطق، ومن أشهر هذه المنظمات: منظمة أطباء بلا حدود، والصليب الأحمر، ومنظمة الصحة للجميع، والبعثة الأوربية للإصلاح، ومجلس الخدمات الأمريكي، وقد بلغت ميزانية المنظمة الأخيرة عام ١٩٩٧م ما يقارب ١٨٠ مليار دولار، أي ما يعادل ٦٠٪ من ميزانيات الدول العربية مجتمعة.

ولعل من أشهر المنظمات العاملة في هذا المجال هي (منظمة أطباء بلا حدود)، وقد تأسست في فرنسا سنة ١٩٧١م من قبل مجموعة من الأطباء الفرنسيين، وتعتمد في عملها على المتطوعين الأوربيين وعلى التبرعات المقدمة من قبل الجهات الداعمة، والغريب أن هذه المنظمة

تدعي الحيادية وعدم الانتماء إلى أي جهة سياسية، ولكن في واقع الحال فإن معظم التبرعات المقدمة لهذه المنظمة هي تبرعات كنسية، وتتكون منظمة أطباء بلا حدود من خمس مراكز تنفيذية (مكتب فرنسا، بلجيكا، سويسرا، إسبانيا وهولندا) و١٤ مكتباً في مختلف أنحاء العالم، يعملون على جمع التبرعات المالية الضرورية لتسيير البرامج والقيام بعمليات توعية حول عدة قضايا ومشاكل طبية أو إنسانية، إضافة إلى تبادل الأفكار والتجارب مع المنظمات الإنسانية الأخرى والمؤسسات الدولية، ولم تكتفِ هذه المنظمة بإدارة نشاط طبي مباشر وتنصيري بصورة غير مباشرة، بل ربما كانت سبباً في تحريض الغرب على الدول الإسلامية من خلال إشاعة الأخبار الكاذبة، فمن ذلك على سبيل المثال ما قامت به المنظمة في مارس ٢٠٠٥م حين نشرت المنظمة تقريراً عن الاغتصاب في دارفور، وأشارت إلى أن العنف الجنسي والاغتصاب يمارسان بواسطة الحكومة السودانية والميليشيات الموالية لها بصورة مستمرة، واستشهد بالتقرير الأمين العام للأمم المتحدة في تقريره الدوري لمجلس الأمن، وأشار لعلاج المنظمة لعدد (٥٠٠) حالة اغتصاب بدارفور بعياداتها، وتم فتح بلاغ جنائي من قبل الحكومة ولكن عجزت المنظمة عن إثبات الحالات وتبرأ العاملون الوطنيون بالمنظمة ـ وفيهم الكادر الطبي ـ من التقرير وفندوه، وأشاروا إلى أنه أعد بليل، ثم سعت المنظمة لممارسة ضغوط دبلوماسية لحفظ البلاغ قادها ممثل الأمم المتحدة (يان برونك) باعتباره من قدم التقرير للأمين العام الذي استشهد به في مجلس الأمن، والسفير الهولندي وسفير الاتحاد الأوربي، وتم حفظ البلاغ بواسطة وزير العدل، وتم توجيه إنذار نهائي للمنظمة بالطرد، وتم طرد مديرها ومنسق دارفور.

ومن المنظمات الشهيرة في هذا الباب أيضاً (منظمة الصليب الأحمر) والتي اتخذت الصليب شعاراً لها، وقد أسسها النساوي (هنري دونان) سنة ١٨٦٣م، وكانت تسمى (جمعية جنيف للمنفعة العامة)، ثم تحول

اسمها فيما بعد إلى (اللجنة الدولية للصليب الأحمر)، وكان من ضمن أهدافها الرئيسية هي رعاية الجرحى والمرضى واللاجئين خلال الحروب والنزاعات الدولية.

وتدعي المنظمة بأنها منظمة غير متحيزة ومحايدة ومستقلة، وهي منظمة غير حكومية من حيث طبيعتها وتشكيلها، ومع ذلك فإن شعار المنظمة وحده يوحي بعدم حياديتها، أما فيما يخص نشاطاتها فهي تؤكد أكثر ميلها نحو ما ترفعه من شعار، من ذلك حضور ممثلي المنظمة في الخطاب السري الذي ألقاه الباب شنودة في الكنيسة المرقصية بالإسكندرية في شهر مارس سنة ١٩٧٣م والذي جاء فيه: «يجب مضاعفة الجهود التبشيرية التي وضعت وبنت على أساس هدف اتفق عليه للمرحلة القادمة وهو زحزحة أكبر قدر من المسلمين من دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم وتشكيك الجموع الغفير في كتابهم وصدق محمد»[١].

كما حضر ممثلو هذه المنظمة المؤتمر التنصيري الذي عقد بجبل الزيتون في القدس سنة ١٩٢٧م، وقد صرح أحد الأعضاء في هذا المؤتمر قائلاً: «أتظنون أن غرض التنصير وسياسته إزاء الإسلام هو إخراج المسلمين من دينهم ليكونوا نصارى؟ إن كنتم تظنون هذا فقد جهلتم التنصير ومراميه، لقد برهن التاريخ من ابعد أزمنته على أن المسلم لا يمكن أن يكون نصرانيا مطلقا، ولكن الغاية التي نرمي غليها هي إخراج المسلم من الإسلام فقط ليكون مضطرباً في دينه وعندها لا تكون له عقيدة يدين بها ويسترشد بهديها وعندها يكون المسلم ليس له من الإسلام إلا اسم احمد أو مصطفى، أما الهداية فينبغي البحث عنها في

(١) محمد طاهر، العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، ص ١٨.

مكان آخر»[١].

ويبدو واضحاً نشاط منظمة (الصليب الأحمر) في قصة الراهبة تريزا التي سميت فيما بعد (الأم تريزا) ومنحت جائزة نوبل نظراً لجهودها التنصيرية في شبه القارة الهندية، وقد كانت طائرات وسيارات الصليب الأحمر تحت تصرفها المطلق، تتصرف فيها كيفما تشاء، وتنتقل من خلالها إلى المكان الذي تريد، وكانت هذه الراهبة ابنة خالة هنري دونان، وقد أضفي عليها في الغرب مسحة ملائكية ورهبانية موغلة بالمبالغة والخيال.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه المنظمات، وغيرها من المنظمات التي تعمل في المجال نفسه، عادة ما تنشط في مناطق الكوارث الطبيعية والحروب، وتقدم خدماتها الطبية بيد، والإنجيل والدعوة إليه باليد الأخرى، بل إن الكوارث التي تقع في البلدان الإسلامية هي فرصتهم السانحة؛ لأنهم من خلالها يلتقطون ما يريدون، فمنظمة الصليب الأحمر الدولية منظمة إغاثية كبرى تأخذ بعض إغاثات المسلمين التي تؤخذ من جيوب المسلمين بالقرش والريال، ثم تقوم منظمة الصليب الدولي بتوزيعها على مسلمين آخرين في بلدهم.

ففي بنجلادش: قامت منظمة الصليب الأحمر بتوزيع بعض الإعانات التي دفعتها دول أسلامية، فوضعت عليها شارة الصليب ووزعت على المسلمين من ضحايا الفيضانات هناك، ليهموا الناس البسطاء أن هذه المعونات أتتهم من دول نصرانية، وأنها أقرب إليهم من أخوانهم في الدول الإسلامية.

---

(١) د. إبراهيم عكاشة علي: ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، الرياض، جامعة محمد بن سعود الإسلامية ١٩٨٧، ص ٣٨.

وخلاصة الكلام أن معظم المنظمات الطبية والاغاثية الغربية العاملة في العالم الإسلامي، يتركز هدفها الخفي في الدعوة للتنصير عبر الوسائل غير المباشرة، وقد يكون هناك قلة من هذه المنظمات التي تسعى لهدف إنساني، لكن غالباً ما تتحكم التبرعات المشروطة بتوجهات هذه المنظمات وأفرادها، مما يجعلها مدار شكوك في معظم الأحيان.

**ثالثاً: وسائل الإعلام:**

تعد وسائل الإعلام من إذاعة وصحافة وتليفزيون وسينما ومسرح، بالإضافة إلى وسائل الاتصال ونقل المعلومات، من أهم وسائل الغزو الفكري، وقد أعتمد عليها المنصرون كثيراً، خاصة مع تأخر ظهور إعلام إسلامي هادف ومنافس يستطيع أن يواكب هذا الكم الهائل من المعلومات، وقد استغل المنصرون هذه الوسيلة الإعلامية للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم، خاصة مع ظهور الراديو ثم التلفزيون ثم القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية (الانترنيت).

وتستطيع الوسائل الإعلامية الصريحة من تغطية مساحة واسعة من الأرض، ولها إمكانيات كبيرة تؤهلها للاستعانة والبث بمختلف اللغات، وقد بدأت الإذاعات تدخل في الشبكة الدولية (الإنترنت)، ولا يستبعد بأي حال، أن تستغل في التنصير؛ لأنها وسيلة فاعلة وقابلة للانتشار السريع، والوصول إلى آماد بعيدة، كما أنّ المجتمعات الإسلامية تعاني من التسلط البشري والتبعية للغير في سائر وسائل الإعلام المسموعة والمقروءة.

وقد لجأت المنظمات التنصيرية إلى دعم الأعمال الفنية (من تمثيليات ومسرحيات وأفلام، وحتى كارتون الأطفال) التي تدعم أهدافها، وتعطي انطباعاً للمتلقي بحميمة (النصارى) وقسوة وفساد المسلمين، وغالباً ما تعمد مثل هذه الوسائل إلى تطبيع المشاهدين والمستمعين والقرَّاء على

الثقافة الغربية التي لم تستطع التخلص من التأثير الديني عليها في معظم سلوكياتها ومُثلها ومبادئها، بل ربما لا تريد التخلص من هذا التأثير الديني، وتسعى إلى تعميقه وترسيخه مادام سيحقق تبعية ثقافية تقود إلى تبعات فكرية وربما دينية فيما بعد.

ويقول فريد د. أُكوورد في بحث له عن (الإرسال الإذاعي الحالي الموجَّه للمسلمين): «إنَّ اللغة الإنجليزية مهمة لكل عربي يرغب في متابعة تعليمه أو يودُّ الهجرة، ولقد كتبنا إلى هيئة الإذاعة البريطانية التي لديها سلسلة ممتازة من برامج تعليم اللغة الإنجليزية للناطقين بالعربية، ولقد منحتنا السلسلة وأذنت لنا بتقديمها عبر إذاعتنا، وقد أجرينا بالفعل تعديلات على السلسلة استخدمناها (كطُعْم)، وفي الختام كنا نتوجه بالسؤال عما إذا كان المستمع يرغب في نسخة مجانية من كتاب يحتوي على العربية والإنجليزية جنبًا إلى جنب، وعندئذ نرسل له نسخة من الإنجيل بالعربية والإنجليزي»[١].

كان الراديو الوسيلة المثلى التي وقعت بيد الكنيسة والمنظمات التنصيرية لاستخدامها على نطاق واسع باتجاه الدول الإسلامية؛ وذلك لأنها الوسيلة التي تمكنها من تخطي حاجز المسافات والوصول إلى المستمع دون عناء، كما أنها لا تستطيع إيصال الوسائل الأخرى، مثل المطبوعات والأشرطة والأفلام إلى الأفراد والجماعات بصورة مباشرة ودون مخاطر، وفي ذلك ينبه (فريد أكورود) أحد المنصرين زملائه على أهمية هذه الوسيلة للوصول إلى المسلمين في خطابه أمام مؤتمر كولورادو التنصيري: «يبدو أن الإذاعة اليوم هي إحدى الوسائل الرئيسية التي يكمن بواسطتها الوصول إلى المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال

---

(١) د. أكرم شلبي، الإذاعات التبشيرية الموجهة إلى المسلمين، ص ٧١.

إفريقيا، حيث إن الإذاعة يمكنها أن تخترق الحواجز والحدودية، وأن تعبر البحار وتقفز الصحاري، وأن تنفذ إلى مجتمعات المسلمين المغلقة الذين لم تسنح الفرصة لأغلبيتهم لأن تسمع عن رحمة التخليص التي أودعها الرب في يسوع(١) المسيح»(٢).

وقد بدأ المنصرون في استغلال هذه الوسيلة في إيصال أفكارهم ومعتقداتهم إلى العالم وترويجها عبر المحطات الإذاعية، وأخذ مجلس الكنائس العالمي في عام ١٩٦١م ينفذ خططاً لتطوير الإذاعة الدينية الدولية بإنشاء لجنة الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية في عام ١٩٦٢م، التي مقرها في جنيف وهي توفر للكنيسة والوكالات التنصيرية مجال لمناقشة الشؤون المسيحية والعلمانية، وفي عام ١٩٥٤م كان المؤتمر العالمي للراديو التبشيري في جميع أنحاء العالم الذي كان يجمع القادة الدينين المهتمين باستخدام الإذاعة في نشر العقيدة النصرانية، وقد كلف المؤتمر بتشكيل رابطة دولية للإذاعيين النصارى؛ لتحقيق تغطية أكثر فعالية بإرسال نشرات الرابطة الدولية للإذاعيين النصارى بلا مقابل لمن يطلبها، والقيام بدراسات ميدانية للتأكد من مدى تأثير الإذاعات الدينية على المستمعين(٣).

وقد نشرت المجلة الدولية للبحوث الآثارية الأمريكية عام ١٩٩٠م بعض الأرقام عن هذا النشاط التنصيري، فقد ورد في تلك الإحصائية أن عدد المحطات الإذاعية والتلفزيونية بلغت ٢١٦٠ محطة، أما في سنة ١٩٩٩م فقد قدر عدد المحطات بـ (٣٧٧٠) محطة، وفي سنة ٢٠٠٠م بـ

(١) يسوع: التسمية الأشهر عند النصارى التي تطلق على عيسى عليه السلام، وأصلها عبراني (يشوع) ومعناها (المخلص). موسوعة الكتاب المقدس: ص ٣٣٩.
(٢) د. أكرم شلبي، الإذاعات التبشيرية الموجهة إلى المسلمين، ص ٧١.
(٣) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص٥٣٢.

(٤٠٠٠) محطة، وفي مؤتمر عدم الانحياز الذي أنعقد في كوالالمبور ٢٠٠١م وردت إحصائيات مفادها وجود ٢٥٠٠ قناة إذاعية بـ (٦٤) لغة قومية، وفي أحدث تقرير إحصائي لعمليات التنصير العالمية يعرض مخطط التنصير حتى عام ٢٠٢٥م قدر فيه عدد المحطات الإذاعية والتلفزيونية بـ١٠ ألألف محطة.

أما في الوقت الحاضر فإن حملات التنصير ما زالت تعمل من خلال كم هائل من موجات الراديو على مختلف تردداتها، مثل إذاعة (مونت كارلو)، و (صوت الغفران)، و (مركز النهضة)، وتبث إذاعة (الفاتيكان) وحدها عبر ست موجات قصيرة، بثلاثين لغة عالمية، تعمل ضمن ٤٠ محطة إذاعية تنصيرية، تبث أكثر من ألف ساعة أسبوعياً[(١)].

وأما فيما يخص القنوات الفضائية، فمن الأمور التي أصبح مسلَّماً بها الزيادة المطَّردة في عدد القنوات الفضائية المرئية والتي يعاد بثها عبر العديد من الأقمار الصناعية المنتشرة في الفضاء الخارجي لتغطي الكرة الأرضية بكامل مدنها وقراها، وغاباتها وصحاريها ومياهها! وليس مبالغاً فيه أن هناك عشرات من القنوات الفضائية العربية وغيرها يمكن استقبالها بسهولة في الوطن العربي، كما أن تقنية استقبال البث المرئي المباشر عبر الأقمار الصناعية أو ما يعرف بالفضائيات أصبح أكثر سهولة وأرخص ثمناً عما كان عليه قبل سنوات قليلة مضت، وفي متناول جميع الفئات حتى الفقيرة منها في الوطن العربي والإسلامي.

وقد استغل المنصرون هذه التقنية الحديثة بصورة واسعة، نظراً للإمكانيات المادية الكبيرة التي يتمتعون بها، وانتشرت قنوات التنصير في عدد من الأقمار الأوربية، ومنها من يبث باللغة العربية، ولكن الأخطر

(١) د. عبد القادر طاش، دراسات إعلامية، ص ٩١.

من ذلك هو ظهور هذه القنوات على الأقمار الصناعية العربية مثل (النايلسات) و (العرب سات)، وبذلك اتسع البث الفضائي التنصيري باللغة العربية، وأصبح يشكل خطراً جديداً أخذ يطل برأسه، ويحاول بكل الطرق الطعن في القرآن والرسول ﷺ وكل ما يمت للدين الإسلامي بصلة، ولعل أبرز القنوات العملة في هذا المجال هي قناة (الحياة).

وتشتهر قناة الحياة بسبها ووقاحتها الشديدة واستخدام ألفاظ خارجة عن أي أدب ضد الإسلام والنبي الكريم محمد ﷺ، ومن أشهر من قاد حملات السب والقذف ضد الإسلام على شاشتها المدعو (زكريا بطرس)، قال مدير المرصد الإسلامي لمقاومة التنصير: «إن هذه هي المرة الخامسة التي تبث فيها القناة عبر القمر المصري بعد حجبها مرات عديدة بسبب أسلوبها الغير أخلاقي والمستفز للمسلمين، والتي يقدم فيها القمص زكريا بطرس برامجه الكاذبة والمتطاولة على الإسلام».

وخلصت دراسة سعودية أكاديمية تحت عنوان (القنوات التنصيرية العربية) إلى وجود أكثر من عشر قنوات فضائية تنصيرية باللغة العربية، ومنها من يتخذ من بلد عربي مركز البث له، فمن هذه القنوات: (معجزة) و (سات ٧) و (نورسات) و (المحبة) و (الكرامة) و (الروح) وغيرها، وتكمن خطورة هذه القنوات في توجها الخاص إلى العوام في العالم العربي، وتخاطبهم بلهجاتهم المحلية، ولذلك يكون تأثيرها أشد وأخطر من تأثير الفضائيات التنصيرية العالمية، ومن جيوش المنصرين القادمين من الغرب إلى الشرق، والذين نبذتهم الشعوب العربية والإسلامية وأفشلت مهمتهم لأنهم ليسوا منها ولا منا، وجاؤوا في ركب المستعمر، ولا يتحدثون بلغة القوم.

ويضيف تركي بن خالد الظفيري ـ صاحب الدراسة ـ إلى أن الأخطر من ذلك كله أن الفضائيات التنصيرية العربية لم تجد من يحاول الرد

عليها، والفضائيات التنصيرية العربية لا تريد فقط نشر الشبهات عن الإسلام، ولا زعزعة المسلمين ـ العوام ـ عن دينهم، بل تهدف بالأساس إلى إيقاظ الفتن في الدول العربية التي يوجد بها أقليات مسلمة، معتمدة في ذلك على عناصر كنسية متطرفة داخل هذه الكنائس التي خرجت يوماً في تظاهرات تهتف باسم (بوش) و (شارون)، وترفع لافتات عنصرية.

كما تقوم هذه الفضائيات التنصيرية العربية بأعمال أخرى ليس لها علاقة بالعمل الإعلامي الفضائي، وإنما تضطلع بدور أوسع وأخطر من ذلك، فهم يقومون بتوزيع ملايين النشرات والكتب التنصيرية والأناجيل لمن يطلبها في أي مكان، كما إن لهم فرقاً تنصيرية في كل بلد لإرسال هذه المطبوعات لمن يريد، وقد قام الظفيري بنفسه بعمل تجربة مع قناة (الحياة)، وما عليك إلا أن تكتب الاسم والعنوان والمدينة التي تقطن بها والدولة التي تحمل جنسيتها أو تعيش فيها حتى تصلك هذه المطبوعات والأقراص المدمجة وغيرها من المواد التنصيرية[١].

ولم تكتف المؤسسات التنصيرية باستخدام الوسائل الإعلامية المباشرة، بل تعدت ذلك إلى الاستعانة بالسينما والمسرح وأفلام الكارتون الخاصة بالأطفال للترويج للأفكار التنصيرية، فهناك أكثر من ٣٩٠ فلماً أنتج في الغرب لحياة عيسى عليه السلام ووفقاً لقصص النصارى المحرفة والملفقة، وقد واكبت الكنائس النصرانية تطور السينما ودعمت بشكل مباشر إنتاج هذه الأفلام، وأول فلم أنتج عن حياة عيسى عليه السلام كان في عام ١٨٩٩م، وأنتج في مطلع القرن العشرين العديد من الأفلام أيضاً مثل: (حياة المسيح) عام ١٩٠٦م، وفلم (قبلة يهوذا) عام ١٩٠٨م، وفيلم (ميلاد المسيح) سنة ١٩٠٩م، وبعد ذلك توالت

(١) الشيخ تركي بن خالد الظفيري، محاضرة صوتية.

الأعمال التي تتناول سيرة المسيح أو جوانب منها، وفي سنة ١٩٨٩م قدم الخرج الفرنسي دينيس: فيلم (مسيح مونتريال)، كما تم إنتاج فيلم آخر يحكي قصة يسوع المسيح الذي تم دبلجته إلى أكثر من ٧٠ لغة، وأكثر من ٢٠٠ لهجة محلية ويوزع مجاناً[١].

وهناك وسائل إعلامية حديثة أخرى استغلتها الكنيسة للترويج لأفكارها التنصيرية ولعل أشهر هذه الوسائل: الشبكة العنكبوتية (الانترنيت) التي تحاول استهداف الشباب بصورة خاصة، فهم يشكلون السواد الأعظم من مستخدمي هذه الشبكة، ولذلك قامت منظمات التنصير عام ١٩٩٧م بإنشاء (اتحاد التنصير عبر الانترنيت) الذي يعقد مؤتمر سنوياً يحضره ممثلو الإرساليات التنصيرية والقائمون على الصفحات التنصيرية على الشبكة الدولية؛ لدراسة أفضل السبل لاستخدام إمكانات هذه الشبكة في نشر النصرانية.

وقد أثمر هذا النشاط التنصيري الكبير من خلال الشبكة عن آلاف المواقع التنصيرية التي تفوق عدد المواقع الإسلامية بعشرات المرات؛ فالإحصائيات تؤكد أن عدد المواقع التنصيرية تزيد عن المواقع الإسلامية بمعدل ١٢٠٠٪، وأن المنظمات النصرانية هي صاحبة اليد العليا في الانترنيت حيث تحتل ٦٢٪ من المواقع وبعده المنظمات اليهودية، أما المسلمون فيتساوون مع الهندوس في عدد المواقع التي لا تزيد عن ٩٪ من مواقع الشبكة[٢].

إلى جانب تلك المواقع التنصيرية المباشرة، تعددت المواقع المعادية للإسلام على شبكة المعلومات، من طرف المنظمات اليهودية والنصرانية

(١) حرب الكنائس عبر مئة عام على الشاشة، مجلة العربي، ع٢٥، ٢٠٠٤، ص١٨.

(٢) أحمد بزيد، التنصير عبر شبكة الانترنت، مجلة الدعوة، السعودية، ع١٨١٣، ٠٧/ ٠٩/ ٢٠٠١.

التي تبث ادعاءاتها ضد الإسلام والمسلمين، لتنفير الناس من الدين الإسلامي وتشويه صورته بين بني جلدتهم، فهناك ما يزيد عن عشرة آلاف موقع يهاجم الإسلام من خلال السب والقذف بالإسلام وأهله، والطعن بشخصية الرسول الكريم ﷺ وصحابته، وبث الشبهات حول آيات القرآن الكريم.

## جدول يوضح
## الإمكانيات المادية الكبيرة للمنصرين[1]

| التوصيف | العـــــدد | | نسبة الزيادة |
|---|---|---|---|
| | ١٩٩٠ | ١٩٩٦ | |
| المنظمات التنصيرية | ١٠٠ | ٤٥٠٠ | ٤٦٪ |
| معاهد المنصرين | ٣٨٧٠ | ٢٣٢٠٠٠ | |
| عدد المنصرين بأوطانهم | ٣٩٢٣٠٠٠ | ٤٦٣٥٥٠٠ | |
| عدد المنصرين بالخارج | ٢٨٥٢٥٠ | ٣٩٨٠٠٠ | |
| المجلات التنصيرية | ٢٣٨٠٠ | ٣٠١٠٠ | |
| طباعة الإنجيل | ١٢٩٠٠٠٠٠٠ | ١٧٨٣١٧٠٠٠ | |
| محطات الإذاعة والتلفزة | ٢١٦٠ | ٣٢٠٠ | |
| التبرع للكنيسة | ١٥٧بليون | ١٩٣بليون | ٨٪ |
| حواسيب لخدمة التنصير | --- | ٢٠٦٩٦١٠٠٠ | |

**رابعاً: الاحتلال والتبعية السياسية:**

تعد هذه الوسيلة من الوسائل الأقوى والأكثر تأثيراً في الدول التي دخلها المستعمر الأوربي، وقد دعا المنصرون المستعمرين إلى احتلال البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وعندما احتلت تلك البلدان، قدم المستعمر كل الإمكانيات التي تصب في تسهيل مهمة المنصر وتوفير

(١) مجلة البيان، العدد ١٥٣.

الغطاء الآمن له لكي يعمل على الأرض بحرية، ولذلك لا نعجب من سرعة إقامة المؤسسات التنصيرية (مثل المدارس والكليات والجامعات والمستشفيات والملاجئ وغيرها) في البلدان العربية خاصة في لبنان ومصر والشام والعراق وبلاد المغرب، وكل ذلك بسبب الجهود الحثيثة بين المحتلين والمنصرين، وكانت فكرة الحروب الصليبية هي التي تحرك الشعور العام عند هؤلاء بالانتقام من المسلمين بعد هزيمتهم النكراء على يد صلاح الدين، وقد نفس عن هذه العقلية المريضة والحاقدة ضد الإسلام الجنرال الفرنسي غورو عندما احتلت قواته دمشق فوقف على قبر صلاح الدين، وقال عبارته الشهيرة: «ها قد عدنا يا صلاح الدين».

وقد ناقش المنصرون ورجال السياسة (المستعمرون) أولوية الدخول لأرض المسلمين، وأي الفريقين يجب أن يتقدم على الآخر، وكان الرأي المفضل ـ بعد دراسة أوضاع العالم الإسلامي ـ أن يكون العسكر هم من يتقدم ليمهد الطريق أمام المنصر، ومن ذلك ما وصى به المنصر (واطسون) بضرورة تعاون الحكومات الغربية في سبيل منع انتشار الإسلام بين القبائل الوثنية في أفريقيا، حتى تكون مهمة التنصير أهون عندما يزول المنافس (ويعني الإسلام)، ولا يزال المنصرون يخشون هذه المنافسة خشية شديدة[١].

وكان المنصرون يحثون الدول المستعمرة للبلاد الإسلامية بضرورة المسارعة في عملية التغيير الفكري؛ لأن التأخير في ذلك يعني ظهور الحس الوطني لدى شعوب هذه البلدان مما يعيق بشكل كبير أي محاولة تنصير مستقبلة، وهو ما أشار إليه صراحة الأب دوفوكو في مذراته التي نشرها عام ١٩١٦م إذ يقول: «اعتقد أنه إن لم يتم تنصير المسلمين في

(١) د. علي النملة، التبشير مفهومه وأهدافه، ص ٦٣.

مستعمراتنا بشمال أفريقيا، فإن حركة وطنية ستقوم بها على غرار ما حدث في تركيا، وإن نخبة من المثقفين ستتكون في المدن الكبرى متأثرة بالفكر الفرنسي دون أن يكون لها إحساس الفرنسيين ولا طبيعتهم، وإن هذه النخبة ستحتفظ بمظاهر الإسلام ـ رغم ضياع روحه ـ لتؤثر بها على الجماهير، ومن جهة أخرى فإن جمهور الشعب من البدو والرحل سيبقى جاهلاً، عديم الصلة بنا، متمسكاً، حاقداً على الفرنسيين، محتقراً لهم بدافع من وازعه الديني...»[١].

ولذلك بذلت الدول الأوربية جهوداً كبيرة في سبيل توفير وحماية الإرساليات التنصيرية والمؤسسات العاملة معها، وقد حرصت بريطانيا على أن تحمي الإرساليات البروتستانية خاصة، سواء كان هذه الإرساليات انكليزية أم أميركية وحتى الألمانية منها، وقد كان نفوذ بريطانيا يمتد على أراض واسعة من العالم الإسلامي، فقامت باستغلال هذا الاحتلال والنفوذ أيما استغلال، حتى أنها كانت تضغط على الدولة العثمانية لتسهيل مهمة فتح المدارس والكليات التنصيرية في الأراضي التابعة لها، وقد تركزت جهود هذه الإرساليات على كسب ود النصارى الذين يعيشون في البلاد الإسلامية، خاصة مع الصعوبة الكبيرة التي وجهها المنصرون أمام المسلمين لثبات عقيدتهم، في الوقت نفسه كانت الدول الأوربية تستغل الضعف الذي دب إلى في أوصال الدولة العثمانية لتقوم بالتدخل السافر والمستمر لدعم المنصرين في أراضيها وولاياتها، فمن ذلك على سبيل المثال تدخل القنصليتين البريطانية والأمريكية لإلغاء الأمر الذي أصدره الخديوي إسماعيل حاكم مصر القاضي بإغلاق مدارس التنصير البروتستانتية، وحملتا الحكومة المصرية على أن تتقيد بالدستور العثماني القاضي بالسماح لمثل هذه المدارس.

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٤.

ولقد كان القناصل يعملون أحياناً في مجال التنصير بأنفسهم، فقد حاول المستر سكين قنصل انكلترا في حلب أن يسعى عام ١٨٦٠م إلى تحضير البدو في بادية الشام ليتوصل من هذا السبيل إلى اجتذاب أبنائهم إلى النصرانية، وفي العام التالي تأسست في لندن جمعية للتبشير بين المسلمين، ثم اتصلت بالمستر سكين لتسهيل مهمتها[١].

وعندما توجّهت القوات الفرنسيّة لاحتلال الجزائر، اصطحب قائد الحملة الفرنسية على الجزائر دوبونياك، وبتوصيّة من دائرة ما عرف بـ (الأراضي الفرنسية) في الخارج ـ دائرة الاستعمار ـ التابعة لوزارة الخارجيّة (أربعة عشر) شخصاً من أبرز القساوسة الفرنسيين الذين كانوا يعتقدون وينقلون هذا الاعتقاد إلى الجنود الفرنسيين بأنّ الهلال ـ لفظ كان يطلقه الفرنسيون على الإسلام ـ يجب أن يندحر في الجزائر لتعود الجزائر إلى أحضان الصليب، ولذلك المهمة في الجزائر ليست سياسيّة استعماريّة بقدر ما هي دينيّة مقدسّة كما كان يروّج هؤلاء القساوسة.

وقام الفرنسيون بتحويل معظم المساجد الجزائرية التاريخية إلى كنائس والبعض الأخر إلى اصطبلات لخيول الجنود الفرنسيين، كما قاموا بالغاء معاهد التعليم الديني واللغوي التي كانت سائدة في الجزائر والتي كانت نسبة المتعلمين فيها وحسب إحصاءات فرنسية ٩٠ بالمائة وذلك قبل احتلال فرنسا للجزائر.

وبعد أن تمكّنت القوات الفرنسية من بسط سيطرتها على الجزائر توجّه القساوسة الفرنسيون ـ وأثر استقدام منصرين آخرين إلى منطقة القبائل الجزائرية ـ وحتى لا يحيطوا أنفسهم بالشبهات، فقد ارتدوا ما كان ولا يزال يعرف في بلاد القبائل بالبرنس الأبيض، وهو عبارة عن

(١) التبشير والاستعمار: ص ١١٩.

عباءة بيضاء من الصوف، وعرفوا بـ (الآباء البيض)، وقد أخفوا صفتهم الكهنوتيّة وراحوا ينشرون بين الناس الأميين والبسطاء أنّ الإسلام هو السبب في القضاء على العرق البربري، والعرب الغزاة الذين جاءوا من مكة والمدينة صادروا أراضي البربر ودمرّوا لغتهم وعبثوا بمقدراتهم، وحاول (الآباء البيض) الربط بين العرب الفاتحين وعرب اليوم في محاولة للإيحاء أنّ الفاتحين الأوائل كانوا في فساد عرب اليوم، وهي مغالطة معروفٌ مقصدها، والأكثر من ذلك فإنَّ المؤسسة الكنسية الفرنسية ـ والتي كانت تتحرّك في خطّ واحد مع المؤسسة السياسية والعسكريّة الفرنسية ـ كانت توحي للقبائليين بأنّ عنصرهم آري وهو نفس العنصر العرقي الذي تنتمي إليه أوروبا وفرنسا الكاثوليكيّة(١).

وقد امتزج هدف المستعمرين بهدف المنصرين في أفريقيا خاصة، فيقول سونو ـ أحد الدارسين للتنصير في أفريقيا ـ: «اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الأفريقي، أما المبشرون فقد استهدفوا روحه»؛ وهكذا أصبح من الواضح أن البعثات التنصيرية كانت أدوات الاستعمار من الناحية العملية، وقد كان (جونستون) المغامر الإمبريالي يكره تلك البعثات التنصيرية، لكنه قال في الثناء عليها: «كل موقع لبعثة تبشيرية هو تدريب على الاستعمار»(٢).

فأهداف الإرساليات الأوربية كان استعمارياً قبل أن يكون تنصيراً، ولم تكن النصرانية إلا وسيلة استخدمتها هذه الإرساليات لتطويع الشعوب الإفريقية للمحتل، ولتزيين الاستعمار أمام أعينها، ولذلك تصارعت هذه الإرساليات التنصيرية وتنافست بالصورة نفسها التي كان عليها الصراع بين

---

(١) سعيد عليوان، التنصير وموقفه من النهضة الحضارية المعاصرة في الجزائر، رسالة تقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه (٢٠٠٠م/ ٢٠٠١م)، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.
(٢) التنصير في أفريقيا السوداء، ص ٦٧.

الدول الأوربية الاستعمارية، ولو كانت هذه الإرساليات تعمل من أجل المسيح والسلام ـ كما تدعي ـ لما اقتتلت فيما بينها، ولما وضعت العراقيل من جانب دولة ضد إرساليات الدولة الأخرى، ولو كانت على المذهب نفسه الذي تنتمي إليه الدولة المانعة[١].

أما الحكومات الغربية فقد بذلت جهداً مسانداً لكل المؤسسات التنصيرية العاملة في البلاد الإسلامية، وقد ووفرت لها الحماية والحصانة ضد أي ملاحقة قانونية في البلاد التي تعمل لها، وليس أدل على ذلك من الحادثة التي قامت بها منظمة (آرش دو زوي) الفرنسية التنصيرية عندما قامت باختطاف عدد من الأطفال التشاديين في محاولة منها لتهجيرهم إلى فرنسا وتوزيعهم على عائلات نصرانية، وقد كشفت السلطات التشادية هذه العملية وتم القبض عليهم متلبسين، ومع هذه التهمة الواضحة التي رأها العالم بأجمعه على شاشات التلفاز، فإن الحكومة الفرنسية تدخلت بقوة من أجل الإفراج عنهم، وفعلاً أطلق سراحهم حالما حطت بهم الطائرة بباريس، بعد أن أوهمت الحكومة الفرنسية التشاديين بأنهم سيقضون الست سنوات ـ وهي مدة حكمهم ـ في السجن الفرنسي بدلاً من قضاء العقوبة في تشاد، وهذا يبين الحماية المطلقة التي توفرها الدول الغربية للمنظمات التنصيرية.

أما دارفور فإن هذه المنظمات قامت بدور تخريبي عظيم بين الفئات الاجتماعية، وقامت بدور المحرض ضد الحكومة السودانية، ولم يكن ذلك ليتم لولا الحصانة السياسية التي توفرها لها الدول الغربية، على أن من أوائل المستفيدين من تضخيم أحداث دارفور ذباب التنصير الذي وجد بالفعل سبيله إليها وسط الضغوط الدولية على الحكومة السودانية

(١) المصدر السابق، ص ٧١.

للسماح لمنظمات (الإغاثة) بالتحرك في الإقليم.

فهذا بابا الفاتيكان أبدى انزعاجه وقلقه على ما يعانيه مسلمو دارفور!، وأرسل مبعوثا شخصياً له وهو رئيس الأساقفة الألماني (بول كوردز) إلى السودان أواخر شهر يوليو ٢٠٠٤م، للضغط على الحكومة السودانية لتسرع في إدخال المنظمات الكاثوليكية وتقدم لها التسهيلات، والأهم من هذا هو السماح للفاتيكان بتقديم (تضامنه الروحي) للمنكوبين أي التنصير.

ويبلغ عدد المنظمات التنصيرية العاملة في دارفور ما يزيد عن خمسة وعشرين منظمة، وقال راديو الفاتيكان إن منظمة جديدة أسست من أجل تقديم الخدمات الطبية في أفريقيا وخاصة السودان، وتدعى (السامري الصالح).

ويبدو أن ثمة تعاون وثيق بين نصارى الجنوب السوداني وبين المنظمات التنصيرية، فقد أرسل رئيس الأساقفة الإنجيليين بالسودان (يوسف مارونا) إلى نظرائه في مناطق مختلفة بالعالم يحثهم فيها على التدخل في دارفور، وأثناء اجتماع الأساقفة الإنجيليين بالمركز الكنسي التابع للأمم المتحدة بنيويورك في شهر إبريل الماضي، دعا رئيس الشماسين كل بروتستانتي إلى تقديم يد (العون) لسكان دارفور والمشردين منها.

أما المنصِّر (فرانكلين جراهام) الصديق الحميم لكل من (جورج بوش الأب والابن) فكان من أوائل من أرسل منصريه إلى دارفور، حيث تعد مؤسسة (فرانكلين جراهام ساماريتانس بيرس) من أوسع المنظمات التنصيرية نشاطاً وإمكانيات في العالم لا سيما بمستشفياتها المتنقلة، ومن بين المنظمات العاملة في دارفور منظمة (مساعدة الشعوب) ومنظمة (الكنائس العالمية) ومنظمة (الكنيسة الأسقفية الإنجيلية) وأخذت تلك

المنظمات وغيرها توزع الغذاء والدواء مع الأناجيل والكتب التي تتناول حياة المسيح ـ عليه السلام ـ كما تراها الكنيسة، وقد رسمت عليها الصور المزعومة للمسيح وأمه لكن هذه المرة لمسيح أسود وأم سوداء تحمله.!!كما يشككون المسلمين الجياع والمرضى في صحة القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ، وكل هذه المنظمات تتلقى الدعم الإعلامي والمعنوي من قبل الغرب بحجة المساعدات الإنسانية.

**خامساً: تشويه صورة الإسلام:**

لقد حاولت الكنائس الغربية بما تملكه من وسائل إعلام ضخمة من التأثير على الرأي العام الغربي بصورة مباشرة، وإضفاء السلبية على كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين، ففي عالم تحوّل إلى قرية صغيرة تطورت فيه وسائل الإعلام والاتصالات، وغزت فيه عالمنا الإسلامي الأفكار والقيم الواردة من كل أنحاء العالم، أصبحت سبل الشيطان كثيرة، وقد أدى تطور وسائل الإعلام وتضخم الآلة الإعلامية الغربية إلى ظهور خطرها على الهويات الدينية والعرقية لكثير من شعوب العالم؛ ففي عالم تزيد عدد اللغات فيه عن ٦٠٠٠ لغة، وتتنوع وتتباين فيه القيم الحضارية والدينية، يمثل الإعلام الغربي أكثر من ٩٠٪ من حركة الإعلام المتدفق بين أرجاء العالم، ولا شك أن لهذا آثاراً سلبية على محاولات الحفاظ على الهوية الدينية، والوقاية من الأمراض الأخلاقية الغربية التي تتسرب إلى الشعوب من خلال تدفق المعلومات.

وقد وقفت الكنيسة على رأس هذه الحملة الدعائية المغرضة، فقد ذكرت الكنيسة الهولندية في تقرير مشهور لها توزيعه على نطاق واسع: «إن الإسلام دين كاذب، وأنه خطر على العالم»، ونشرت إحدى المنظمات التنصيرية صوراً لمسجد يصلي فيها المسلمون كتب تحتها:

«من أوكار الإرهاب»[١].

وقد استغل الإعلام الغربي بشكل عام وسائل السينما لعرض وجه نظره المغرضة ضد الإسلام، فقد نشرت صحيفة (لوس أنجلوس تايمز) في ١٩٩٧/٧/٢٨م مقالاً ذكرت فيه كاتبته الطرق التي تتبعها السينما الأمريكية في تشويه الإسلام وأهله؛ فقالت: «ينبغي تصويرهم على أنهم مجموعة من القرويين أصحاب اللحى، ولا بد لهم جميعاً من ارتداء الكوفية بصرف النظر عن البلد التي أتوا منها، وقد يكتفى بارتداء بعضهم للغترة والعقال، ولا بد لهم من التحدث بالإنجليزية الركيكة، وأن تبدو الوقاحة واضحة في معاملاتهم... ولن يحتاجوا إلا إلى مصاحف وأسلحة تبعاً للموقف السينمائي، ويفضل أن يظهروا مدخنين لكي يطفئوا السجائر في أيدي ضحاياهم، ومن الضروري أن يهددوا بتفجير شيء ما، ومن المهم إظهار ضحية بريئة لهذا التفجير، وأن يبين بشكل واضح أن هذا هو الجهاد... ومن المهم أن تصرخ المجموعة في إحدى اللقطات: الموت للكفار، قبل نهاية الفيلم...!!»[٢].

إنَّ هذه الحملة الإعلامية الشرسة نجحت في تشويه صورة الإسلام في أمريكا؛ فقد أظهرت دراسة علمية تبنتها جامعة نيويورك عام (١٩٩٥م): أنَّ الإسلام يكثر الحديث عنه في الإعلام الأمريكي المكتوب، ولكن في معرض الحديث عن العنف أو التطرف، أما الحديث عن الإسلام باعتباره ديناً وقيماً ثقافية وأخلاقية فإنه قليل جداً.

وأكثر ما يقض مضاجع المنصرين خاصة والغرب عامة هي فريضة الجهاد التي استطاع المسلمون من خلالها إيصال هذا الدين للناس، وأصبح هدفاً للطعن والتشويه بأن الإسلام هو دين دموي قائم على سفك

(١) د. عمر سليمان الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة، ص ١٣١.

(٢) د. أحمد الحميدان، المسلمون والعالم، مجلة البيان، العدد ١٦٩.

الدماء واستباحة المحرمات، ويوصف المسلم في ميادين كافة بأنه المجرم الذي يريد أن يقتل الآخرين.

كما أن العالم الإسلامي وصل إلى حالة من التخلف والفرقة والشتات والضعف والهوان قبل سقوط الخلافة وبعد سقوطها، ومقابل هذا الضعف والشتات والافتراق انتعش الغرب الأوروبي، وربط شتات أحزمته وانقض على عالمنا الإسلامي فغزاه في عقيدته، وثقافته وأخلاقه وتعليمه، وسياسته واقتصاده ونظمه وتشريعاته، وربط معه العهود والمواثيق، وتربص به حتى قيده وحاصره ووعده ومناه، وفتح له الأبواب لكي ينهل من معينه الملوث ويشرب منه زبده المحطم، ويمشي في ذيل قافلته المسمومة بعد أن كان قائداً له في يومٍ من الأيام.

يقول سيرج لاتسن في وصف الاستعمار الجديد: «لم يعد تعظيم الغرب في خلق تواجد ملموس، أو في قوة تذل الناس بخشونتها وعجزها؛ لكنه يقوم على قوى رمزية هيمنتها المعنوية أكثر مكراً إلا أنها أقل قابلية لإثارة المنازعات، وهذه العوامل الجديدة للهيمنة هي: العلم، التقنية، والاقتصاد، والتصور، والخلاف الذي تقوم عليه، لقد أصبحت التقنية وسيلة لخلق إيماني عالمي، فهي الأثر المادي والتواجد المتطور للآلة الجديدة (العلم)، ولقد ساهم المبشرون المسيحيون كثيراً في نشر هذه العبارة الدنيوية»[1].

ويقدم الفاتيكان شعاره الأول وهو محاربة الإسلام تحت دعاوي محاربة الإرهاب عن غيره من الشعارات... ويتساءل مثل المسلمين جميعا... أن السائد الآن هو الحوار بين الأديان والمحبة والتسامح، فكيف يستقيم الحوار مع هذه المواقف السلبية التي كانت حملة (المليون

---

(١) د. أحمد عبد الله الزهراني، واقع العالم الإسلامي، مجلة البيان، العدد ١٧٤.

ضد محمد) أعنفها وأفحشها.

ويبذل الفاتيكان والمنظمات التي تعمل تحت لوائه جهوداً حثيثة ومتواصلة للحد من انتشار الإسلام، وذلك عن طريق الإساءة للرسول ﷺ، وقام بتكرس جميع إمكانياتها المادية والمعنوية لهذا الغرض، وفي ظل ما مرَّ بالعالم بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م وفي ظل ما تواجهه المؤسسات والهيئات الإسلامية الخيرية من محدودية إمكانياتها مقارنة بما تلقاه الحملات التنصيرية من دعم مالي كبير، وقد ساهمت بصورة غير مباشرة في دعم الصور المسيئة للرسول الأكرم ﷺ في الصف الدنماركية.

على من أبرز الأفكار التضليليّة التي تستخدمها دول الكفر في هذا المضمار هي:

١. إثارة روح العداء والتحريض عن طريق إعادة بعض الصور المقلوبة في أذهان الغربيّين، ومن جملة الأمور التي يعرضها الغربيون في إثارة روح العداء ضدّ الإسلام والمسلمين هو الطَرْق على مسألة العداء الديني؛ بمعنى أن الإسلام يريد القضاء على الديانة النصرانيّة الموجودة عند الشعوب الغربية، عن طريق إكراه الناس على تركها بالقوّة، واعتناق الدين الإسلامي، فبدل أن تُعرض صورة الإسلام الحقيقية على اعتبار أنه الدين الناسخ للديانات السماوية، وأنه الدين الوحيد الصحيح في صلته بالله ﷻ، تُعرض الصورة المعاكسة تماماً في أن دين الإسلام يعادي الناس جميعاً، ومن أجل هذه الافتراءات، يَستعرض في أذهان الغرب الحرب الصليبيّة في بلاد المشرق، أو الحروب التي خاضها المسلمون على أبواب أوروبا الغربيّة، وفي وسط أوروبا الشرقية، ويزوّر جميع الحقائق المتصلة بهذه الأحداث.

٢. إثارة الغرب ضدّ أفكار الإسلام وتصّوراته، وخاصّة نظرة الإسلام لفكرة الحريّات الأربعة، فمعلومٌ أن الحريّات عند الغربيين هي أغلى ما

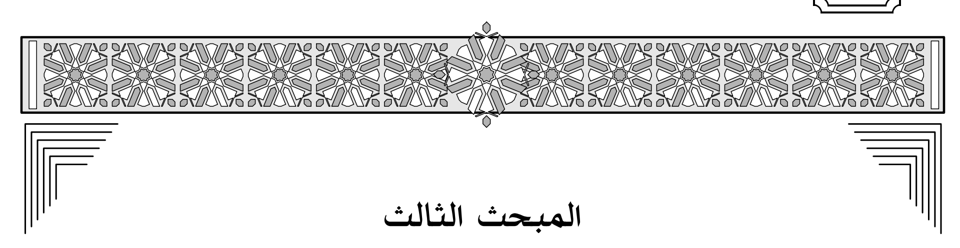
ينظر إليه الغرب من إنجازات، وإن أيّ شيء يمسّ هذه الحريات فإنه يمسّ شيئاً مقدّساً ومحترماً في حياتهم، فالحكومات الغربيّة ستعرض المجمع الإسلامي وأعماله بصورة معكوسة ومبتورة، لترسخ في ذهن الغربيّ أنها مجتمع يحارب هذه الحريات، ويدعو إلى كبتها، والتضييق على أصحابها، فقط من أجل التضييق على الناس وكبتهم، دون أيّ ذكرٍ للناحية الفكرية في نظر المسلمين لمسألة الحريّة، ودون أيّ ذكرٍ لمسألة الخطأ والصواب في ذلك.

٣. قلب الحقائق التاريخيّة في رسم صورة قاتمةٍ عن الإسلام على اعتبار أنه يمثّل صورة العصور الوسطى المظلمة في حياة الغرب، ومعروفٌ أن الغرب يمقت حقبة العصور الوسطى، لأنها مثّلت في حياته فترةً عصيبةً ومريرة بسبب الإساءات التي كان يفعلها رجال الكنيسة، وهذا الأمر ستستغلّه الحكومات الغربية بما لديها من مفكّرين مضلّلين في إثارة الغرب ضد قيم الإسلام ومثله، على اعتبار أنها تمثّل تاريخاً أسود قاتماً وتمثّل فترةً من الظلم والظلام والتخلّف بكلّ صوره وأشكاله الماديّة والمعنوية.

وهكذا تعددت وسائل التنصير في العالم الإسلامي وكثرت منابعه، وهناك وسائل أخرى كثيرة استغلها المنصرون لنشر عقائدهم، قد لا يسع المجال لذكرها في هذه الورقات، لعل من أبرزها: استغلال حاجات الفقر التي تمر بها الأمة، واتخاذ قضية حقوق الإنسان للتدخل في شؤون الدول، ودعم الحركات الهدامة والمنحرفة داخل الدول الإسلامية، وإثارة الحروب والقلاقل وعدم الاستقرار في بعض الدول مثل السودان والصومال وغيرها، كل هذه الوسائل تشكل بيئة منتقاة للمنصرين الذين لا يدخرون جهداً في السير تحت عباءة دولهم التي تملك من مقومات القوة ما تعجز عن رده باقي الدول، فيدخل التنصير بالقوة إلى البلاد

الإسلامية، وربما دخل المنصر تحت حماية السلطة الوطنية بمختلف التسميات: الطبية أو الاستثمارية أو السياحية، أو غيرها من هذه المسميات.





## المبحث الثالث

# إستراتيجية التنصير

**مؤتمرات التنصير:**

لقد حرص المنصرون على اللقاء فيما بينهم لتبادل الخبرات والمشورات فيما يخص أعمالهم التنصيرية، وقد ركزت هذه المؤتمرات ـ التي رعتها الكنيسة ـ على رصد المبالغ المطلوبة لاستمرار عملية التنصير، مع مراعاة الدعم الذي تقدمه الدول النصرانية، خاصة الغربية منها، للتنصير في العالم، وقد عقدت لأجل هذا العديد من المؤتمرات التي توضح بجلاء الإستراتيجية المعتمدة عند المؤسسات التنصيرية، التي تعتمد على إمكانيات ضخمة تفوق ميزانية دول عديدة، وما عرضنا في هذا المبحث لمؤتمرات التنصير إلا لأنه يمثل في واقع الحال الإستراتيجية المعتمدة عند المنصرين بوجه العالم الإسلامي، وإن كنا أشرنا في ثنايا ما تقدم من كتابنا هذا إلى بعض هذه الوسائل والأساليب إلا أننا بحاجة إلى تعميق النظرة في مقررات هذه المؤتمرات، لنطلع عن كثب على الخطط المعتمدة عند المؤسسات التنصيرية في رسم سياستها العامة.

أما أهم المؤتمرات التي عقدت لهذا الخصوص فهي[١]:

---

(١) التبشير وأثره في البلاد العربية والإسلامية، ص ١٠٧ وما بعدها، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٦٨٠.

١. مؤتمر القاهرة: وقد عقد عام ١٣٢٤هـ/ ١٩٠٦م بدعوة من المنصر الشهير زويمر، وقد جمع فيه عدد من الإرساليات التنصيرية البروتستانتية للتفكير في نشر الإنجيل بين المسلمين، وقد بلغ عدد الحضور فيه ٦٢ شخصاً بين رجل وامرأة، وكان زويمر رئيساً لهم.

٢. مؤتمر لكنهوء: عقد في الهند عام ١٣٣٩هـ/ ١٩١٠، وكان تحت رئاسة زويمر أيضاً، وبعد انقضاض المؤتمر وزعت على الأعضاء رقاع مكتوب على أحد وجهيها: «تذكار لكهنوء سنة ١٩١١م»، وعلى الوجه الآخر: «اللهم يا من يسجد له العالم الإسلامي خمس مرات في اليوم بخشوع انظر بشفقة إلى الشعوب الإسلامية وألهمها الخلاص بيسوع المسيح».

٣. مؤتمر القدس: وعقد سنة ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م، وفيه حث زويمر الحضور على ضرورة إبعاد المسلمين عن دينهم، وقال: «إنه لا يقطع الشجرة إلا أحد أغصانها»، وقال أيضاً: «إن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية للقيام بها في البلاد الإسلامية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريما، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية».

٤. مؤتمر كلورادو: بالولايات المتحدة عام ١٩٨٧م، ويعد من أخطر المؤتمرات ليس لشعاره الذي رفعه (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) وإنما لعدد الحضور الذي تجاوز (١٥٠) مشتركاً، واستمر لمدة أسبوعين، قدمت فيه عشرات البحوث، وقد انتهى المؤتمر بوضع إستراتيجية وفق ميزانية تقدر بـ (١٠٠٠) مليون دولار.

٥. المؤتمر العالمي للتنصير: عقد بالسويد سنة ١٩٨١م تحت إشراف

(المجلس الفيدرالي اللوثري) والذي ناقش مقررات مؤتمري لوزان وكولورادو، وخرج بدراسة مستفيضة عن التنصير لما وراء البحار؛ بهدف التركيز على دول العالم الثالث.

٦. مؤتمر صهيون ـ نصراني: عقد في أواخر أغسطس ١٩٨٥م في مدينة بازل بسويسرا، وضم أكثر من ٦٠٠ منصر، وهتفوا بحياة (إسرائيل الكبرى)، وهذا يوضح الترابط الوثيق بين اليهود والنصارى، وهذا ما صرح به (كينين) أحد أبرز القيادات الصهيونية اليهودية الأمريكية المعاصرة في كتابه (خط الدفاع الإسرائيلي) يقول: «كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية».

٧. مؤتمر بريتوريا: في جنوب أفريقيا، عقد سنة ١٩٩٧م تحت شعار (كنيسة لكل شعب، وإنجيل لكل فرد قبل عام ٢٠٠٠م)، وقد حضر هذا المؤتمر خمسة الآلف ممثل لكنيسة من أكثر من مائة دولة.

ولا نستطيع في هذه الورقات الإحاطة بكل الشعارات التي رفعتها هذه المؤتمرات ولا بالمقررات التي أقرتها، أو حتى بالموارد المالية التي جمعت خلالها، ولكننا سنحاول أن نتناول واحداً من هذه المؤتمرات بالعرض والدارسة، ذلك هو مؤتمر كلورادو بالولايات المتحدة لنطلع على المدى الذي وصلت إليه المؤسسات التنصيرية من تنسيق فيما بينها، ودعم الدول الغربية لها، وما تجده من تعاطف كبير من أبناء جلدتها.

**النفوذ والسطوة:**

عقد مؤتمر كلورادو في الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يجيء الاختيار لهذا المكان اعتباطاً، وإنما وفقاً لحسابات دقيقة نابعة من المكانة الاقتصادية والسياسية التي تتمتع بها الولايات المتحدة، وقد كان المنصرون حريصون جداً على التستر خلف قوى عظمى توفر لهم الحماية وحرية الحركة، كما توفر لهم في الوقت نفسه الغطاء السياسي والدعم

المادي، يقول المنصر (جون موط) في تأكيد هذا المعنى، عندما حث المنصرين على توحيد جهودهم تحت قيادة جامعة؛ لأن العصر الذي نعيش فيه جعل العبقريات تتخطى الحدود القومية، ثم أكد على الأساس الثاني الذي يجب الاستناد عليه وهو العنصر الاقتصادي للقيام بأعباء التنصير، وقد خصص (جون موط) فصلاً كاملاً لبحث هذا الأساس في كتابه (إطلاق قوة المال) الموجه للمنصرين، وذكر فيه: إن الولايات المتحدة هي أغنى دول العالم، بل أغنى من عدد كبير من الدول الغنية مجتمعة، لم نجتنب الصواب إن قلنا إنه كان يريد هذه الزعامة لأمته الأمريكية البروتستانتية[1].

وقد كان للمنصرين الأمريكان دورٌ كبيرٌ في العالم الإسلامي وفقاً لهذا الأساس، من ذلك تأسيسهم لكلية بيروت عام ١٨٦٢م، وجعلوا على رأسها المنصر (دانيال بلس)، التي سميت فيما بعد (الكلية السورية الإنجيلية) ثم هي اليوم (الجامعة الأمريكية في بيروت)، وكان للمنصرين الأمريكان أيضاً دورٌ مهمٌ في تأسيس الكلية الأمريكية في القاهرة واسطنبول.

وفي واقع الحال كان هناك نوع من التنافس التنصيري بين: التنصير الكاثوليكي والتنصير البروتستانتي، وقال مالت الكفلة إلى الأخير نظراً لتبنيه في القرن الماضي من قبل بريطانيا التي سلمت دورها التنصيري بعد الحرب العالمية الثانية إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد بروزها كقوة عظمى وانحسار نفوذ انكلترا، ويبدو ذلك واضحاً في التقارير التنصيرية التي تنشر بين الحين والآخر، من ذلك ما جاء في تقرير نشر سنة ١٩٨٠م عن النشاط التنصيري البروتستانتي، فقد ورد أن عدد المنصرين

(١) التبشير والاستعمار، ص ٥٥.

البروتستانت الذين يعملون في أمريكا اللاتينية (٩٢٥٠) في مقابل (٢١٨٠) منصراً من الولايات المتحدة وحدها، وهؤلاء المنصرون يتجهون إلى مواطن قبائل الهنود الحمر في كولومبيا وبوليفيا والإكوادور والبيرو، وهناك يتسلل الأنوف منهم إلى البرازيل؛ لأن حكومة البرازيل الكاثوليكية لا تسمح لهم بالدخول والعمل؛ لأنهم يعرفون أن عملية التنصير علمية دينية في الظاهر ولكنها سياسية في الحقيقة[١].

أما من حيث المصالح الأمريكية فإن الولايات المتحدة كانت دائماً ما تنظر إلى العالم الإسلامي كمنطقة نفوذ ومصالح، خاصة في حقبة الحرب الباردة، لذلك لا نعجب أن وجدنا أن جانباً كبيراً من الأموال التي تصل إلى المؤسسات التنصيرية الأمريكية تأتيها على شكل تبرعات مادية وأحياناً عينية من قبل وزارة الخارجية ووزارة الدفاع؛ لأنها تعد القضية قضية واحدة، والمعركة معركة واحدة، كما أن المواطن الأمريكي ينظر إلى الجمعيات التنصيرية على أنها مصالح حكومية يجب أن يقدم الدعم لها من الجهات كافة[٢].

وقد كان لسقوط الاتحاد السوفيتي أما الولايات المتحدة دوراً في نمو التدين في الغرب عامة وفي أمريكا خاصة، ذلك أن الأمريكيين أشاعوا فيما بينهم أن القيم الأمريكية النابعة من الكنيسة البروتستانتية هي التي انتصرت، بل هي السبب الرئيس في هذا الانتصار، فشهدت فترة التسعينيات من العام الماضي فترة من التدين امتدت إلى مؤسسات المجتمع الأمريكي كافة، ففي إحصائية لمعهد (جالوب): أن ٦٠٪ من الأمريكيين يرتادون الكنائس بانتظام، و ٢٦٪ عاكفون على دراسة الإنجيل، وقرر أكثر من ثلث الأمريكيين أن قراراتهم السياسية تتأثر

(١) المصدر السابق، ص ١١٧.
(٢) حقائق ووثائق، ص ١٥٧.

بمعتقداتهم الدينية، وقرر ٥٦٪ أنهم يعتمدون على الله اليوم أكثر مما كانوا منذ خمس سنوات، وقد انتشى الرئيس الأمريكي ومستشاروه بالاستجابة المثيرة من قبل الشعب الأمريكي، ولهذا استغل الرؤساء الأمريكيين الخطاب الديني ووظفوه في خطاباتهم الانتخابية، وكان السبب الرئيس في نجاح كارتر في انتخابات الرئاسة الأمريكية هي تدينه، ونشاط شقيقته البارز في جمعية تنصيرية[١].

أما عهد بوش الأب والابن فقد ارتفع سقف الدعم والتنصير في مؤسسة الرئاسة الأمريكية، ويبدو ذلك واضحاً جداً في رئاسة بوش الصغير، فقد ذكرت جريدة (جارديان) البريطانية في عددها الصادر في١١ مارس ٢٠٠٦م إلى أنَّ تقريرًا صادرًا عن البيت الأبيض أكد أنَّ حجم التبرعات التي تتلقاها المنظمات الاجتماعية المسيحية وصل إلى ٢,١٥ مليار دولار في العام الماضي، وأكد التقرير الصحفي البريطاني أن هذا المبلغ لا يتضمن كل الأموال التي قُدمت إلى تلك المنظمات، وأوضحت الجريدة البريطانية أن حجم هذه التبرعات قد عمَّق شكوك الأكاديميين ومنظمات المجتمع المدني حول مصارف تلك التبرعات التي تأتي في وقتٍ يتم فيه تخفيض حصص منظمات العمل الاجتماعي الأخرى غير الدينية، الذين أشاروا إلى أن هذه الأموال ـ التي تعتبر من المال العام الأمريكي ـ قد تُستخدم من جانب المنظمات في دعم أنشطة التنصير التي تمارسها هذه المنظمات حول العالم وفي داخل الولايات المتحدة، وأضافت تلك المصادر أن هذه الخطوة تأتي من جانب الإدارة الأمريكية تحت ضغط تيار اليمين المسيحي الذي يسيطر على الإدارة الأمريكية، كما يخالف ذلك تأكيدات الرئيس الأمريكي جورج بوش الذي أكد أن أيةَ منظمةٍ ترفع شعارًا دينيًّا سوف يتم استثناؤها من التبرعات المقدمة من

(١) جمعان الزهراني، مؤتمر كلورادو التنصيري لعام ١٩٧٨م، رسالة ماجستير، ص ٧٤.

جانب الميزانية الفيدرالية الأمريكية.

والذي يؤكد ما ذهبنا إليه من ارتباط النشاط التنصيري بالقوة والهيمنة الأمريكية إلى ما حدث بالعراق بعد الاحتلال الأمريكي له، إذ تؤكد الإحصائيات أن نحو ١٠٠ منظمة تنصيرية قد تدفقت إلى أرض الرافدين خلال عام ٢٠٠٣م، ولا يقتصر النشاط التنصيري على الإنجيليين بل إن الأرثوذكس يتركزون في الموصل وما حولها من شمال العراق، وذلك بمساعدة (هيئة الأساقفة الأمريكيين الأرثوذكسيين) و(مجلس الشرق الأوسط الكنائس)، مع وزارة الخارجية اليونانية، وتقوم الكنائس العراقية بتزويد المنظمات التنصيرية بقوائم الأسر الفقيرة، فينطلق المنصِّرون إليها حاملين الطعام والدواء والمواد التموينية، فيتلقفها الأهالي البؤساء مضطرين، وفي تلك الأثناء يعرض عليهم الدين النصراني، وأهم هذه المنظمات الأمريكية العاملة بالعراق:

١. هيئة الإرساليات الدولية الذراع التبشيرية للمعمدانيين الجنوبيين، والذين يُعدون أكبر طائفة بروتستانتية في أمريكا.

٢. مجلس الشرق الأوسط وشمال إفريقيا.

٣. مجموعة من المعمدانيين الجنوبيين من ولاية نورث كارولينا.

٤. هيئة المعونة الأمريكية.

٥. منظمة (كريستيان شاريتي ورلد نيشن إنترناشونال).

٦. منظمة المجتمع الدولي للإنجيل.

٧. منظمة تعليم أمة كاملة، وتعرف اختصاراً بـ (داون).

٨. منظمة سامرتيان بيرس.

٩. منظمة المنصّرين البروتستانت.

١٠. مؤسسة صوت الشهداء.

١١. القسّ البروتستانتي (جون حنا) من ولاية أوهايو.

١٢. المنصّرة (جاكي كون).

١٣. مركز جلوبل ميسشن يونيت (GlobalMissionunit) للتنصيري العالمي.

وكل تلك المؤسسات التنصيرية في العراق تخضع إلى هيئة تنسيقية عليا باسم: (مكتب تنسيق إغاثة العراق: (IRCO)).

وتدخل هذه المنظمات إلى العراق تحت اسم (منظمات إغاثة إنسانية) فالمسئولون الأمريكان يعترفون بوجود المنصِّرين ويؤكدون أنهم يقدمون العون للناس لا التنصير، والعراقيون يفرحون بتلك المعونات، وقد ذكر مسؤول حكومي لمجلة (تايم) أنه بالنظر إلى العلاقات الودية بين الرئيس بوش واليمين المسيحي الصهيوني ومساندة المنظمات الخيرية الدينية، فإنه يكاد يكون من المستحيل أن يمنع البيت الأبيض منظمات الإغاثة الإنسانية من الذهاب إلى العراق.

**أهداف مؤتمر كلورادو:**

تأتي خطوة هذا المؤتمر التنصيري من اتخاذه (تنصير المسلمين) هدفاً أساسياً من أهدافه، ويدل عليه ما رفعه من شعار: (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين)، وهذا الهدف الأساس كان يعني أن المنصرين شعروا بما يمثله عليهم الإسلام من خطر، ولذا نجد التركيز قد أنصب على إيجاد السبل والوسائل لاختراق العالم الإسلامي، وهذا التركيز يعطي دلالة أكيدة على أن المنصرين لن يتوانوا في استغلال أي ثغرة، ومهما كانت صغيرة، للوصول إلى العالم الإسلامي، وقد أكدوا ذلك بقولهم: «لقد عزمنا أيضاً على أن نتعتبر أنفسنا من الآن فصاعداً مسؤولين طواعية عن تحقيق هذا الهدف ألا وهو خلاص العالم

الإسلامي»[١].

ولقد رأينا أن نستعرض أهم الأهداف التي وضعها هذا المؤتمر لخدمة أغراضه التنصيرية، وتتمثل بالآتي:

١. تنصير المسلمين: إن الهدف الأساسي في الدعوة لعقد هذا المؤتمر كان الهدف منها تقييم أداء المنصرين في العالم الإسلامي، والقيام بإعداد خطط جديدة تتناسب مع روح العصر، وتعتمد على استخدام الوسائل الحديثة في دعوة المسلمين، ولذلك حرص المنظمون للمؤتمر على إشراك منصرين عملوا في بلاد إسلامية، وعلماء أجناس وعدد من المستشرقين المتخصصين بالدراسات الإسلامية، كما شارك بالمؤتمر نصارى مواطنين من البلاد الإسلامية، وهذا كله من أجل تجاوز الهموم الرئيسة التي تشغل بال المنظمين، كما صرحوا بذلك فقالوا: «لقد كان همّنا الأول هو إشراك كفاءات عالية ذات دوافع قوية تتمكن من إحداث تغيير أساسي في عملية تنصير المسلمين»[٢]؛ وقد كانت البحوث المقدمة للمؤتمر تعالج في غالبها التنصير في بلاد المسلمين أو ترسم سياسات وقواعد لتنصير المسلمين، كما أن الدراسات الميدانية التي قدمت كانت تتحدث عن البلاد الإسلامية، أو عن الأقليات المسلمة في بلاد غير إسلامية متجاهلين غيرهم من سكان تلك البلاد سواء من المواطنين أو الوافدين، وقالوا عن تلك البحوث ـ التي بلغ عددها الأربعين بحثاً ـ مع شموليتها: «أنها لا تغطي جميع القضايا التي يتعين علينا معالجتها ودراستها إذا ما أردنا القيام بواجبنا والالتزام الجاد بأمر الرب لنا بأن ننصر الأمم كافة، أو في توجهنا الحالي إلى تنصير (٣٥٠٠)

---

(١) عبد الودود شلبي، أفيقوا أيها المسلمون قبل أن تدفعوا الجزية، ص ١٤٩.

(٢) جمعان الزهراني، مؤتمر كلورادو التنصيري لعام ١٩٧٨م، رسالة ماجستير، ص ٨٤.

مجموعة عرقية في العالم»[١]، وهكذا حدد الغرض من توجه المنصرين نحو العالم الإسلامي باتجاهين:

أ. لا بد أن يجد الإنجيل طريقه إلى الملايين من المسلمين.

ب. يجب أن تخرج الكنائس القومية من عزلتها وتقتحم بعزم جديد ثقافات ومجتمعات المسلمين الذي تسعى إلى تنصيرهم[٢].

٢. دعم وتقوية النصارى المحليين: ويعنون بهم النصارى الذين يعيشون في العالم الإسلامي، حيث أثبتت خبرة وتجربة المنصرين الغربيين بأن المسلمين ينفرون من الثقافات الدخيلة عليهم، كما أن كثيراً من المنصرين الغربيين لا يريدون أن يتخلوا عن الشعور بالفوقية أثناء القيام بعملية التنصير؛ فلذلك يحرصون على نقل المتنصر إلى المسيحية ذات الطابع الغربي مما يؤدي إلى عزله عن الكنائس المحلية، ومن هنا برزت الحاجة إلى دعم الكنائس المحلية، كما أن في دعمها تقوية لشوكة النصرانية في العالم، وذلك من خلال استخدام هذه المجموعات كقوة ضاغطة أو ما يسمى (بطابور خامس) قد يُحتاج إليه في أي وقت تستدعيه المصالح النصرانية عموماً، والغربية خصوصاً، ولذلك كان من أهم القررات المتخذة بهذا الجانب هو: «أنه يجب على المواطنين النصارى في البلدان الإسلامية وإرساليات التبشير الأجنبية العمل معاً بروح تامة من أجل الاعتماد المتبادل والتعاون المشترك»[٣].

٣. تطوير وسائل للتنصير: لقد واجه التنصير بشكله التقليدي عقبات كئود في العالم الإسلامي، نظراً لشدة تمسك المسلمين بدينهم، ولذا كان من المهم اتباع أساليب جديدة في العالم الإسلامي، واستغلال التقدم

---

(١) المصدر السابق.
(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٧.
(٣) المصدر السابق.

التقني الحديث لدعم مجالات التنصير، وقد أوصى المجتمعون في هذا المؤتمر باتباع ثلاث وسائل لتنصير المسلمين:

أ. الأسلوب المباشر الذي يعتمد على الدعوة المباشرة إلى النصرانية، وهو أسلوب قديم وتكاد تكون نتائجه معدومة في ديار المسلمين: «فهو لم يجتذب سوى عدد قليل جداً من المسلمين فيما عدا بعض الذين جاؤوا بصورة سرية وظلوا مجهولين».

ب. الأسلوب الشامل: وهو الذي ينشر الجو النصراني والأدبيات النصرانية، ويجعل الثقافة النصرانية ثقافة مألوفة في المجتمع الإسلامي، ويجذب إليه الناس من خلال المؤسسات التعليمية بوجه خاص، التي خطط المنصرون لإنشائها في العالم الإسلامي من مدارس وكليات ومعاهد وجامعات، مثل الجامعة الأمريكية في بيروت، والجامعة الأمريكية في القاهرة.

ج. الأسلوب غير المباشر: أو (التسلل الصامت) وهو الأسلوب الجديد الذي اقترح المنصرون في هذا المؤتمر التركيز عليه لتحقيق المخطط الجديد والطموح المتمثل باختراق الإسلام لهدمه من الداخل وتنصير المسلمين، وقد كانت الدعوات تتعالى بين المجتمعين بالاعتماد على هذا الأسلوب، وأنه هو الأسلوب المفضل لاقتحام حصون المسلمين الفكرية: «لأنه هو القوة الصامتة وغير المرئية التي لا تدخل في أي جدال، ولا تقبل أي اعتذار، وعلى الرغم من ذلك تنتقل من خلال العقل إلى القلب والضمير لتحث معجزة التبشير»[١].

٤. ترسيخ الهيمنة الأمريكية على العالم: لقد رأى المنصرون الأمريكان أن دولتهم هي التي تقود العالم، وأن العالم الكاثوليكي لم

---

(١) د. محمد عمارة، إستراتيجية التنصير في العالم الإسلامي، ص ٢١٨.

تعد له أهمية تذكر مقارنة بالنفوذ العظيم الذي تتمتع به الولايات المتحدة، ولذلك حرص المنصرون الأمريكان على نقل زعامة التنصير وريادته إليهم، وقد بارك الحكومات الأمريكية المتعاقبة هذه الخطوة، ودعمتها بشكل ملموس لما تدره عليها من منافع سياسية واقتصادية، وقد قام الأمريكان بخطة حاسمة عندما ربطوا التنصير بمؤسسات البحث الكثيرة المنتشرة في الولايات المتحدة، وكان لهذه المراكز شأن عظيم في توجيه المنصرين، وشكلت لهم مراجع مهمة يرجعون إليها، وبناء على التوصيات التي قدمتها قوى العمل، تم تشكيل لجنة توجيهيه في جنوب كاليفورنيا أوكل إليها مهمة إنشاء مركز للأبحاث وتدريب العاملين في صفوف المسلمين، ويعتبر هذا المعهد نفسه خادماً للحركة التنصيرية كلها، وذلك فيما يتعلق بالجهود التي تبذل للوصول إلى المسلمين الذين لم يتم الوصل إليهم حتى الآن(١).

٥. مقاومة الإسلام: لقد هال المنصرون القوة الروحية العظيمة التي وجدوها في الإسلام مقارنة مع الديانات السماوية أو الوضعية الأخرى، لذلك أطلقوا في هذا المؤتمر صيحات التحذير من تفوق الإسلام على النصرانية، نظراً لما يتمتع به من مقومات وقيم تفتقد إليها النصرانية، ولقد أذهلتهم صلابة المسلمين في صلاتهم وصيامهم وسائر عباداتهم، ولذلك نجد عبارات المنصرين تترد على المسامع قائلة(٢):

أ. قال أحد المنصرين: «إنني أميل إلى الاتفاق مع فاندر وزويمر وفريتاك وآخرين فيما ذهبوا إليه من أن الإسلام حركة دينية معادية للنصرانية».

ب. وقال آخر: «إن الإسلام مخطط تخطيطاً يفوق قدرة البشر

(١) دون ماكري، حان الوقت لتقديم منطلقات جديدة، ص ٢٠.
(٢) التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي، ص ٥٦٦.

لمقاومة إنجيل ربنا اليسوع».

ج. وقال منصر آخر: «إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، وترفض بكل وضوح موثوقية وصحة الإنجيل وأبو الرب وأن المسيح ابنه [تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً] وضرورة موته وكفايته لمفهوم الإخلاص وتبرير بعثته».

٦. أهداف أخرى: وهناك أهداف أخرى حوتها مقررات هذا المؤتمر وتوصياته، منها: أ. استغلال الظروف السياسية المتدهورة في العالم الإسلامية.

ب. تنشيط الحركة التنصيرية بين النصارى عموماً والبروتستانت خصوصاً، وخاصة في أمريكا الشمالية.

ولم يكن بالإمكان تحقيق هذه الأهداف لولا الإعداد الجيد للمؤتمر، والإمكانيات الكبيرة التي وضعت أمام المنصرين، كما لا ننسى أن أشهر المنصرين ـ خاصة العاملين منهم في العالم الإسلامي ـ كانوا من أوائل المدعوين للمؤتمر من أمثال: (فرد أكورد وهو رئيس منطقة الولايات الغربية التنصيرية في السودان، وريتشارد بيلي الذي عمل أكثر من تسعة عشر عاماً في مجال التنصير في باكستان، ودانيال بروستر من (جمعية الإغاثة والتطوير) التابعة لمنظمة التصور العالمية، وعمل سنوات عديدة في نيروبي وروديسيا، وكان ضمن فريق العمل للإعداد لمؤتمر؛ وفرانك كولي وهو ضابط الاتصال لفرع الإرساليات ما وراء البحار التابع لمجلس الكنائس الوطني للولايات المتحدة الأمريكية وله خبرة لعشرين سنة في اتحاد المشيخة الكنسي في إندونيسيا، وغير هؤلاء كثير مما لا يسع المجال لذكره.

وهكذا يتضح لنا الأهداف الرئيسية التي سعى لها المنصرون في مؤتمرهم هذا، وهي في واقع الحال تمثل الأهداف الرئيسية للتنصير في

العالم، خاصة فيما يتعلق بالعالم الإسلامي، وقد مهدت لهم الظروف الاقتصادية والسياسية بعض الفجوات للتسلل إلى قلب المجتمع الإسلامي في مصر وسوريا والعراق وبلاد الشام ودول الخليج والسعودية.

**بحوث المؤتمر:**

تنبع أهمية مؤتمر كلورادو من أهمية البحوث الرصينة التي قدمت فيه، وقد حرص منظمو هذا المؤتمر على الاستعانة بأفضل الكفاءات العلمية الموجودة في ذلك الوقت، خاصة وأن الهدف الرئيس منه كان في صياغة إستراتيجية تنصيرية بعيدة المدى هذا من جهة ومن جهة أخرى الدخول في مواجهة الإسلام الذي يمثل العدو اللدود الكنيسة، وقد شعر المنظمون بأهمية اجتماعهم، فقد تزاحمت عليهم الأفكار والأولويات حتى قال أحدهم: «لقد واجهتنا هموم عديدة، عندما حاولنا أن نقرر ما يجب علينا عمله، فقد كان همنا الأول هو إشراك كفاءات عالية ذات دوافع قوية تتمكن من إحداث تغيير أساسي في عملية تنصير المسلمين، والثاني كان تحديد القضايا الأساسية التي تدعو الحاجة إلى طرحها ومناقشتها»[١].

ورأينا أن نضع بين يدي القارئ بعض هذه البحوث ليكون على اطلاع على المدى الذي وصلت إليه الجهود التنصيرية في العالم الإسلامي[٢]:

١. إبلاغ الكتاب المقدس إلى المسلمين في بيئات ثقافية مختلفة تقدم به دونالد لارسون: تحدث فيه الكاتب عما سماه (الالتزام بالانتقال الثنائي على مرحلتين شرط ضروري لزيادة تأثير الاتصال بين المسلمين)،

(١) حان الوقت المناسب لمنطلقات جديدة، ص ١٨.
(٢) الزهراني، مؤتمر كلورادو، ص ١٢١ وما بعدها.

بمعنى أنه لا بد للمنصر قبل أن يدخل المسلم إلى النصرانية أن يصغي إليه ويعرف كيف يجد للمسلم حلاً به حدود ما وراء القبيلة، حتى يصله به إلى الإيمان بعيسى رباً ومخلصاً، هذا حسب اعتقادهم، ويهدف البحث إلى رسم خطة لرعاية واحتضان من تنصر من المسلمين وتقديم كل مساعدة ممكنة له لكي يتجاوز الأعراف القبلية والقيم الاجتماعية السائدة في المجتمع الإسلامي.

٢. كنائس ملائمة للمتنصرين في المجتمع الإسلامي تقدم به تشارلس كرافت: وقدم فيه تصوراً لمعنى الكنيسة، وأن المقصود بها مجموعات العبادة لا المباني، ولهذا وضع هذا المنصر في بحثه تصوراً لما ينبغي أن تكون عليه الكنيسة في المجتمعات الإسلامية التي يجب أن تنطلق من الالتزام الكامل بعقائد النصارى، ويجب أن تعطي في الوقت نفسه بُعداً اجتماعياً لمرتاديها من أجل اجتذابهم والبقاء على اتصال دائم بهم.

٣. منظمات لاهوتية جديدة في عملية تنصير المسلمين تقد به بروس نيكولز: حاول هذا المنصر في بحثه استكشاف طرق ووسائل جديدة لتنصير المسلمين، بعيداً عن الأسلوب المباشر المتعارف عليه قديماً، وأدعى أن الأسلوب الأمثل للوصول إلى قلب المسلم هو في الاستجابة لحاجاته الثقافية والطبية، ولا يكون ذلك ممكناً بنظره إلا بعد دراسة شاملة عن العادات والتقاليد في المجتمع الإسلامي، وهذه أهم قضية لنجاح عملية تنصير المسلم، حسب ما طرحه هذا المنصر.

٤. تحليل المقاومة والاستجابة لدى الشعوب المسلمة، دون ماكري: حاول هذا المنصر في بحثه هذا دراسة الأسباب التي تؤدي إلى رفض المسلمين للنصرانية، وأدعى أنه وصل إلى نتيجة مفادها أن مقاومة المسلم للتنصير ليست سوى مقاومة لما يمثله المحتل الغربي وما جاء به من قيم غريبة عنه وعن مجتمعه، ولذلك كان يرى أن أساس في استجابة

المسلم للنصرانية هي من خلال مراجعة حالة المقاومة والاستجابة لمجموعة مسلمة.

٥. إسلام العامة (أو الإسلام الشعبي)، بيل مسك: وقد تناول هذا المنصر في بحثه هذا الخرافات والشعوذة التي دخلت في الإسلام إما عن طريق بعض غلاة الصوفية أو بعض السحرة والمشعوذين، ولذلك فهو يقترح على أصحابه من المنصرين اتباع هذا الأسلوب في جذب السذج من المسلمين وتخليصهم من الشيطان من خلال الوسائل الطبية الأكثر تطوراً.

٦. مقارنة بين وضع النصرانية وعدد من دول العالم الإسلامي: وهي مجموعة من البحوث تناولت بالبحث والمقارنة عن أوضاع التنصير والنصرانية في هذه الدول مع الإشارة إلى المعوقات والمشاكل التي تواجهها الإرساليات التنصيرية في هذا المجال، وقد تناولت هذه البحوث معظم أجزاء العالم الإسلامي ابتداء من إندونيسيا والفلبين وتايلاند وماليزيا، ومروراً بشبه القارة الهندية وباكستان وإيران وحتى تركيا، وانتهاء بالدول العربية من العراق إلى المغرب.

٧. الإرسال الإذاعي الحالي الموجه إلى المسلمين، فرد اكورد: دراسة تبين أهمية استخدام الإذاعة في العلية التنصيرية، ومدى استفادة المنصرين منها في الوقت الحاضر، والعمل على تحقيق هدف الوصول إلى المسلمين من خلالها، ودعوة للمساعدة فيما بين المنظمات التنصرية من أجل تحقيق الهدف المشترك مع طرح للاحتياجات المطلوبة في سبيل الوصول إلى تنصير المسلمين.

٨. المداخل النصرانية إلى المرأة المسلمة وأسرتها، فاليري هوفمن: تعرضت هذه المنصرة إلى وضع المرأة في المجتمعات الإسلامية، ونظرة المرأة المسلمة إلى العالم ودروها في الدين الإسلامي مقارنة ذلك بوضع

المرأة النصرانية، وكيف أنه سجل تفوقاً ملحوظاً بزعمها، ثم قررت أن أفضل طريقة للتنصير تكون بالتركيز على المرأة من خلال الأسرة والمنزل، والقدوة النصرانية في المجتمع المسلم.

ومن خلال ما مرَّ نلاحظ أن هذه البحوث قد غطت معظم جوانب الاتصال مع المسلمين سواء كان ذلك مكانياً أو زمانياً أو سياسياً أو اجتماعياً أو ثقافياً، ونبع هذا الاهتمام الكبير للمنصرين من همتهم الصادقة على خوض غمار التجربة التنصيرية على جميع الأصعدة وفي كل المستويات، كما أن الميزانيات التي أحصيت عند بعض المؤسسات التنصيرية كبيرة جداً، فوفقاً لمصادر غربية بلغت موارد الكنيسة المرئية (البث التلفزيوني) في عام ١٩٨٠م أكثر من مليار دولار سنوياً، هذا من التبرعات فقط، وإذا ما أضيف إلى هذا الرقم المبالغ الواردة من الإعلانات ودعم البرامج، فإن الرقم ربما يصل إلى مياري دولار سنوياً[١].

ولابد من الإشارة إلى أن بحوث هذه المؤتمر قدمت وجه نظر المنصر إلى العالم الإسلامي، وغالباً ما غلبت على هذه الصورة التعصب والتطرف والأحكام المسبقة، كما أن معظم المراجع التي أحيلت لها هذه البحوث هي مراجع غربية لمنصرين أو مستشرقين، ونادراً ما تجد من نقل نصاً من كتاب إسلامي، وهذا يعني بطبيعة الحال خلو هذه البحوث من أي حيادية علمية، تلك القاعدة التي يفخر الغربيون بها كثيراً في بحوثهم العلمية مما يضفي على هذه البحوث صفة التعصب وعد العلمية[٢].

إن البحوث التي نوقشت في هذا المؤتمر، وما خلصت إليه من

(١) الأصولية الإنجيلية، ص ٨٠.
(٢) الزهراني، مؤتمر كلورادو، ص ١٣٩.
(٣) مجلة البيان، التنصير والانتشار في الفراغ، العدد ٢٦٦، ص ٤٧.

توصيات لتعطينا انطباعاً بمدى الاهتمام الذي يوليه المنصرون للعالم الإسلامي بصورة عامة، خاصة مع اتساع دائرة الاتصال وتعدد قنواته، ولذلك نجد من الأهمية بمكان دراسة هذه المؤتمرات وبيان أهم مقرراتها وأهدافها، وكشف آثارها على العالم الإسلامي، ذلك أن معظم المنصرين لهم مؤسسات علمية وكنائس ذات إمكانيات مادية كبيرة مقارنة بما تملكه المؤسسات الإسلامية، وقد زاد الطين بلة سياسة تجفيف المنابع للمؤسسات الإسلامية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١م، مما أدى إلى انحسار دعاة الإسلام وتمدد نفوذ المنصرين على حساب هذا الانحسار.

إن ما يجب التأكيد عليه في النهاية هو أن الاستمرار في ممارسة الضغوط وتوجيه الاتهامات واتخاذ إجراءات عقابية ضد الجمعيات والمؤسسات الخيرية العربية والإسلامية، من شأنه أن يدفعها إلى التوقف أو تقلص دورها الإنساني، في الوقت الذي يشهد فيه العالم تزايداً ملحوظاً في معدلات الفقر والبؤس نتيجة الكوارث الطبيعية والبرية الهائلة.

ومن المعلوم أن جهود نشر العقيدة تكاد تنحصر حالياً بين الإسلام والنصرانية، ويحاول الدعاة من المسلمين التصدي لحملات التنصير والانطلاق لنشر العقيدة في أنحاء العالم عن طريق المؤسسات الخيرية الإسلامية، وهو ما يقوم به المنصرون أيضاً بصورة مشابه إلى حد ما. إلا أن تركيز التنصير يتجه إلى العالم الإسلامي والمناطق المحيطة به لأهداف استعمارية أخرى تحدثنا عنها سابقاً، لذلك من الطبيعي أن يؤدي تقليل نشاط أي منها إلى خلق مناطق فراغ سيستغلها الطرف الآخر على الفور؛ فمحاربة العمل الخيري الإسلامي أدت بالفعل إلى وجود فراغ في المناطق التي كان ينتشر بها، أو في بعض المناطق التي كان يفترض أن

يكون أول من يغطيها.

والمثال الأوضح على ذلك ما حدث في الصومال؛ فبعد أحداث عام ١٩٩١ وانهيار النظام هناك، تدفقت هيئات التنصير، وسبقت في ذلك الهيئات الإسلامية، ولما دخلت المنظمات الإسلامية بدافع إسلامي وإنساني رحَّب بها أهل الصومال وتقبلوا المعونة باليد والدعوة والنصيحة بالقلب، فثارت المنظمات التنصيرية واستعْدَت عليها أمريكا، لتفرِّغ لها الساحة ولتكون البديل الاضطراري الذي لا غنى عنه للشعب، ومع الحملة الأمريكية، مُنعت الهيئات الخيرية الإسلامية من مزاولة أعمالها الدعوية والإغاثية، وفي ذات الوقت صعَّدت المنظمات التنصيرية من أنشطتها مستغلة فراغ الساحة، ولتستولي على المدارس والمراكز التي توقف عنها دعم المنظمات الإسلامية؛ فعلى سبيل المثال فرضت إحدى المنظمات التنصيرية على أهل قرية دار السلام جنوب غرب مقديشو، نزع الفتيات للنقاب في إحدى المدارس لقاء دعم المدرسة مالياً.

**التنصير في العراق**(١):

لقد أشارت إحصائيات معهد (جوردن ـ كنويل اللاهوتي) لدراسة الأديان بجنوب هاملتون أن عدد الجماعات التنصيرية العاملة في الدول الإسلامية ما بين عامي ١٩٨٢ و٢٠٠١ قد وصل للضِعف تقريباً ـ بعدما كانت نحو ١٥ ألف منظمة، وصلت إلى أكثر من ٢٧ ألف منظمة، إلا أن هذه الجماعات التنصيرية تجد عوائق كثيرة، حكومية وشعبية تضطرها للتخفي والاستتار، فإن عشرات الدول الإسلامية ترفض إعطاء تصريح الدخول تحت مسمى (عامل ديني)، مما يضطرها إلى التخفي واتباع

---

(١) مقالة للمؤلف منشور في مجلة البيان، العدد ٢٨٠، سنة ٢٠١٠م، وأوردناه في كتابنا هذا لإعطاء صورة عملية لعمليات التنصير في بعض بلاد المسلمين بسبب الاحتلال المباشر.

وسائل ملتوية، وهو حل تطلق عليه المنظمات التنصيرية (صناعة الخيام) نسبة إلى بولس الذي كان يتقوت من هذا العمل أثناء رحلاته (التبشيرية) وهكذا هم لا يعلنون عن حقيقتهم ويستترون تحت العمل في مجالات أخرى، ولئن كان الجدل حول الطرق التنصيرية في العالم الإسلامي واسعاً بين هذه المنظمات بين الإسرار والمجاهرة، إلا أن العمل في العراق يختلف كثيرا عن غيره من البلدان الإسلامية لأنه محتل تحت الرئيس الأصولي الإنجيلي المتدين (جورج بوش الصغير) ولهذا دخلت تلك المنظمات النصرانية آمنة مطمئنة تحت الشعار الذي تريد وبالمنهج الذي تختار، إن شاءت أن تستفز مشاعر المسلمين فلتفعل وإن رامت تشويه عقائدهم والتسلل إليهم في خفاء فلتمضي تباركها الدبابات وتحميها الطائرات.

لقد شعرت المنظمات التنصيرية خلال وجودها الأوَّلي في العراق بقِدَم وسائلها وأساليبها في جذب الناس، خاصة مع ازدياد الوعي وانتشار وسائل الثقافة والاتصال؛ ولذلك كانت تلجأ إلى الأساليب الملتوية في الوصول إلى أهدافها، واستعانت كثيراً بالكنائس العراقية، وببعض العراقيين النصارى من أجل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الناس، وغالباً ما كان هذا الوصول تحت غطاء إغاثي.

ولذلك حرصت معظم المنظمات الموجودة في العراق على إخفاء أسمائها الحقيقية، واستبدالها باسماء أكثر قبولاً بين العراقيين، كما حاولت هذه المنظمات الاستفادة من تجاربها السابقة في عدد من الدول العربية، وأبدت حرصاً متفانياً لتنسيق الجهود المبذولة في مجال التنصير على كافة الصعد؛ فقد كشفت صحيفة (حريت) التركية في عددها الصادر في ٥/٨/٢٠٠٣م النقاب عن أن الولايات المتحدة بدأت تبذل جهوداً كبيرة ومساعي حثيثة لفرض أمر واقع والسيطرة على العراق؛ وذلك من

خلال تشجيع جهود التنصير بين العراقيين، ونشر ما يسمى (الفعاليات التبشيرية) للديانة المسيحية في العراق. ومن أجل ذلك ـ ولا زال الكلام للصحيفة ـ قررت هذه المنظمات التنصيرية ـ وبرعاية من الإدارة الأمريكية ـ عقد مؤتمر بمدينة (أفيون) التركية وسط الأناضول في السابع والعشرين من شهر أكتوبر ٢٠٠٣م لمدة ثلاثة أيام، يشارك فيها مائة وستون عضواً يمثلون هذه الفعاليات التنصيرية.

كما حاولت هذه المنظمات التنصرية الاستفادة من تجربتها المريرة بأفغانستان، المتمثلة بالفشل الذريع، وتعرضها لنكسات موجعة وصل إلى حد تصفية أفرادها جسدياً، ومع ذلك فقد كان المنصرون يعملون في العراق لتغطية فشلهم في أفغانستان، يقول (كروس ووك) رئيس منظمة (إكويب) التنصيرية في ذلك: «لكن الوضع في العراق الآن سيكون له نموذج جديد؛ فالوجود الأمريكي هناك يعمل على إقامة دولة ديمقراطية لتكون نموذجاً يُحتذَى في العالم العربي والإسلامي؛ فالدستور الجديد سيتضمن بنوداً تنص على الحريات الدينية وحرية العبادة بشكل علني ومفتوح».

ويبدو أن الإدارة الأمريكية حاولت أن تنأى بنفسها عن النشاط التنصيري الواسع الذي رافق احتلالها للعراق؛ فقد صرح (آري فليتشر) بأن الإدارة الأمريكية لا تستطيع أن تمنع أية مجموعة من العمل في العراق، وقالت الناطقة بلسان الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية: (إن هذه المنظمات لا تعتمد على تمويل حكومي؛ لذا فليس للحكومة أية سيطرة).

أما الأخطر في عمليات التنصير في العراق فهو ما تشهده المناطق الشمالية بإقليم كردستان؛ حيث أصدر مركز غلوبل ميشن (Global Mission Unit) التنصيري العالمي تقريراً يتضمن أسماء الهيئات والمنظمات التنصيرية التي تعمل في شمال العراق، وفي مقدمتها:

١. جمعية الكتاب المقدس: ولها مكتب في مدينة أربيل، وتطبع كل نشراتها بمطبعة الثقافة التابعة لوزارة الثقافة العراقية في أربيل.

٢. منظمة تطوير خدمات الشرق الأوسط البريطانية: ومركزها الرئيس في القاهرة، ولها ثلاثة مكاتب في العراق؛ في أربيل ودهوك والسليمانية، وتقوم على أنشطتها مجموعة كاملة موفدة من المكتب الرئيس للمنظمة في مصر، تحت رئاسة (د. ألكسندر رسل) بريطاني الأصل، وهو يعمل أستاذاً للغة الإنجليزية بكلية الآداب في جامعة صلاح الدين في أربيل.

٣. منظمة ينبوع الحياة الأمريكية: ومركزها في مدينة شقلاوة القريبة من أربيل، بدعم مباشر من مكتب مساعدة الكوارث الخارجية التابع لوزارة الخارجية الأمريكية، تحت ستار حفر الآبار وتوفير مياه الشرب النقية.

٤. منظمة القوافل الطبية الدولية: ومركزها الرئيس مدينة «بورتلاند» الأمريكية، وقد ذهبت إلى العراق برفقة الجيش الأمريكي في حرب الخليج الثانية، وتعمل بدعم مباشر من مكتب مساعدة الكوارث الخارجية، وتحت إشراف مكتب التنسيق العسكري، ولها أربعة مكاتب في السليمانية، وأربيل وزاخو ودهوك.

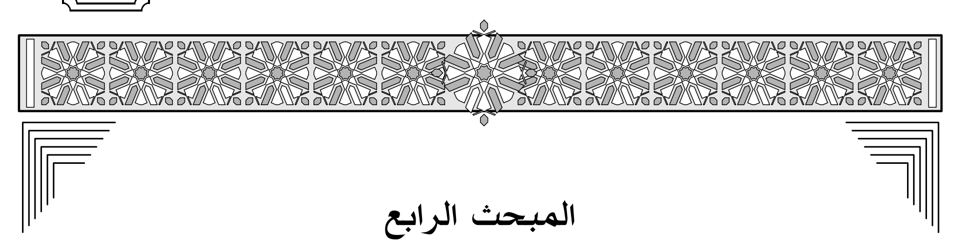
٥. منظمة المصادر البريطانية: وتعمل في مجال تدريس الكمبيوتر واللغة الإنجليزية، ولها مكاتب فرعية عدة، ومكتب رئيس في مدينة شقلاوة وضواحيها.

٦. منظمة كاريتاس: وقد أعلنت (نشرة النيابة الرسولية الكاثوليكية) التي تصدر في القاهرة، في عددها رقم (٤٦)، أن منظمة (كاريتاس) الكاثوليكية العالمية، بالتعاون مع مكاتبها داخل العراق (لم تحدد مواقعها) وبتنسيق مع فروعها في تركيا وسوريا ولبنان والقدس، قد أعدت

كمية ضخمة من المساعدات الإنسانية تسد احتياجات ما يقرب من نصف مليون عراقي.

٧. منظمة أكورن ACORN: المدعومة من الفاتيكان، وتقوم بإدخال عشرات من الأكراد المسلمين إلى دورات تنصيرية في كنائس خاصة بعد إغرائهم برواتب كبيرة تبلغ ٦٠٠ دولار شهرياً، ويجري اختيار المتميزين منهم وإرسالهم إلى الفاتيكان، ليعودوا بعد فترة كـ (مبشِّرين).





## المبحث الرابع

# مواجهة التنصير

إن التنصير يعد من أخطر الحركات الفكرية التي يواجهها العالم الإسلامي، نظراً لما يتمتع به من إمكانيات مادية، ودعم كبير من الدول الغربية، ولذلك على المسلم أن لا يستهين بالقدرات الكبيرة لمؤسسات التنصير الكنسية، وعليه أن يعد العدة لصد خطرها على المجتمعات الإسلامية، كما أن المؤسسات العلمية والدعوية عليها أن تولي اهتماماً كبيراً بإعداد الكفاءات البشرية القادرة على مقارعة جيوش المنصرين، وتقوم أيضاً بالدراسات والبحوث العلمية التي تضع خطط الرد والصد على المنصرين خاصة في البلاد الإسلامية، ويجب أن لا ننسى أيضاً الدعوة إلى الإسلام التي تشكل أهم مقوم من مقومات مواجهة التنصير من خلال تعريف الغرب بالإسلام الحقيقي البعيد عن التضليل الإعلامي الذي اعتاد سماعه المستشرقين والمنصرين، ولهذا فإن المسؤولية هي مسؤولية شاملة وكبيرة تقع على عاتق العلماء والدعاة على حد سواء، وسنحاول أن نضع في مبحثنا هذا أُطراً علمية في مواجهة خطر التنصير على الأمة الإسلامية.

**أولاً: التحصين العقدي:**

إن أعظم ركن من أركان الإيمان في هذا الدين هو توحيد الله تعالى، وإفراده دون غيره بالعبادات والطاعات، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وهي تعتمد على الكتاب

الذي أنزله الله تعالى على رسوله ﷺ وأمره أن ينذر الناس به، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنبياء: ٤٥] ثم أن القرآن يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالسنة قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، وعن المقدام بن معدي كرب الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه، لا يوشك رجل ينثني شبعاناً على أريكته، يقول: عليكم بالقرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وما وجدتم فيه من حرام فحرموه**»[١].

ويعيش المسلمون في زمن انفتحت فيه الدنيا على مصراعيها؛ فقد تعدَّت مقولة العيش في قرية واحدة مرحلتها ثأ، وصرنا في حقيقة الأمر نعيش في عالم يجتمع في غرفة واحدة، فالقنوات الفضائية دخلت البيوت، والمواقع الإلكترونية استقطبتها أروقة الدور والعمل، فصار المرء يتلقَّى آراء عديدة، وتوجهات متغايرة، تجعله يتابعها وهو في غرفته ليل نهار.

وفي خِضَمِّ هذه التحديات، والاختلافات البينيَّة يجدر بالمرء الذي منَّ الله عليه بالإسلام، أن تكون لديه رؤية ناضجة في كيفية التعامل مع هذه التحديات، فإنَّ فيها الحق والباطل، ومواجهتنا لهذه التحديات الثقافية تتطلَّبُ منَّا قوَّة عقدية، وركائز ثابتة، تأخذنا لبرِّ الأمان، وشاطئ النجاة.

وليس من شكٍّ أنَّ الله تعالى قد منَّ علينا بنعمة عظيمة، وهي: نعمة العقل، والتي يُعرف من خلالها ـ في كثير من المسائل ـ الخير من الشر، والهدى من الضلالة، والصواب من الخطأ، بيد أنَّ الإنسان إذا استقلَّ بها وأعرض عن الوحي، فسيرتكب ما تهواه النفس، ولذا نزلت الشريعة

(١) أخرجه أحمد في مسنده، رقم (١٦٧٢٢)، الترمذي، رقم (٢٦٦٤).

الإلهية على عباد اللَّه، لتميِّز للناس ما يفيدهم ويضبط عقولهم، فتتوازن الحياة، وتنضبط المسيرة.

وقد أدرك المنصرون هذه الحقيقة، وعرفوا أن قوة الإسلام تنبع من قوة التوحيد فيه، فهو دين التوحيد الأول، وهو الدين الذي يمحي أي واسطة ـ مهما كانت ـ بين العبد وربه، وفي هذا التوحيد عزهم ورفعتهم ومنعتهم ضد التيارات القادمة من كل حدب وصوب، وهذا ما يثير حفيظة الغرب عامة، والمنصرون خاصة، ويشري (شالي تيبر) إلى عظم التوحيد عند المسلمين فيقول: «إن مركز الإبداع في الإسلام هو التوحيد، أي الشهادة بأن لا إله إلا الله، والتوحيد يعني أن الله هو الخالق أو السبب الجوهري لكل وجود ونشاط، ويؤكد أن الإنسان هو مسؤول عن تحقيق إرادة الله»[(١)].

ولذلك شكلت عقيدة التوحيد السد المنيع في اقتحام قلوب المسلمين وعقولهم، وواجهت حركات التنصير هذه العقبة الكؤود دون أن تتمكن من عبورها في معظم الأحيان، خاصة إن كان هذا التوحيد متحقق في أفعال المسلم وعقله، ومن أجل ذلك عجز الكثير من المنصرين عن دعوة المسلمين إلى الصليب، يقول (ديفيد فريزر) في ذلك: «إن المسألة الأساسية التي تواجه عملية تنصير المسلمين هي كيف يستطيع المنصر بدقة ووضوح إقناع المسلمين بوجوب الإيمان بيسوع المسيح رباً والإخلاص له»[(٢)].

وما زال علماء الإسلام في القديم والحديث يطلعون على كتب الملل ومقالاتهم، ويردّون بما يستخرجونه منها من الدلائل الإلزامية، وناهيك بمثل ابن حزم وابن تيمية في الغابرين، وبرحمة الله الهندي صاحب إظهار

(١) الزهراني، مؤتمر كلروادو، ص ٣١٧.
(٢) المصدر السابق.

الحق في المتأخرين، أرأيت لو لم يقرأ هذا الرجل كتب اليهود والنصارى، هل كان يقدر على ما قدر عليه من إلزامهم وقهرهم في المناظرة، ومن تأليف كتابه الذي أحبط دعاتَهُم في الهند وغير الهند، أرأيت لو لم يفعل ذلك هو ولا غيره أما كان يأثم هو وجميع أهل العلم، وهم يرون عوام المسلمين تأخذهم الشبهات من كل ناحية ولا يدفعونها عنهم.

ولا بد للعبد المسلم من التعلُّق باللَّه ﷻ والاستعانة والاستعاذة به وسؤاله الهداية والثبات والممات على دين الإسلام من غير تبديل ولا تغيير، ولنا في رسول الله أسوة وقدوة، فقد كان يسأل ربَّه الهداية، وكان كثيراً ما يسأله الثبات على هذا الدين، وعدم تقلُّب قلبه عن منهج الإسلام، ويستعيذ به من أن يضلَّ أو يُضلَّ، كما كان ﷺ يستعيذ من الفتن ما ظهر منها وما بطن، فالدعاء الملازم لذلك والانطراح على عتبة العبوديَّة، وملازمة القرع لأبواب السماء بـ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [آل عمران: ٨] إذا اجتمعت هذه كلَّها، فلاشكَّ أنَّ رحمته سبحانه سابقة لغضبه وعقابه، ومحال أن يتعلق العبد بربِّه حقَّ التعلُّق، ويعرض عنه الله ـ سبحانه وبحمده ـ وهو الكريم الوهاب.

والمطلوب من العلماء في هذا السبيل هو: تأكد الدعاة من هيمنة النص الصحيح على خططهم وبرامجهم، ومن صحة الوسائل التي يستخدمونها في مجابهتهم للتنصير شرعاً ومن مراعاتهم للمصالح والمفاسد المعتبرة شرعاً في أنشطتهم التي يقيمونها، انطلاقاً من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

ولا بد من بيان الانحراف العقائدي الكبير عند النصارى، خاصة عند عوام الناس وتحذيرهم من طرق وسائل المنصرين في سبيل إبعادهم عن

دينهم، وإيجاد الخلل في عقيدتهم، وليكن معلوماً عند المسلم بأن الله تعالى حافظ لهذا الدين، وأنه هو الذي ارتضاه إلى البشرية جمعاء، كما في قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، لكن هذا الدين يحتاج إلى رجال لإخراجه من بطون الكتب ودفات المراجع إلى واقع الحياة، تلك هي مسؤولية المسلمين الذين يقيمون الدين وفقاً لسنن الله تعالى، التي لا تتخلف عن التضحية، ولا تنكسر عند حدوث نكسة.

**ثانياً: بيان انحراف دين النصارى:**

لا يملك المنصرون ما يهاجمون به الإسلام إلا الاتهام غير الموضوعي، وطرح الشبهات المغرضة حول بعض القضايا الجزئية؛ ولذا فإن الداعية مطالب بالحذر من أن يكون في موقف الدفاع باستمرار، وعليه أن يسعى لإشغال القوم بأنفسهم والعمل على نقلهم من مرحلة الهجوم إلى الدفاع، ويمكن أن يتم ذلك عن طريق أمور كثيرة منها[1]:

١. إبراز العقائد الوثنية والأصول الفلسفية للديانة النصرانية المحرفة، والحديث عن نسخ الأناجيل وتناقضاتها الصارخة، وما تضمنته من نسبة ما لا يليق إلى أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام، ونرى كثيراً من النصارى قد قادهم ذلك التناقض إلى الإيمان بالإسلام، منهم الإلماني فوجل الذي قال: «كنت نصرانياً شابا ككل شباب الغرب، وكنت أدرس في الكنيسة دروساً تسمى (دروس التثبيت)، وهنا اكتشفت وجود تناقض في بعض نصوص الكتاب المقدس، فسألت عنه أحد القساوسة، فكانت إجابته صادمة لي، وهي أن هذا الكتاب محرف وفيه أشياء لم تأت من عند الله، وهنا بدأت الشك يغزو نفسي حول كل نصوص الكتاب

(١) مجلة البيان، العدد ١٥٤، ص ٨٨.

المقدس، إذ كيف يمكنه أن يميز بين ما هو من عند الله وما ليس من عنده، فدخل في مرحلة من الشك كادت تقوده إلى الإلحاد، إلى أن شرح الله صدره للإسلام».

٢. الحديث عن سلطة الكنيسة التي وصل الحال بسدنتها إلى بيع صكوك الغفران ودخول الجنة، وكانت هذه الصكوك منتشرة بصورة كبيرة بين أوساط رجال الدين النصارى في العصور الوسطى في أوروبا، وتعني أن يدفع الرجل مبلغاً من المال للكنيسة مقابل إصدار (صك) له بالمغفرة ودخول الجنة، وكانت هذه القضية سبباً رئيسياً في حدوث أكبر انشقاق عند النصارى، عندما اعترض مارتن لوثر على ذلك، وظهرت فرقة البروتستانت، كما أن للكنيسة تاريخ أسود تجاه العلم وأهله، ووقفت حجر عثرة في طريق تقدم العلم وازدهار الحضارة والكشوفات العلمية.

٣. العمل على تعرية رجالها الذين ترهبنوا ظاهراً وتجذر الفساد الأخلاقي والمالي والشذوذ الجنسي بينهم باطناً نتيجة مخالفة الفطرة والبعد عن تعاليم الله تعالى وشرعه، فعندما زار بابا الفاتيكان الولايات المتحدة عام ٢٠٠٣م لمدة ستة أيام تكلم أربع مرات خلالها عن موضوع مهم وهو أن أربعة آلاف كاهن وقسيس وكاردينال في أميركا وحدها مرغوا أنف الكنيسة في التراب بعد الاعتداء الجنسي على الأطفال فقال: «أنا أشعر من أعماقي بالعار»، ودفع الفاتيكان أكثر من ملياري دولار كتعويضات لأسر الضحايا، وذلك لأن التربية الأخلاقية سيئة لدى هؤلاء القوم وأيضا منع الكنيسة من زواج الكهنة وهذا مخالف للفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها.

٤. تجلية الاختلافات الضخمة والتناقضات الجذرية في أصول الديانة النصرانية المحرفة وثوابتها بين طوائف النصارى، ونظراً لاتباع الهوى وترك التشريع للرجال والمجامع الكنسية، ظهر التضارب في آراء الكنيسة

والانقسام في صفوفها، فما يقر في مجمع ينقض في آخر، وفي كلتا الحالتين يأخذ صفة الحكم الإلهي، وقد أدى هذا التناقض العجيب والمطرد في دين النصارى إلى ترك أكثر الأوربيين للدين واعتباره سلطة كهنوتية لإخضاع الناس لنزواتهم ورغباتهم لا أكثر.

٥. إيضاح دور البشر في تحريف الديانة النصرانية الحقة، وبخاصة ما قام به اليهود ووثنيو اليونان من أدوار مشبوهة في هذا الجانب منذ رفع سيدنا عيسى عليه السلام إلى اليوم، ولذلك فإن معظم عقائد النصارى قد أخذت من الأمم المجاورة خاصة الرومان والفرس والهند، وتسللت إليها التعاليم الوثنية والفكر الفلسفي اليوناني، وليس أدل على ذلك ما يسمى عندهم بعيد (الكرسمس)، وهو عيد روماني وثني تبنته الكنيسة وأدخالته في ديانتها وجعلت العيد الرئيس عند النصارى.

٦. الاستفادة من جهود الباحثين النصارى ذوي الشخصيات المستقلة والمنصفة قديماً وحديثاً الذين توصلوا بالبحث العلمي المتجرد إلى بطلان عقائد النصرانية المحرفة، وأثبتوا وقوع التحريف المتعمد للكتاب المقدس، ووجود تناقضات صارخة بين نسخه، وفي المقابل جزموا بصدق نبينا محمد ﷺ وصحة رسالته لما تضمنته من معجزات وبراهين لا تقبل الجحد والتكذيب، وشهدوا بسلامة القرآن من التحريف وخلوه من التناقض، ولعل من أشهر هؤلاء الشيخ أحمد ديدات الذي ألف ما يزيد عن عشرين كتابا في الرد على النصارى، وطبع الملايين منها لتوزع بالمجان بخلاف المناظرات التي طبع بعضها، وقام بإلقاء مئات المحاضرات في جميع أنحاء العالم، ونظراً لهذه المجهودات الضخمة مُنح الشيخ أحمد ديدات جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٦م وأعطي درجة (أستاذ).

٧. السعي إلى الاستفادة القصوى من كبار القساوسة وعلماء النصارى

ومثقفيهم الذين أسلموا في مقارعة المد التنصيري باعتبارهم أدرى بخباياه، وأكثر اطلاعاً على أسراره ومعرفة بمخططاته وحال رجاله.

٨. الاهتمام بالمغتربين من النصارى في ديار الإسلام، والعمل في أوساطهم، والعناية بتأهيل من أسلم منهم علمياً ودعوياً، ثم تبنيه للعمل داعية في وسط قومه إذا رجع إليهم.

٩. دعم المراكز الإسلامية في الغرب، والتي تضطلع بدور مهم في سبيل تعريف الإنسان الغربي معالم الإسلام ورسالته الخالدة، وصد نبيه ﷺ ورحمته، وقد برز دور مثل هذه المراكز كثيراً في الأزمات باعتبارها نقاط التماس الأولى بين المسلمين والإنسان الأوربي أو الأمريكي، ولا بد لتطوير مثل هذه المراكز وتزويدهم بالكفاءات البشرية العلمية، والوسائل الدعوية على اختلاف أنواعها، فإن ذلك يعزز مكانتها في المجتمع الغربي، ويعطي لها زخماً مهماً في الدعوة إلى الله.

١٠. إعداد الدعاة وتدريبهم على الدعوة للنصرانية باعتبارها من أكبر الأديان السماوية على في العالم، والاستفادة من وسائل التدريب والتربية الحديثة التي سبقنا إليها المنصرون، ولاستكمال هذه المهمة لا بد من إنشاء المعاهد والمراكز المتخصصة في هذا الجانب، وهي مهمة في إعداد من العلماء قادر على مقارعة التنصير ودفع خطره عن ديار المسلمين.

وعند النجاح في مثل هذه الأمور يكون الدعاة قد استطاعوا أن ينقلوا المواجهة إلى داخل معسكر المنصرين؛ ويجعلوا جهد القوم الأكبر منصبّاً على معالجة إشكالات الذات، وهذا بلا شك سيخفف من حدة النشاط التنصيري في أوساط المسلمين، وسينقل القوم من مرحلة الهجوم إلى الدفاع، وهذا إنجاز كبير ومرحلة متقدمة في النزال.

**ثالثاً: المؤسسات الإسلامية:**

لا بد أن يكون للمؤسسات الإسلامية العلمية والإغاثية على حد سواء دور ريادي في الوقوف بوجه النشاط التنصيري في البلدان الإسلامية بوجه عام، وفي العالم بوجه عام، إذ لا توجد قوة روحية ممكن أن تقف نداً للنصرانية ـ بإمكانياتها المادية الهائلة ـ سوى الإسلام، وقد حذر أكثر من منصر ومستشرق من ذلك من ذلك ما قاله بروكلمان: «إن الإسلام كما انبسط في العصور الوسطى، أقام سدا في وجه انتشار النصرانية ثم امتد حتى إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانها».

ولهذا على المؤسسات الإسلامية أن تأخذ على عاتقها مواجهة التنصير بمختلف الوسائل المتاحة، خاصة وإن عقيدتهم واهية ودينهم على شفا جرف هار، فلا يحتاج إلا إلى جهد مؤسسي قائم على الخبرات البشرية والكفاءات المادية، ولذا فإننا يمكن أن نقسم هذه المؤسسات إلى قسمين:

أ. المؤسسات العلمية: ونعني بها الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات ذات العلاقة بالدعوة إلى الله، فعليها أن تخصص جانباً مهماً من جوانب دراساتها حول التنصير وسبل مواجهته، ولا يوجد ـ حسب علمي ـ أي مركز متخصص في رصد ودراسة التنصير في العالم الإسلامي، وكل المحاولات التي جرت وتجري ما هي إلا عبارة عن محاولات فردية تنبع من حرص بعض العلماء وطلبة العلم على متابعة ظاهرة التنصير في العالم الإسلامي، كما أن عدد الدراسات والبحوث الأكاديمية لا ترتقي إلى مستوى الخطر الكامن في التنصير، فلا يوجد على سبيل المثال أي دراسة أكاديمية علمية أو ميدانية لحركة التنصير في اليمن، وكذلك الأمر بالنسبة للعراق والصومال وغيرها من الدول.

وقد بدأت بعض الجامعات العربية والإسلامية بداية خجولة في رصد

حركة التنصير في العالم الإسلامي منذ ثلاثة عقود تقريباً، وهي مدة زمنية قصيرة مقارنة بأكثر من قرنين من التنصير والتغريب الذي أصبح يشكل خطراً مفصلياً في كل مرافق حياتنا ومجتمعاتنا.

**أما عن دور المؤسسات العلمية فيمكن الإشارة إلى أهم هذه النشاطات:**

١. إلقاء المحاضرات منظمة عن الإسلام، وزيادة التوعية بين المسلمين بفضائل هذا الدين، وبيان انحرافات الأديان السابقة، خاصة اليهودية والنصرانية، ويفضل أن تكون هذه المحاضرات بصورة منظمة ومبرمجة، وبتعاون أكبر عدد ممكن من الدعاة والعلماء، ولا بأس من الانتقال بين الدول في سبيل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من الجمهور.

٢. عقد الندوات العلمية التي توضح وسائل التنصير الظاهرة والخفية، كما يتم من خلال هذه الندوات مناقشة القضايا التي تهم الناس وتمس حياتهم، خاصة في قضايا الغزو الفكري وتهديد الهوية الإسلامية.

٣. انتقاء بعض الكتب والمحاضرات الصوتية أو المرئية لبعض العلماء المتخصصين بجانب التنصير وبيان خطره ومخاطره على المجتمع، ويفضل أن يتم توزيع هذه الكتب والمحاضرات على الطلبة في المدارس أو التجمعات النسائية أو العمال في المصانع، وتعطى أهمية أكبر وأكثر للعملين في الشركات الأجنبية داخل البلاد أو للمسافرين من المسلمين للدول الأوربية.

٤. توظيف المنسبات الإسلامية مثل: رمضان والحج والأعياد لتعريف غير المسلمين بالإسلام بصورة سمحة يسيرة، وكذلك عمل برامج وثائقية وتسجيلية لسيرة النبي ﷺ وتوزيعها مجاناً لغير المسلمين من أجل إزاحة الشبهات التي تقف على أنظارهم ضد الإسلام بسبب مغالطات المنصرين.

٥. متابعة وسائل الإعلام الغربية وتحري ما تكتبه عن الإسلام، ومحاولة إيجاد بعض المتخصصين في الإعلام الغربي للرد عليهم وتوضيح ما يثار من شبهات ضد الإسلام أو القرآن أو رسوله عليه الصلاة والسلام.

٦. إنشاء صحف ومجالات إسلامية دعوية موجه لغير المسلمين، وتوزع بصورة مجانية في المطارات أو توضع في سفارات الدول الإسلامية في البلدان الغربية لإهدائها لمن يريد، فإن كثيراً من النصارى لا يعرف عن الإسلام إلا الصورة المشوهة التي وضعتها الكنيسة في عقولهم، وواجب على المسلمين تبليغ دينهم إلى غير المسلمين لما فيه من خير وفلاح.

٧. الاستفادة من وسائل الإعلام الحديثة، خاصة القنوات الفضائية والانترنيت في إيصال الإسلام إلى الغرب، ويكون ذلك عبر عمل مؤسسي علمي مبني على الاعتدال والحنيفية السمحة، ذلك أن النظرة في الغرب على الإسلام والمسلمين أنه دين عنف وإرهاب، ولا يكون التغيير الإيجابي إلا وفق منهج علمي يراعي الثقافة الأوربية، ويحاول أن يصل إليها بأقرب طريق.

٨. عقد المؤتمرات العلمية للمتخصصين في مجال الدعوة ومقاومة التنصير بصورة دورية ومنتظمة، ويجب أن تكون برعاية مؤسسة علمية لها المقدرة على إدارة مثل هذه المؤتمرات، كإحدى الجامعات الإسلامية، أو منظمة المؤتمر الإسلامي، أو الندوة العالمية للشباب، أو غيرها من القنوات العلمية.

وخلاصة القول إن المؤسسات العلمية والتعليمية من مراكز وجمعيات وجامعات في العالم الإسلامي تملك القدرات العلمية والبشرية لترجمة الكتب النافعة والرسائل الموجزة ونشرها بين الأقليات المسلمة وبين

المسلمين عمومًا ممن لا يتحدثون اللغة العربية، كما تملك القدرة على تكليف من يجيدون اللغات بالترجمة والتحفيز عليها، كأن تكون حافزًا للترقية في الجامعات مثلاً. كما يطلب من هذه المؤسسات القيام بترجمة بعض ما ينشر من مؤتمرات المنصرين ووقائع لقاءاتهم وجهودهم في حملاتهم، وذلك رغبة في إطلاع الأمة على ما يراد بها.

ب. مؤسسات الإغاثة: من متطلبات الرعاية الأمريكية للتنصير: مُحاولة إزالة العوائق من أمامه، ومن أهمها (العمل الخيري الإسلامي)، وإذا كان التنصير قد اعتمد التغلغلَ السلميَّ كإستراتيجية أساسية تجاه العالم الإسلامي، وكانت المنظمات الإغاثيَّة هي أداته؛ فمن المنطقي أن يكون العمل الخيري الإسلامي هو أول مَن تسعى مُنظمات التنصير لإزالته من طريقها، خاصَّة مع تنامي دور المؤسسات الخيرية الإسلاميَّة، وساعدها على ذلك أن حوالي ٧٠٪ من مناطق الكوارث هي مناطق يقطنها مُسلمون مع الأسف، ومن الطبيعي أنَّ أهالي تلك المناطق المنكوبة يسارعون إلى مَن يشاركونهم في العقيدة والفكر، ويشعرون أنهم لا يمنُّون عليهم بقدر ما يقدمون لهم حقهم الذي نصَّت عليه شريعة الإسلام التي يؤمنون بها، والمُشكلة التي تسببها المؤسسات الخيرية الإسلامية للمنصرين: أنَّها لم تعد تنتشر فقط في المناطق الإسلاميَّة لتواجه خطر التنصير؛ لكنَّها أصبحت تنتشر في مناطق الفراغ العقدي ومعاقل النصرانيَّة في الدول الغربية، وأصبحتْ أهم وسائل الدَّعوة إلى الإسلام؛ لذلك كانت حركة التنصير هي أكبر المحرضين ضد العمل الخيري الإسلامي، بهدف إزالته من طرقها، ثُمَّ الانتشار في الفراغ الذي سيسببه غياب مُؤسسات الخير الإسلامية، ويشير إلى ذلك الباحث محمد النجار، الخبير بمركز الخليج للدراسات الاستراتيجيَّة خلال ندوة (مستقبل مؤسسات العمل الخيري الخليجي في ضوء الاتهام الأمريكي لها بتمويل الإرهاب)؛ حيث قال: «إن الحملة الأمريكية على هذه الجمعيات ترغب

في القضاء على المكون الديني لها، وإفساح الطريق أمام جمعيات تنصيرية غربية لتَحُلَّ محلها، خصوصًا في أفغانستان والبوسنة»[١]، وقد نجحت مؤسسات العمل الخيري الإسلامي في تحقيق الوَحدة بين المسلمين على مستوى العالم؛ حيث أشاعت روحًا من التكافُل الاجتماعي، وهذا مما يتعارض مع الاستراتيجية الأمريكية الثابتة تجاه المسلمين بمنع أيِّ تَحالفات بينهم، والإصرار على تفكيك الدول الإسلامية، وبذر الخلافات بينها.

ولذلك تقع على المنظمات الخيرية الإسلامية مسؤولية مضاعفة وجهد استثنائي في الوصول إلى كل من يمد يد الحاجة والفقر والألم من المسلمين، ورغم أن هذه المنظمات لا يمكن بأي حال من الأحوال مقارنتها من حيث الإمكانيات المادية والبشرية بمنظمات التنصير العاملة في مختلف أرجاء العالم إلا أنها عليها أن لا تترك الساحة لهم يسرحون فيها ويمرحون، بل عليها أن تبذل الجهد وتحاول الوصول إلى مناطق الكوارث والأزمات قبل أن تصل إليه يد المنصر، خاصة إن كان المكان في بلد إسلامي أو من تضرر فيه هو من المسلمين.

وقد حاول المنصر جهد المستطاع من تشويه صورة الإسلام كدين تكافل اجتماعي ودين حث على الصدقة والإطعام، وها هو (كرومر) ينفث في روع المنصرين: «إن الإسلام ناجح كعقيدة ودين، ولكنَّه فشل كنظام اجتماعي»[٢]، ونسى هذا المستشرق وغيره ممن يحاولون تشويه الإسلام أن الزكاة في هذا الدين هي ركن أساسي من أركانه، وهي تؤخذ من أغنيائه وترد لفقرائه، وكذلك نسي أن الإسلام حث على إغاثة اللهفان ومساعدة المضطر حتى لو كان كلباً أو قطة، فكيف بأخوته في الدين والعقيدة.

---

(١) مجلة البيان، العدد ٢٦٦، ص ٤٤.

(٢) محمد محمد حسين، الاتجاهات المعاصرة في الأدب العربي، ص ٢٤٠.

كما أن على الحكومات الإسلامية مسؤولية عظيمة في رعاية مثل هذه المؤسسات وتقديم الدعم المادي لها، وتوفير الغطاء السياسي والحماية لأعضائها وأن لا ينجروا خلف دعوات الغرب المدفوع برغبة المنصرين بتحجيم نفوذ هذه الجمعيات بحجة مكافحة (الإرهاب) والحرص على عدم وصول الأموال للمتطرفين، إذ أن الغالب في عمل هذه المنظمات هي مساعدة المسلمين، وإن كان هناك بعض الأموال التي وصلت إلى (الإرهابيين) فعن طريق الخطأ وبشكل غير مقصود، فلا يجب تعميم الحالة وتحجيم العمل الإغاثي الإسلامي، بل يجب وضع ضوابط له تتناسب مع سياسيات الدول الإسلامية لا مع سياسة الدول الغربية والمنصرين.

والمطلوب من المؤسسات الخيرية الإسلامية تكثيف أعمالها وتعددها النوعي وليس بالضرورة الكمي، وأظن هذا التعدد ظاهرة صحية، إذا ما روعيت فيها الدقة والأمانة والإخلاص في العمل والصواب فيه، والبعد عن القضايا الجانبية التي تضر بالعمل ولا تعين عليه، كما أن التنسيق مطلب جوهري وملح بين الهيئات، فالغرض هو الوصول إلى المنكوبين، والهدف الأسمى من هذا كله هو تحقيق حمل الأمانة التي أراد الله تعالى لهذا الإنسان أن يحملها.

**رابعاً: الحوار مع النصارى:**

لقد راع الكنائس الغربية في العصر الحديث انفتاح شعوبها على الإسلام، واعتناق ألوف منهم إياه؛ بعدما أتيح لهم سماع كلمة الحق بشكل أفضل من ذي قبل حين كانت الكنيسة تغذي رعاياها بمعلومات مغلوطة منفرة عن الإسلام، ونبيه ﷺ، وكتابه وتاريخه، فحين انفتح الناس بعضهم على بعض؛ خطف بريق الإسلام أبصار الغربيين الذين تحرروا من هيمنة الكنيسة، واعتمدوا التفكير المنطقي الحر، فرأت

المراجع الكنسية أن لا جدوى من المجابهة؛ فهي أضعف من أن تقف أمام متانة العقيدة الإسلامية وإحكام شريعتها، بل إن التحدي سيُكسب الإسلام مزيداً من الأنصار، ومن ثم تفتقت عقولهم عن فكرة (التقريب والحوار) للظهور أمام مواطنيهم بمظهر التآلف لا الندّية، والوفاق لا المجابهة، والحوار لا القطيعة؛ وبذلك يطفؤون روح التشوّف لدى رعاياهم، ويقرون في قلوبهم أن الفروق بين الأديان فروق شكلية، وكلها تؤدي إلى الله، فلا حاجة إلى تجشم عناء التغيير. وقد أفصح عن هذا الباعث الخفي القس «أريا راجا» حين قال: «تواجه الكنيسة اليوم واقعاً يتسم بالجدة؛ ففي الماضي كانت العلاقة بالأديان الأخرى تساعد الكنيسة على إغناء ذاتها وتطوير إيمانها[1]».

والإسلام بصفته الدين الخاتم لا يلغي صفة الحوار بين الآخر، بل هو يحث عليها وفقاً لضوابط شرعية نابعة من أن العقيدة الإسلامية هي التي يجب أن تسود، وأن ما بقي من أديان سماوية قد أصابها الكثير من الانحراف والتضليل، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

ولا ريب أن الباعث التنصيري يحتل موقعاً مميزاً في الديانة النصرانية، وحين تبنى النصارى خيار الحوار؛ لم يكن ذلك تخلياً منهم عن وظيفتهم العتيقة، ففي الدستور الرعوي (الكنيسة في عالم اليوم) الصادر عن المجمع الفاتيكاني الثاني؛ جــاء ما يلـي: «تبدو الكنيسة رمز هذه الإخوة التي تنتج الحوار الصادق وتشجعه، وذلك بفعل رسالتها التي تهدف إلى إنارة المسكونة كلها بنور البشارة الإنجيلية».

---

(١) د. أحمد عبد الرحمن القاضي، الحوار الإسلامي النصراني، مجلة البيان، العدد ١٨٤.

ولا بد من قيام جهة علمية برسم طريقة للحوار مع النصارى في مجالات العقيدة. ومع أن هذا الموضوع غير مرغوب فيه لدى بعض المهتمين، إلا أنه عند الاستعداد لـه بالعلم الشرعي وبالعلم بالملل والنحل، والنصرانية بخاصة، قد يدخل في دعوة القرآن الكريم إلى أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم، وهذا ما يعمل على تحقيقه الداعية المسلم أحمد ديدات/ في محاوراته مع النصارى، وفي دعوته المسلمين إلى التحاور معهم من منطلق القوة والعلو بالإيمان،وليس من منطلق الاستجداء والمواقف الدفاعية والتبريرية والاعـــتذارية.

وهناك نماذج أخرى من الدعاة دخلت حوارات مع الآخرين هي في مجملها موفقة، مع أنها لا تخلو من ملحوظات شأنها شأن كل أعمال بني آدم، وقد بدا على بعضها قدر من الدفاعية والتسويغية والاعتذارية، وهذه الخصال هي التي يخشاها فريق من المسلمين، لما يرون فيها من الهوان والتهوين والانجرار إلى المحذور من الوقوع في شرك القوم، وهذا يصدق على أولئك الذين يتصدون لهذا الأمر دون أن يعدوا لـه عدته، فيقعون في المحذور الذي دعا لـه أحد الباحثين النصارى، وهو الأستاذ (ديون كراوفورد) في تقرير نشرته مجلة الحوادث الإفريقية جاء فيه: «إن المسلمين يسيئون فهم النصرانية، كما أن النصارى جهلة بعقيدة المسلمين، ولا ينبغي أن نواجه المسلمين بتحاملات غير موثقة، بل بمعرفة عميـقة بحقائق دينهم، ولذلك يجب العمل على تعليم القساوسة وغيرهم حتى يتمكنوا من العمل في مناطق المسلمين، ويتعين على النصارى والمسلمين أن يدخلوا في حوار لا يؤدي إلى مواجهة وجدل، وإنما إلى فهم كلٍ منهم لدين الآخر»[1].

(١) التبشير مفهومه وأهدافه، ص ٨٨.

ويجب أن يكون الحوار مع النصارى حوار الدعوة: وهو وظيفة المرسلين، وخلفائهم من العلماء الربانيين، والدعاة الناصحين، وهو مشروع الأمة الإسلامية، وعنوان خيريتها على سائر الأمم، وأسلوبه هو ما دل عليه عموم قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥] وخصوص قوله ﷻ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦﴾ [العنكبوت: ٤٦] وترجمته العملية سيرته ﷺ في دعوة أهل الكتاب؛ من يهود المدينة، ونصارى نجران، ومكاتباته لملوك الأرض، ثم طريقة السابقين الأولين من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، كمحاورة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وأصحابه للنجاشي وبطارقته، وهدي الصحابة رضوان الله عليهم في معاملة أهل البلاد المفتوحة، ولعل أبرز خصائص هذا الحوار ما يلي[١]:

١. مبادأة أهل الكتاب بالدعوة الصريحة إلى الإسلام، وعدم الاشتغال بأمور أخرى تصرف عن ذلك، أو توهنه، أو تؤجله.

٢. مجادلتهم بالتي هي أحسن في القضايا العقدية الفاصلة، ومحاجتهم، ومناظرتهم، لدحض شبهاتهم، ونقض حججهم، بأسلوب علمي رفيع، ثم مباهلتهم إن لزم الأمر.

٣. أخذ زمام المبادرة في دعوتهم، كما يدل عليه قوله: ﴿تَعَالَوۡاْ﴾ [آل عمران: ٦١] باستضافتهم في دار المسلمين، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم وبيوتهم لدعوتهم، وكل ذلك ثابت من هدي النبي ﷺ.

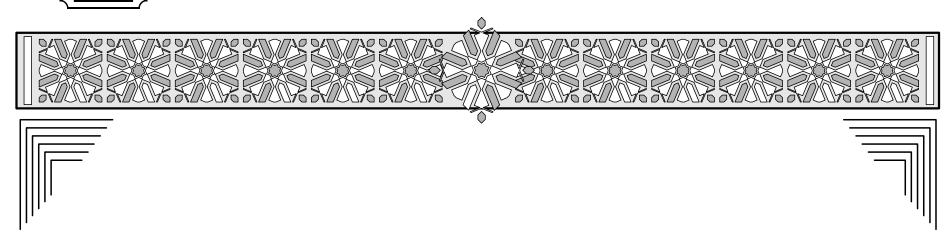
٤. تألفهم بالقول الحسن، كمناداتهم بم يليق بهم من ألقاب حق، وتحيتهم تحية مناسبة، كقوله ﷺ: «**إلى هرقل عظيم الروم، سلام على**

(١) د. أحمد عبد الرحمن القاضي، الحوار الإسلامي النصراني، مجلة البيان، العدد ١٨٤.

**من اتبع الهدى**»، وبالفعل الحسن، كعيادة مريضهم، وتمكينهم من الصلاة في المسجد لعارض، وإكرام وفدهم، تأسياً بالنبي ﷺ.

وأي حوار لا يقوم على مبدأ الندية عند المواجهة، لا يمكن أن يسمى حوارًا، وهذا القول إنما يقوم على تأييد فريق من المسلمين الذين يفضلون عدم الدخول في حوارات مع النصارى وغيرهم، مادامت النية مبيتة من قبل، وما دامت الفوقية والدونية تهيمن على أجواء الحوار، ومع هذا كله فقد قام حوار من قبل، ويقوم حوار الآن، وسيقوم حوار ـ إن شاء الله ـ من بعد، مما يؤكد على أنّ الحوار أسلوب مهم جدًا من أساليب المواجهة، لاسيما مع توافر اليقين بأن البديل الإسلامي هو الذي مع الحق، وأن معظم الناس ينشدون الحق.





# الخاتمة

لقد كان للمد الاستعماري في العالم الإسلامي دورٌ كبيرٌ في تحديد طبيعة النظرة الأوروبية إلى الشرق وخصوصاً بعد منتصف القرن التاسع عشر، وقد أفاد الاستعمار من التراث الاستشراقي والجهد التنصيري في معظم عملايته السياسية والاقتصادية على أرض المسلمين، ومن ناحية أخرى كان للسيطرة الغربية على الشرق دورها في تعزيز موقف الاستشراق، وزرع المؤسسات التنصيرية ـ خاصة التعليمية منها ـ في قلب العالم الإسلامي، وتواكبت مرحلة التقدم الضخم في مؤسسات الاستشراق والتنصير مع مرحلة التوسع الأوروبي في الشرق.

وقد شهد القرن التاسع عشر استيلاء المستعمرين الغربيين على مناطق شاسعة من العالم الإسلامي، ففي عام ١٨٥٧ م تم استيلاء الإنجليز سياسياً على الهند، وأصبحت الهند بذلك تابعة للتاج البريطاني رسمياً، بعد أن كانت حتى ذلك الحين واقعة تحت نفوذ شركة الهند الشرقية منذ القرن السابع عشر وفي عام ١٨٥٧م أيضاً تم استيلاء فرنسا على الجزائر كلها بعد كان الفرنسيون قد بدؤوا غزوها عام ١٨٣٠م. كما احتلت هولندا قبل ذلك ـ في بداية القرن السابع عشر ـ جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) عن طريق شركة الهند الهولندية. وبعد عام ١٨٨١م تم احتلال مصر وتونس. وظل الاستعمار يقوم بتقطيع أوصال البلاد الإسلامية شيئاً فشيئاً ويضعها تحت سيادته حتى استطاع في النهاية أن يطوق العالم الإسلامي من الشرق والغرب. وبعد الحرب العالمية الأولى كان العالم

الإسلامي كله تقريباً خاضعاً لنفوذ الاستعمار الغربي.

أما فيما يخص الدعامة الأولى من دعائم هذا الغزو، ونعني به الاستشراق، فقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين، وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الاستشراق والاستعمار، وانساق في هذا التيار، عدد من المستشرقين ارتضوا لأنفسهم أن يكون علمهم وسيلة لإذلال المسلمين وإضعاف شأن الإسلام وقيمه، وهذا عمل يشعر إزاءه المستشرقون المنصفون بالخجل والمرارة، وفي ذلك يقول المستشرق الألماني المعاصر (استفان فيلد): «والأقبح من ذلك أنه توجد جماعة يسمون أنفسهم مستشرقين سخروا معلوماتهم عن الإسلام وتاريخه في سبيل مكافحة الإسلام والمسلمين. وهذا واقع مؤلم لا بد أن يعترف به المستشرقون المخلصون لرسالتهم بكل صراحة».

والوقع أن رجال السياسة في الغرب على صلة وثيقة بأساتذة هذه الكليات (كليات اللغات الشرقية في أوروبا) وإلى آرائهم يرجعون قبل أن يتخذوا القرارات الهامة في الشؤون السياسية الخاصة بالأمم العربية والإسلامية، وقد سمعت أحد كبار المستشرقين يتحدث أمامي فيذكر أن مستر (إيدن) كان قبل أن يضع قراراً سياسياً في شؤون الشرق الأوسط يجمع المستشرقين المستعربين، ويستمع إلى آرائهم، ثم يقرر ما يقرر في ضوء ما يسمعه منهم، هذا إلى أن بعضهم كان يؤسس صلات صداقة بالبارزين من رجال الأمة العربية ويتخذ من هذه الصلات ستاراً يقوم من ورائه بأعمال التجسس في أثناء الحرب.

والاستعمار في حقيقة أمره هو امتداد للحروب الصليبية التي كانت في ظاهرها حروباً دينية، وفي باطنها حروباً استعمارية، وقد كانت العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام حلماً ظل يراود الغربيين منذ

هزيمة الصليبيين، فاتجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ليتعرفوا على مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى موطن الضعف فيغتنموه.

ولم تكن علاقة الاستشراق بالاستعمار ـ كما يظن ـ هي مجرد إضفاء طابع التبرير العقلي على المبدأ الاستعماري، بل كان الأمر ـ كما يقوله إدوارد سعيد ـ أبعد من ذلك وأعمق، فالتبرير الاستشراقي للسيادة الاستعمارية قد تم قبل حدوث السيطرة الاستعمارية على الشرق، وليس بعد حدوثها، فقد كان التراث الاستشراقي بمثابة دليل للاستعمار في شعاب الشرق وأوديته من أجل فرض السيطرة على الشرق وإخضاع شعوبه وإذلالها.

وهكذا اتجه الاستشراق المتعاون مع الاستعمار ـ بعد الاستيلاء العسكري والسياسي على بلاد المسلمين ـ إلى إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوس المسلمين وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وتراثهم، حتى يتم للاستعمار في النهاية إخضاعاً تاماً للحضارة والثقافة الغربية.

ولم ينتهِ الاستشراق مع نهاية الاستعمار ـ كما قد يتوهم البعض ـ وإنما تحولت مراكز الاستشراق في العالم الغربي لمراكز بحوث ودراسات (شرق أوسطية) أو (شمال أفريقية) على اختلاف التسميات، وعدت هذه المراكز هي الخليفة الشرعية للاستشراق الغربي، نظراً للنظرة السلبية التي رافقت عمل المستشرق في العالم الإسلامي، فحاول الغربيون إيجاد مسميات جديدة للعمل تحتها

اليوم يطلب الأساتذة في الجامعات الغربية أن تكون الأبحاث في الجامعات عن الحركة الإسلامية المعاصرة، عن الأفكار الجديدة والمؤثرة على الشباب في العالم، وعن الإقليات الإسلامية في أوروبا أو الإقليات غير المسلمة في البلاد الإسلامية؛ ولذلك الأولى بنا أن نعلم

أن الاستشراق ليس تاريخاً ماضياً، ولكنه أيضاً سياسة قائمة يومية متجددة، تعتمد عليها الدول الغربية كثيراً في اتخاذ وصياغة القرارات الخاصة بعالمنا الإسلامي.

أما التنصير فهو عبارة عن الوجه الآخر والعملي للاستعمار الأوربي الذي بدأ قبل قرنين من الزمان ولازال فاعلاً مؤثلاً في ثقافتنا ولقد عَدَلَ النصارى الصليبيون عن مواجهة الإسلام، أو الاصطدام بالمسلمين لأن الغلبة في النهاية تكون من نصيب المسلمين؛ فالأمة الإسلامية قد تمرض ولكنها لا تموت، وتغفو ولكنها لا تنام، والمسلمون قد يهزمون ولكنهم لا يبادون أو يسحقون، ومهما كانت الحروب معهم أعني المسلمين سجالاً فالغلبة لهم في النهاية متى جعلوا نصرة الله نصب أعينهم وهدفهم المنشود، وما أن يُخلِص المسلمون في عودتهم إلى دينهم حتى يصبحوا قوة لا تقهر، ولقد عرف النصارى الصليبيون هذه الحقيقة، وأكدها لهم لويس التاسع ملك فرنسا بعد أن هزمه المسلمون شر هزيمة، وأسروه في موقعة المنصورة بمصر، ثم خرج صاغراً من أسره، وكتب وصيته الشهيرة والتي عُرفت بوصية القديس لويس ليؤكد فيها أن المسلمين لا تهزمهم الجيوش مهما كانت، وعلى الغرب الصليبي أن يتخلى عن استخدام أسلوب الحروب المادية، وأن يستبدلها بالحروب الثقافية الفكرية، وكانت وصيته تلك بمثابة إعلان عن أن الصراع بين المسلمين والنصارى بدأ يأخذ شكلاً جديداً، فاستُبدلت الحروب المادية بأخرى فكرية ثقافية، وإن لم يخلُ الأمر من صِدام مادي وقتال دموي على طول محطات التاريخ.

ويسعى المخطط التنصيري إلى تحقيق مجموعة من الأهداف في البلاد الإسلامية؛ فالمنصِّرون يعتبرون الإسلام هو الدين الوحيد الخطر عليهم؛ فهم لا يخشون البوذية ولا الهندوكية ولا اليهودية؛ إذ إنها جميعاً

ديانات قومية لا تريد الامتداد خارج أقوامها وأهلها، وهي في الوقت نفسه أقل من النصرانية رقيّاً، أما الإسلام فهو كما يسمونه دين متحرك زاحف يمتد بنفسه وبلا أية قوة تساعده، وهذا هو الخطر فيه كما يقولون ومن هنا نجد أن للتنصير أهدافاً متنوعة، منها ما هو تقليدي، ومنها ما هو غير تقليدي، ومن هذه الأهداف ما هو ظاهر جليّ، ومنها ما هو باطني خفيّ، بل إن للتنصير أهدافاً بالغة الخطورة على الإسلام وعلى المسلمين، ورغم ذلك يكاد أن لا يشعر بها أحدٌ من المسلمين. ويمكن تركيز أهداف التنصير في ثلاثة أهداف متدرجة كما يلي:

١. إخراج المسلمين من الإسلام، والتشكيك فيه، وفي سيرة رسوله ﷺ، وتزييف مفاهيمه، وهدم عقيدته

٢. الحيلولة دون انتشار الإسلام، ومحاولة تشويه صورته في العالم بمختلف الوسائل والإمكانيات المتاحة.

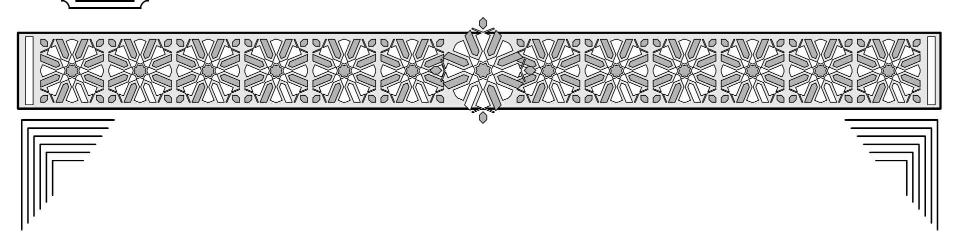
٣. التمهيد لإخضاع العالم الإسلامي سياسياً واقتصادياً وثقافياً لسيطرة النفوذ الغربي وتهيئة الأجواء لقبول ما يسمى بـ (العولمة)

ولقد أخذت أعمال التنصير في السنوات الأخيرة أشكالاً جديدة، واخترع المنصرون وسائل حديثة لتنصير المسلمين أكثر خفاءاً وأعمق تأثيراً وأشد مكراً وخداعاً من الوسائل التقليدية المعهودة، وبذلوا لذلك جهودهم لاستحداث وسائل جديدة للتنصير، مما لا يجعل من المبالغة أن أقول: إن المنصرين استفتحوا على المسلمين كل باب، وأتوهم من طرق شتى تكاد لا تخطر على المسلمين ببال سواء كانت طرقاً ذات طابع سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي، أو غير ذلك، وأصبح التنصير اليوم يتكئ على هذه الوسائل الحديثة فضلاً عن القديمة.

ولذلك لا بد أن تكون للمسلمين رؤية واضحة لتأصيل وسائل مناسبة وفعالة للوقوف بوجه الحملة التنصيرية الشرسة التي تتعرض لها بلدان

العالم الإسلامي، من خلال الاطلاع على مخططات المنصرين وإعداد السبل المناسبة للرد عليها، ولا بد أن تعتمد هذه السبل على مقومات علمية وكفاءات بشرية قادرة على مقارعة جيوش المنصرين التي تتفوق على المسلمين كمًّاً وكيفاً، ومع ذلك فإن الثقة بالله تعالى يجب أن تكون مطلقة، وأن الله تعالى مظهر دينه على الناس كافة، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





# قائمة المصادر

١. أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني (الطبعة الخامسة، دمشق، دار القلم، ١٩٨٦م).

٢. الإذاعات التنصيرية الموجة إلى المسلمين العرب، د. أكرم شلبي، (مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٩١م).

٣. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، تأليف: على محمد جريشه، محمد شريف الزيبق (دار الاعتصام، ١٩٧٩).

٤. الاستشراق، د. إدوارد سعيد، (مكتبة ديوان العرب، بيروت، لا. ت).

٥. الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، د. إسماعيل محمد علي (الطبعة الثالثة، القاهرة، ٢٠٠٠م).

٦. الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السامرائي (الرياض، دار الرفاعي، ١٩٨٣).

٧. الاستشراق في الأدبيات العربية، د. علي النملة (الرياض، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، ١٩٩٣م).

٨. الاستشراق في الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد عبد الله الشرقاوي (القاهرة، بدون تاريخ).

٩. الاستشراق والتبشير: قراءة تاريخية موجزة، محمد السيد الجليند (القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٩).

١٠. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، محمود حمدي زقزوق، (سلسلة كتاب الأمة، ع ٥، الدوحة، قطر، ١٤٠٤هـ (.

١١. الاستشراق والدراسات الإسلامية، د. عبد القاهر داود عبد الله العاني (دار الفرقان، عمّان، ٢٠٠٠م).

١٢. الاستشراق والمرأة المسلمة، د. فاطمة هدى نجا، (دار الإيمان، بدون تاريخ).

١٣. الاستشراق والمستشرقون: وجهة نظر دنان محمد وزان (سلسلة دعوة الحق (٢٤)، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي، ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م).

١٤. الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، د. مصطفى السباعي (دار الوراق/المكتب الإسلامي، بلا تاريخ).

١٥. الاستشراق ومشكلات الحضارة، د. عفاف صبرة (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥).

١٦. الإسلام في تصورات الغرب، محمود حمدي زقزوق (مكتبة وهبه ١٩٨٧).

١٧. الإسلام والمستشرقون، د. عبد الجليل شلبي (مطبوعات الشعب، بلا تاريخ).

١٨. الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين، د. عبد الرحمن عميرة (دار الدليل، بيروت، بدون تاريخ).

١٩. الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب (دار الشروق، الطبعة التاسعة، ١٤٠٨/١٩٨٨م).

٢٠. البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، سعدي ياسين (المكتب الإسلامي، دمشق، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٢١. تاريخ حركة الاستشراق، يوهان فوك، ترجمة عمر لطفي العالم، (دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، ٢٠٠٠م).

٢٢. تاريخ علم الرياضيات عند العرب، خضير عباس المنشداوي، إطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، ١٩٩٠م.

٢٣. التبشير والاستعمار، مصطفى الخالدي وعمر فروخ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٣.

٢٤. التنصير (خطة لغزو العالم الإسلامي) الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التنصيري الذي عقد في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٨م ونشرته دار مارك (Mark) بعنوان (The Gospel and Islam).

٢٥. التنصير الأمريكي في بلاد الشام (١٨٣٤ ـ ١٩١٤م) د. عبد الرزاق عبد الرزاق عيسى، (مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٤م).

٢٦. التنصير في الخليج العربي، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، (الدار العربية للموسوعات، ط٣، الرياض، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م).

٢٧. التنصير مفهومه وأهدافه، د. علي النملة (كتاب الكتروني منشور على شبكة الانترنيت).

٢٨. التنصير واستراتيجية الانتشار في الفراغ، مجلة البيان، العدد ٢٦٦ (شوال ١٤٣٠هـ).

٢٩. التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، عبد العزيز الكحلوت، (منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس/ ليبيا، ١٩٩٢م).

٣٠. الحضارة العربية، جاك ريسلر، ترجمة: غنيم عبدون (دار الكتب المصرية للترجمة والتأليف، بلا تاريخ).

٣١. حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبد الوهاب (مكتبة وهبة، ١٤٠١/ ١٩٨١م).

٣٢. دائرة المعارف الإسلامية أضاليل وأباطيل، د. إبراهيم عوض (مكتبة البلد الأمين، القاهرة، ١٩٩٨م).

٣٣. الدراسات الاستشراقية في ضوء العقيدة الإسلامية، زيد بن أحمد العبلان، رسالة ماجستير، إشراف صابر طعيمة، (الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ١٩٨٦).

٣٤. الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، تأليف رودي بارت، ترجمة مصطفى ماهر (القاهرة، بدون تاريخ).

٣٥. رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، أحمد شاكر (الهيئة المصرية للكتاب، بدون تاريخ).

٣٦. الزحف إلى مكة، حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي، د. عبد الودود شلبي (دار الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م).

٣٧. سير أعلام النبلاء، الذهبي، أبو عبد الله محمد بن عثمان بن قيماز الدمشقي الشافعي تحقيق: شعيب الأرناؤوط، محمد العرقسوسي (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م).

٣٨. شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه، ترجمة: فتروق بيضون وكمال دسوقي (بيروت، ط٢، ١٩٦٩).

٣٩. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: عبد الفؤاد عبد الباقي (بيروت، بلا تاريخ)

٤٠. العلاقة بين التنصير والاستشراق، د. حسن محمد غالب (القاهرة، بلا تاريخ).

٤١. الغارة على الأسرة المسلمة، عبد القادر أحمد عبد القادر

(المختار الإسلامي، بدون مكان أو تاريخ).

٤٢. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي (مكتبة وهبة، بلا تاريخ).

٤٣. فلسفة الاستشراق، يحيى مراد (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م).

٤٤. فلسفة الإستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أحمد سمايلوفيتش (القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠).

٤٥. كيف نحيا بالقرآن، نبيه زكريا عبد ربه (بيروت ١٤٠٣/ ١٩٨٣م).

٤٦. لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري (ت ٧١١هـ) (دار الصادر، بيروت، ١٩٩٠م).

٤٧. مؤتمر كلورادو التنصيري لعام ١٩٧٨م دراسة تحليلة، جمعان علي جمعان الزهراني، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩/ ١٤٢٠م).

٤٨. مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها ـ تكوينها ـ أهدافها، محسن السويسي، رسالة دكتوراه، إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد، كلية الدعوة بالمدينة المنورة، قسم الاستشراق، ١٤١٩/ ١٩٩٨م.

٤٩. المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، د. محمد البهي (مطبعة الأزهر، القاهرة)

٥٠. المستشرقون، بحث عن الاستشراق لدى جميع الأمم منذ فجره من ألف عام إلى اليوم، نجيب العقيقي (دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٧).

٥١. المستشرقون البريطانيون، أ. ج. آبري، ترجمة محمد الدسوقي النويهي (لندن، ١٩٤٦م).

٥٢. المستشرقون والقرآن، د. محمد أمين حسين محمد بني عامر

(دار الأمل، الأردن ٢٠٠٣م).

٥٣. المستشرقون والمرأة المسلمة، د. فاطمة هدى نجا (دار الإيمان، بدون مكان أو تاريخ).

٥٤. المستشرقون ومشكلات الحضارة، د. عفاف صبرة، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م).

٥٥. المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، طارق يسري (مكتبة النافذة، القاهرة، ٢٠٠٥م).

٥٦. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي (دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٣م).

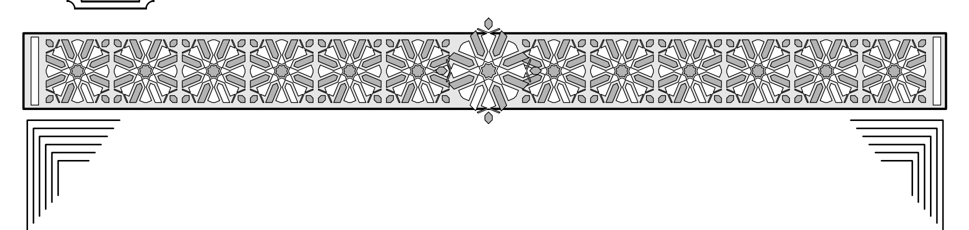
٥٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، تحرير وأشراف د. مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للشباب الإسلامي (الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ).

٥٨. النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز (دار الثقافة، قطر، ١٤٠٥/ ١٩٨٥).

٥٩. نبوة محمد ﷺ في الفكر الاستشراقي، د. خضر شايب (مكتبة العبيكان، الرياض، بدون تاريخ).

٦٠. نور الإسلام وأباطيل الإستشراق، فاطمة هدى نجا (الطبعة الأولى، دمشق، دار الإيمان، ١٩٩٣).





# فهرس الموضوعات

## الفصل الثاني

## التنصير

## هذا الكتاب

إننا نحاول في كتابنا هذا بيان أهم أدوات الغزو الفكري الذي تتعرض له الأمة الإسلامية عبر وسائل مغرضة تبنتها الدول الاستعمارية وبتعاون وثيق مع المؤسسات العلمية التي ولدت من رحم السيطرة والنفوذ للدول الأوروبية، وغالبا ما كانت الكنيسة هي المحرك الأساس لهذا الغزو، إذ تعتمد اعتمادا كبيرا في نشر عقائدها على انحسار الإسلام، لأنها تعرف قبل غيرها القوة التي يتمتع بها هذا الدين دون غيره من سائر الأديان والمعتقدات التي تواجهها في أرجاء مختلفة من العالم.

ولم يكن تخلص الدول الإسلامية من الاحتلال العسكري المباشر في منتصف القرن الماضي إلا بداية لنوع آخر من الاحتلال الفكري الذي لا يحاول السيطرة هذه المرة على الأرض، وإنما يحاول السيطرة على العقول والقلوب، ومسخ الشخصية الثقافية للمجتمع المسلم، واستبدالها بشخصية هجينة تكون تابعة له في توجهاتها وأفعالها، وقد استند الغرب النصراني على أدوات أخرى للغزو، خاصة بعد فشله الذريع في الحروب الصليبية قبل ما يقرب من ألف عام.

وأول دعائم هذا الغزو هو الاستشراق الذي أخذ حيزا كبيرا في الفكر الأوروبي الحديث، خاصة خلال القرنين الماضيين، وشكلت الدراسات الاستشراقية المرجعية المفضلة للدول الغربية إلى يوم الناس هذا، فكان لا بد لطالب العلم الشرعي من أن يحيط بملخص لهذه الدراسات لأنها شكلت الطليعة المتقدمة لغزو العالم الإسلامي.




Hawally - Mothanna ST. - Badri complex
E-mail : darandalusia@hotmail.com
Mobile : (+965) 94 74 71 76